الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر – باتنة1–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التّاريخ والآثار

مملكة البرتغال وعلاقتها بالإمارات الإسلاميّة في الأندلس خلال القرنين 6–7 هجري / 12 – 13 ميلادي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدّكتوراه علوم في التّاريخ الوسيط .

تخصص : أوروبا عصور وسطى .

من إعداد الطّالبة: **تحت إشراف الأستاذ الدّكتور:**

كرنيف نرجس **باقة رشيد**

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدّرجة العلمية	الصفة	الجامعة
1 : د. سالم مصطفى	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة الحاج لخضر _ باتنة 1 _
2 : أ.د باقة رشيد	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة الحاج لخضر _ باتنة 1 _
3 : أ.د كمال بن مارس	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة 8 ماي 1945 م _ قالمة _
4 : أ.د رابح أولاد ضياف	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة 8 ماي 1945 م _ قالمة _
5 : د. بصديق عبد الكريم	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة الحاج لخضر _ باتنة 1 _
6 : بن النية رضا	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة محمد لمين دباغين _ سطيف 2 _

السنة الجامعية: 2023 – 2024 م

إهداء

- الى أجمل نعم الله علي، قرة عيني وطريقي الى الجنة
- الى من كان دعاؤهما سرا لنجاحي ونجاة لي من العثرات
- الى من آمنا دائما بوصولي.....

والدي الكريمين.

- الى من شددت بهم أزري .....

أخي وأخواتي.

- الى رفيق دربي و مهجة قلبي ....

زوجي وأبنائي.

- الى روح جدي المجاهد لخضر كرنيف والى كل شهداء وطني الحبيب الجزائر.

إليكم جميعا أهدي ثمرة عملي هذا.

شكر وعرفان

في البداية أحمد الله عزّ وجلّ الذي أمدّني بالقوّة والصّبر، وأعانني على إنجاز هذا العمل المتواضع.

كما أتقدّم بخالص الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل ومشرفي **الدّكتور باقة رشيد** على قبوله -أوّلا- الإشراف على أطروحتي بعد أن قمت بالتّحويل من جامعة الجزائر 2 إلى جامعة باتنة 1، وعلى ما أولاه من الجديّة والاهتمام الكبير في متابعة هذا العمل خطوة بخطوة بحيث لم يبخل علينا لا بوقته ولا بنصحه وتوجيهاته رغم انشغالاته الكثيرة، فجزاه الله عنّا خير الجزاء، وبارك الله في وقته وعلمه إن شاء الله.

كما أقدّم شكري إلى الأخت والصّديقة الدكتورة **لخلف غزلان** على كلّ ما قدّمته لنا من عون سائلين المولى عزّ وجلّ لها دوام التّألّق في مجال البحث العلميّ.

كما لا يفوتني أن أشكر زميلتي في العمل، أستاذة اللّغة العربيّة، ضيف الله هنيّة على متابعتها و تصحيحها اللّغوي، وكذلك الأستاذة: عمران ميليسا لتعديلاتها الشكلية للأطروحة نفع الله بعلمهما.

وفي الأخير أوجّه شكري إلى كلّ من قدّم لي يد المساعدة لإنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

شكرا لكم جميعا.

مقدمة

مقدمــة:

إنّ تاريخ الأندلس ثريّ بالأحداث والشّخصيّات التي كان لها دور هامّ في سير أحداث المنطقة، لذلك لقي اهتماما كبيرا من الباحثين لدراسة كلّ تفاصيله. على أنّ ما يثير الانتباه أنّ أغلب تلك الدّراسات ركّزت بصفة كبيرة على إقليم إسبانيا، حيث أظهرت الإحصائيات وجود الآلاف من الأبحاث والدّراسات حول هذه المنطقة، وبعديد اللغات، فأثريت مكتبتنا العربيّة، وهذا شيء إيجابيّ للقارئ العربيّ ومهمّ لمعرفة خبايا تاريخنا الإسلاميّ، غير أنّنا نجد أنّ بعض مناطق شبه الجزيرة الأيبيريّة قليلة في الدّراسات الأكاديميّة، ولم يسلّط عليها الباحثون الضّوء بالدّراسة والتّحليل، ومن بينها المنطقة التي تعرف اليوم بالبرتغال.

لقد كان لإمارة البرتغال الواقعة في الجهة الغربية من شبه الجزيرة الايبيرية، والمتاخمة لحدود المسلمين في تلك الجهة دور بارز في الحروب الصليبية (حركة الاسترداد) حيث استهدفت الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية، كما كانت من المناطق الرّئيسيّة التي زوّدت الصّليبيين بالمؤونة مقابل مساعدتهم لها في قتال المسلمين غرب الأندلس لذلك نجحت في توسيع رقعتها الجغرافية على حساب المسلمين خلال مدّة وجيزة لم تتجاوز القرن والنّصف لتصبح بعدها من أقوى ممالك شبه جزيرة أيبيريا.

وعلى الرّغم من أهمية هذا الموضوع إلّا أنّه لم ينل حظا كبيرا من البحث والدّراسة بحيث تعدّ الدّراسات الأجنبيّة الأكثر تناولا لموضوع البرتغال في العصور الوسطى مقارنة بالدّراسات العربية، وذلك لتركيزها إمّا على تاريخ البرتغال وحده أو ذكرهم للمنطقة في إطار

حركة الاسترداد لكن دون تفصيل لتاريخ البرتغال وربطه بالمسلمين. من بين تلك الدراسات: دراسة هامّة جدّا للمؤرخ الفرنسي كريستوف بيكارChristophe Picard، أصدرها سنة 2000 م، بعنوان:

Le Portugal Musulman du VIII- XIIIe : L'occident d'al-Andalus sous domination islamique

وهي تعدّ من أولى الدّراسات الأكاديمية التي بحثت في تاريخ الوجود الإسلامي بإقليم غرب الأندلس، (بلاد البرتغال حاليّا) من القرن الثامن الميلادي إلى غاية نهاية تواجدهم السّياسي في القرن الثالث عشر ميلادي. ما يميّز هذه الدّراسة أنّ صاحبها الأستاذ كريستوف بيكار اعتمد بالدرجة الأولى على المصادر العربية وتطرق بإسهاب إلى النشاط الاقتصادي ومراكز استيطان المسلمين وكل ما تعلق بإنجازاتهم العلمية والحضارية، إلّا أنّه أغفل ربط تلك الأوضاع بالبرتغال .

كما كان للدّراسات الأثرية الأجنبية وخاصة البرتغالية دور في تسهيل التطرق لموضوع البرتغال، يأتي في مقدمتهم العالم الأثري S.Masias وكذلك C.Torresاللّذان ركّزا في أبحاثهم على مواقع الحواضر الإسلامية الكبرى في شلب وميرتلة. كشفت تلك الأبحاث عن بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمسلمين في المنطقة خلال القرن الثاني عشر ميلادي. وهي تعدّ من الأبحاث الهامّة لكتابة التّاريخ الإسلامي للبرتغال، رغم أنّ تلك

الأبحاث قليلة ولازالت متواصلة لحداثتها، إلّا أنّ ما كشفت عنه من معلومات وحقائق جدّ هامّ لفهم حيثيّات العلاقات البرتغالية الإسلامية خلال العصور الوسطى.

نظرا لأهمية هذا الموضوع ارتأينا اختياره للبحث والدراسة من جانب آخر وهو التركيز على تاريخ مملكة البرتغال وفي نفس الوقت علاقتها بالمسلمين في الأندلس. من هذا المنطلق حمل البحث عنوان: **مملكة البرتغال وعلاقتها بالإمارات الإسلاميّة في الأندلس خلال القرنين (6 – 7 هـ/ 12 _ 13 م)**، بهدف الكشف عن ظروف نشأة مملكة البرتغال والمراحل التي مرّت بها إلى أن أضحت قوّة صليبيّة منافسة على السّاحة السياسية في شبه الجزيرة الإيبيرية، وكذلك للتعرف على نوع العلاقات التي جمعت بين المسلمين والبرتغال خلال الفترة الزمنية المذكورة سابقا، ومصير الجاليات المسلمة التي وجدت لها ملاذا في أراضي المملكة البرتغاليّة أثناء وبعد انهيار الوجود الإسلامي في الجهة الغربية.

كما جاء اختياري لهذا الموضوع، من جهة أخرى، لقلة الدراسات الأكاديمية حول مملكة البرتغال وعلاقتها مع الإمارات الإسلامية في الأندلس إبّان مرحلة العصور الوسطى بالجامعات الجزائرية، على وجه الخصوص. علما أنّ مثل هذه الدّراسات قد لقيت عناية كبيرة من قبل الأوربيين منذ زمن بعيد، وأنجزوا، في هذا الميدان، العديد من الأبحاث والدّراسات القيّمة.

أمّا عن الإشكالية الرئيسية لهذه الدراسة فهي تركز على تتبع طبيعة ونوع العلاقات بين مملكة البرتغال والإمارات الإسلامية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ميلادي والأوضاع التي عرفتها كل من البرتغال وغرب الأندلس خلال الفترة الزمنية المذكورة سابقا.

ولمعالجة هذه الإشكالية اعتمدت على مجموعة من المصادر اللاتينية والعربية، ونخصّ بالذّكر، في المقام الأول:

المصادر الأجنبية:

- **-Appien : Roman History**
- Appian أو Appianus هو مؤرخ إغريقي الأصل أصبح فيما بعد مواطنا رومانيا ، يعد كتابه من المصادر الهامة التي أرّخت للتاريخ الرّوماني أفادني كثيرا في الفصل التمهيدي لهذه الدراسة من خلال تتبع تاريخ البرتغال أثناء العهد الروماني ومعرفة تفاصيل الحرب اللّوزيتانية وكيفيّة ضمّ الرّومان للمنطقة خاصّة وأنّه كان من المعاصرين لتلك الأحداث الهامّة .
- **-Don Pelayo : Chronica del obispo, Edicion preparada por : B. Sanchez :**

يعدّ من المصادر الهامّة التي تحدّثت عن أوضاع ليون وقشتالة خلال القرن الحادي عشر ميلادي، لذلك ساعدنا في استخراج الأوضاع السّياسية لممالك المسيحيين خلال تلك الفترة ومعرفة مصير البرتغال بعد وفاة الملك فرديناند الأول .

- **Cronicas Anonimas de Sahagun**

من المصادر التي أرّخت لمملكة ليون خلال القرن الثاني عشر ميلادي وبالضّبط منطقة ساهاجون ، استفدنا من خلاله في تتبع أحداث المنطقة ومعرف اتفاق ساهاجون بين ملوك ليون ضدّ البرتغال ، فكان من المصادر الهامّة لنا في هذه الدّراسة .

المصادر العربية :

التاريخية والأدبية :

- كتاب " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني (أبو الحسن علي): ت. 542 هـ / 1147 م: يعد من المصادر الأدبيّة الهامّة لاحتوائه على معلومات تاريخيّة قيّمة أوردها أثناء سرده لأخبار الأدباء والكتّاب.

استفدت كثيرا من القسم الثّاني لأنّه تناول فيه الأوضاع الاجتماعية لأهل غرب الأندلس ، وبما أنّ ابن بسّام من سكّان تلك المنطقة – بالضبط منطقة شنترين– فقد أورد أسماء أعلام عدّة من تلك الجهة ، استفدنا كثيرا من تلك المعلومات ومن التّفاصيل والأحداث التي كان يرويها أثناء تعريفه بأولئك الأعلام ، لذلك كان من المصادر الهامّة لنا في هذه الدّراسة .

- كتاب " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " لابن عذاري المراكشي عاش خلال القرن 7هـ / 13 م :

اعتمدت في هذه الدّراسة على الجزء الثّاني والثّالث. فالجزء الثّاني تناول أحداث الأندلس من الفتح إلى قيام الدّولة العامريّة ، ساعدني كثيرا في الحديث عن عناصر الفصل الثّاني من هذه الدّراسة والمتعلّق بالفتح الإسلاميّ للجهة الغربيّة وكذلك في

استخراج أوضاع تلك الجهة في العهد الأمويّ. أمّا الجزء الثّالث فقد استفدت منه في استخراج أهمّ المناطق التي استقلّت في الغرب خلال عهد الطوائف وما آلت إليه أوضاع المنطقة .

- كتاب "المن بالإمامة" لعبد الملك ابن محمد الباجي المعروف (با بن صاحب الصلاة) الذي يعدّ من الكتب الهامّة التي أرّخت لفترة الموحّدين لذلك كان معينا لنا بشكل كبير في استخراج أوضاع غرب الأندلس خلال عهدهم خاصّة وأنّ المؤرّخ كان يذكر مناطق غرب الأندلس وأحداثها مع البرتغال بالتّفصيل ، فكان من المصادر الهامّة لنا في هذه الدّراسة .
- كتاب " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لصاحبه " المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد) : ت . 1041 هـ / 1631 م : من أعظم الموسوعات التّاريخيّة والأدبيّة وعلى الرّغم من أنّ المصدر متأخّر تاريخيّا لأنّ كاتبه لم يكن معاصرا للأحداث التي شهدتها الأندلس إلّا أنّني استفدت منه من خلال مانقله من أخبار عن أحداث الفتح .

كتب الجغرافيا :

- كتاب الشريف الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني) ت. 560 هـ / 1165 م : **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق:** من المصادر الجغرافيّة الهامّة التي فصّلت في تحديد مختلف المناطق ومن بينها

الأندلس، حيث ذكر تقسيماته وأهمّ مدنه والمسافات بينها، كما ذكر مميّزاتها وأهمّ منتجاتها. أفادنا كثيرا في التّعرّف على حواضر غرب الأندلس وتحديد المسافات بينها واستخراج أهمّ الأنشطة السّائدة بها.

- كتاب الحميري : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) ت . 866 هـ / 1461 م : **الروض المعطار في خبر الأقطار** : مصدر جغرافي هامّ عن المدن الأندلسية، مرتّب حسب الحروف ممّا سهّل لنا مهمّة البحث فيه . استفدت منه كثيرا في التّعريف بحواضر غرب الأندلس ومعرفة بعض من تاريخها وأهمّ معالمها.

وللإجابة عن الإشكالية تطلّبت طبيعة الدّراسة تقسيم البحث إلى أربعة فصول، مع مقدمة وخاتمة.

تناولنا في الفصل الأول: تاريخ البرتغال منذ العصر القديم إلى الفتح الإسلامي، وفيه تحدّثنا عن أصل تسمية البرتغال والشّعوب الأولى التي استوطنت المنطقة ثم توسّع الفينيقيين والقرطاجيين بها لتتعرّض بعدها للغزو الرّوماني، وبيّنا كيفية تأسيسهم لبروفانسيا لوزيتانيا ثمّ مجيء القبائل الجرمانيّة وأثرها في تشكيل هويّة البرتغال وصولا إلى دخول المسلمين إلى المنطقة خلال القرن الثّامن ميلادي.

خصّصنا الفصل الثّاني للوقوف على : الوجود الإسلامي في البرتغال (الغرب الأندلسي) . تحدّثنا فيه عن مسار الفتح الإسلامي في غرب الأندلس وكيفية استقرار المسلمين فيه من خلال تتبّع الطّريق الذي سلكه كلّ من موسى بن نصير ثم ابنه عبد

العزيز في فتحهما للمناطق الغربيّة ، كما وضّحنا الإستراتيجية التي اتبعها كلّ منهما في عملية الفتح ، وبيّنا كيف ثبّتت الخلافة الأموية في قرطبة الوجود الإسلامي غرب الأندلس وأسرار نجاحها في القضاء على الثّورات المناهضة لحكمهم في الجهة الغربيّة، ثمّ شرحنا أوضاع غرب الأندلس أثناء عهد ملوك الطّوائف وما عرفه من انقسامات واضطرابات ، وصولا إلى أوضاع المنطقة تحت حكم المرابطين والموحدين وكلّ ما شهدته المنطقة من تحوّلات وصراعات مع البرتغال .

ركّزنا في الفصل الثالث على تاريخ ميلاد مملكة البرتغال وأثرها على الوجود الإسلامي غرب الأندلس. شرحنا فيه الأوضاع السّياسية لشبه الجزيرة الإيبيرية مطلع القرن الثاني عشر ميلادي، وهي قضية جدّ هامة لفهم كيف ساهمت تلك الأوضاع في ظهور إمارة البرتغال على مسرح الأحداث التّاريخية. ثمّ وضّحنا كيف كان لحركة الاسترداد وقتال البرتغاليّين للمسلمين الدّور الكبير في نيل إمارة البرتغال الاستقلال عن مملكة قشتالة وليون، فأصبحت مملكة مستقلّة بمباركة البابويّة. كما فصّلنا في الحروب التي شنّتها مملكة البرتغال ضدّ المسلمين أواخر القرن الثاني عشر ميلادي وإنهائها للحكم الإسلاميّ بها، وهي آخر محطّة في قتال المسلمين. وحاولنا في آخر الفصل إعطاء نماذج وأمثلة من الأحداث التّاريخية تبيّن مساهمة البرتغال في العدوان على المسلمين وخدمتها للمشروع الصّليبي في الأندلس، فكانت من أخطر الممالك التي واجهت المسلمين نتيجة تبنّيها لذلك المشروع.

أمّا الفصل الرابع فقد خصّصناه لدراسة حياة الجاليات المسلمة في أراضي المملكة البرتغالية، حيث تطرقنا فيه إلى المجال الجغرافي الذي استوطنه المسلمون بإقليم غرب الأندلس، كما وضّحنا فيه أسباب اختلاف الكثافة السّكانية في كل منطقة مقارنة بالأخرى. ثمّ شرحنا شبكة الطرق والمسالك الرّابطة بين تلك المواقع التي استقر بها المسلمون، وبيّنا أسماءها ومحاورها الرئيسية. وركزنا فيه على المراكز الحضارية الكبرى وما خلّفته من إنجازات في المجال العلمي والعمراني. بعدها تطرّقنا لحياة الجاليات المسلمة الصّعبة في مملكة البرتغال بعد حركة الاسترداد، وظروف اندماج الجاليات الإسلامية في المجتمع البرتغالي، مع تبيان طريقة تعامل مسيحيّي البرتغال مع تلك الجاليات المسلمة. وحاولنا في آخر هذا الفصل عرض أثر الثّقافة الإسلاميّة في المجتمع البرتغالي، وهو مبحث أردنا فيه تبيان الأثر الذي تركه المسلمون في البرتغال سواء من عادات وتقاليد أو تأثّر باللّغة العربيّة وكذلك الاطّلاع على ما خلّفوه من آثار حملت الطّابع الإسلامي والتي عبّرت عن حياتهم اليوميّة وإتقانهم للبناء.

وختمنا البحث، بتقديم حوصلة لأهمّ النّتائج التي تمّ التّوصل إليها من خلال هذه الدّراسة، وألحقنا بالبحث عدد من الخرائط في شكل ملاحق تفيد في التّوضيح والفهم.

المنهج المتبع: تعتمد صحّة أي بحث علمي، وبدرجة كبيرة، على المنهج المعتمد والكيفية التي استعمل وفقها لدراسة الموضوع المختار. ونحن في بحثنا هذا اتّبعنا المنهجين الوصفي والسردي من خلال تتبعنا لأوضاع المسلمين في الجهة الغربية أثناء وبعد سقوط الحكم

الإسلامي بها وكذلك في عرضنا لأهم الأحداث التي شهدتها البرتغال، إضافة إلى المنهج المقارن من خلال المقارنة بين أوضاع البرتغال قبل وبعد تحولها إلى مملكة وكذلك عندما استعرضنا قوة المسلمين قبل وبعد ملوك الطوائف وأثرها في سقوط الحكم السياسي لهم بالجهة الغربية.

وبما أنّ ميدان البحث ليس سهلا، وككلّ باحث واجهتني بعض العراقيل والصّعوبات منها ما تعلق بالجانب العلميّ والآخر بحياتي الشّخصيّة، ومن أبرز تلك الصّعوبات:

- ❖ وجدت عراقيل كبيرة في التنقل إلى الخارج بسبب أزمة كورونا، ومع ذلك فقد استطعت ربط الاتصال مع بعض الأساتذة والأقارب في كلّ من البرتغال واسبانيا الذين أرسلوا لي الكثير من المصادر والمراجع التي تخدم الموضوع.
- ❖ معظم المادة العلمية كانت باللغة البرتغالية التي لم أكن أتقنها وهو ما تطلب وقتا كبيرا للترجمة واستخراج المعلومة الصحيحة من تلك المادة.

ولا يفوتني في هذا الصّدد أن أقدّم شكري إلى أعضاء لجنة المناقشة المحترمة على مناقشة فزادته ملاحظاتهم وتوجيهاتهم القيّمة فائدة.

وفي الختام أسأل الله العليّ القدير أن أكون قد وفّقت في هذا الجهد المتواضع ولو بالشّيء البسيط، وأن يكون عملا مفيدا لكلّ باحث وطالب في هذا المجال، لأنّه في الأخير يبقى عملا بشريّا، لا يخلو من النّقص والخطأ. فإن أصبت فهذا من فضل الله عليّ، وإن أخطأت فهو من نفسي ومن الشّيطان، وما توفيقي إلّا بالله.

الفصل الأول

الفصل الأول:

" تاريخ البرتغال منذ العصر القديم إلى الفتح الإسلامي "

1. أصل التسمية والشعوب الأولى التي استوطنت المنطقة قديما.
2. الّتوسع الفينيقي والقرطاجي في البرتغال.
3. السّيطرة الرومانية وتأسيس بروفنسيا لوزيتانيا.
4. هجرات القبائل الجرمانيّة وأثرها في تشكل الهوية البرتغالية.
5. الفتح الإسلامي.

تمهيد:

عرفت البرتغال قديما عدّة أسماء نظرا لعديد الأجناس والشّعوب التي استوطنتها، من الكلتيين Celts، والإيبيريين Les Ibéres، والباسك Basques ...، الذين يعود تواجدهم بها إلى الألفيّة الأولى قبل الميلاد، مرورا بالقرطاجيين والرّومان الذين تعاقبوا على استعمار المنطقة ما بين 300 ق.م إلى 500 م وصولا إلى القبائل الجرمانيّة (السويف Suéves، والقوط الغربيّين Visigothics)، ثم أخيرا المسلمون في العصور الوسطى (من القرن الثامن ميلادي إلى القرن الخامس عشر ميلادي).

1. أصل التّسمية والشّعوب الأولى التي استوطنت المنطقة قديما.

أ. التّسميات التي عرفت بها البرتغال قديما:

اختلفت الآراء حول أصل مصطلح البرتغال، إلّا أنّ الأغلبية رجّحت أنّه مشتق من كلمة (portus-cale) ذات الأصل الرّوماني _ الكلتي[1]، المركّبة من كلمتين portus[2] وcale[3]، وقد تغيّر نطق هذه الكلمة خلال حكم القوط الغربيّين إلى Portucale، ثمّ تطوّر هذا الاسم خلال العصور الوسطى واستقرّ على Portugale، وبحلول القرنين 11 م و12م

[1] **Portugal**: Origin and meaning of the name Portugal by online Etymologie Dictionary, www.etymonline.com

[2] هي كلمة لاتينية تعني الميناء أو المرفأ. Ibid.

[3] من اسم مستوطنة (منطقة) سكنتها قبائل الكلت Celts عند مصب نهر دويرو الذي يصبّ في المحيط الأطلسي، ولأنّ هذه المنطقة موقعها الجغرافيّ متميّز شكّلت منذ البداية ميناء تجاريّا هامّا أطلقوا عليهCale، ولمّا أتى الرومان واستولوا على caleحوّلوا اسمها إلى portus cale. أنظر:

-**Paul Perzon:** Linguistique celtique, 1700 – 1850, les antiquités des nations, v.1, Routledge, London and New york, 2000, p. 270.

صار يشار إليه باسم البرتغال Portugal بلغة سكّان المنطقة[1] ويقصد به المنطقة الواقعة غرب شبه الجزيرة الإيبيرية[2].

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الاسم الذي عرفت به البرتغال قديما هو لوزيتانيا Lusitanie نسبة لإحدى القبائل التي استوطنت المنطقة[3]، زيادة على ذلك فإنّ الإطار الجغرافيّ الذي شغلته لوزيتانيا كان يختلف عن الذي شغلته البرتغال خلال القرنين 11 م و12 م. فلوزيتانيا كانت أوسع مجالا وأكثر خصبا[4]، وعند مجيء الرّومان إلى شبه الجزيرة الإيبيرية حافظت المنطقة على اسمها السابق لوزيتانيا وبعاصمتها Augusta Emirita[5] أي ماردةMérida[6]، ليستمرّ استخدامه حتّى العهد القوطي، لكن حين دخل العرب المسلمون إليها وبدؤوا في التّوسع على مناطقها أطلقوا عليها اسم غرب الأندلس[7]، كما سنرى لاحقا.

ب.الشّعوب الأولى التي استوطنت المنطقة قديما

تعاقب على شبه الجزيرة الإيبيرية قبل الفتح الإسلامي العديد من الشّعوب التي تركت بصماتها واضحة في المنطقة، ومن بين تلك الشّعوب نجد: الإيبيريين (Ibéres) والكلتيين

[1] أمّا المدينة التي نشأت حول ذلك الميناء فهي تعرف في يومنا هذا باسم Porto وهي ثاني أكبر مدينة برتغالية بعد العاصمة لشبونة Lisbone.

[2] **Henri schaffer** : Histoire de Portugal depuis sa séparation de la castille jusqu'à nos jours, traduit de l'allemand par M. Henri Soulange –Bodin, imprimerie de plon frères, Paris, 1845, p. 02.

[3] سنفصّل في ذلك في موضعه.

[4] Schaffer: Op.cit, p. 02.

[5] Douglas L.Wheeler, Walter C.Opello: Historical Dictionary of Portugal, The Scarecrow Press, Inc. Lanham, Toronto, UK, third Edition, 2010, p . 61.

[6] سيتمّ التّعريف بها لاحقا.

[7] **غرب الأندلس:** يشمل كل المناطق الواقعة جنوب نهر دويرو (دويرة)، أمّا القسم الشّمالي فعرف باسم جليقية وهو خارج عن الإطار الجغرافي للغرب الأندلسي. راجع: هاشم العلوي: غرب الأندلس من خلال الجغرافيين العرب، مقال بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة فاس (المغرب)، العدد 11، 1990، ص. 215.

(Celts) والفينيقيين (Phéniciens)، والقرطاجيين (Cartagénois)، دون أن ننسى الرّومان (Romains) والقوط الغربيّين (wisigoths).

❖ **الإيبيريون والكلت:** تشير الدّراسات إلى أنّ الإيبيريين هم من بين أقدم الشّعوب التي استقرّت في شبه الجزيرة الإيبيرية، إضافة إلى مجيء العنصر الكلتي (Celts)[1]، ويعتقد أنّهم نشؤوا عند نهر الإيبرو Ebre لذلك أطلق عليهم اسم الإيبيريين Ibéres، في حين يؤكّد آخرون أنّهم أتوا من شمال إفريقيا عبر البحر المتوسط[2].

وعلى كلّ حال فإنّ الإيبيريين لمّا وصلوا إلى شبه الجزيرة الإيبيرية في الألف الثّالثة قبل الميلاد استقرّوا في الحدود الشّرقية والجنوبيّة الشّرقية للمنطقة بمحاذاة المتوسّط[3]، وقد كانوا عبارة عن مجموعة من القبائل[4]، ثمّ حدث تمازج بين الإيبيريين والشّعوب التي وفدت على المنطقة الأمر الذي صعّب من تحديد مقاطعاتهم الرئيسيّة التي استقروا بها[5]، وقد كان الإغريق من بين تلك الشّعوب الوافدة وهم من أطلق على المنطقة تسمية إيبيريا Iberia نسبة إليهم[6].

[1] William Pearce: History of Spain and Portugal, William Collins, sons, Company, 1878, p. 09.
[2] - Christian Rudel: Le Portugal, Edition Karthala, Paris, p.14.
[3]- M. de Marlès: Histoire de Portugal d'après la grande histoire de Schaffer, Parent Des barres éditeur et directeur de l'Encyclopédie de la révue et Musée Catholiques, Paris, 1840, p. 03.
[4] منها: Lacetani، Sordones، Hercavones، Edetani، Contestani ....
[5]- **Voir :** - M. Paquis: Histoire d'Espagne et Portugal, T. 1er, Paris, p.14.
- Astley Dunham: History of Sapin and Portugal, Carey and Lea, Chestnut Street, 1832, V1, p. 35.
[6] M. Paquis: Op, cit, p.14.
Astley Dunham: Op.cit, p. 23.

وإلى جانب الإيبيريين عرفت شبه الجزيرة الإيبيرية مجيء العنصر الكلتي (Celts)، وقد حدّدت الدّراسات الأنثربولوجية استقرارهم بالمنطقة ما بين القرنين 10 و7 قبل الميلاد[1]. أتى الكلتيون على ما يبدو من أواسط أوروبا ثم انتشروا في أوروبا الغربية والجنوبية[2]، وقد دخلوا إلى شبه الجزيرة الإيبيرية من الشّمال حيث استقرّوا في نهر الإيبرو غرب المنطقة التي كان يتواجد بها الإيبيريون[3].

انقسم الكلتيّون إلى خمس قبائل كبرى[4]، وعرفوا انتشارا واسعا في الجهة الغربيّة، إلّا أنّ القبيلتين الكلتيتين Lusitaniens وVettones كانتا من أوائل الذين استقرّوا هناك فعرفوا باسم préceltique أي ما قبل الكلتيّين، لذلك فإنّ أصل البرتغاليّين هو كلتيّ خالص[5]،

---

[1] وهناك من العلماء من حدّد تاريخ ظهورهم بالضّبط في القرن 08 قبل الميلاد نتيجة الاكتشافات الأثرية التي عثر عليها العالم الأثري "يوهان جورج" في منطقة هالستات بالنمسا عام 1855 م والتي تعود إلى الكلتيين. للمزيد من التفاصيل حول الموضوع أنظر:

-Clayton N Donoghue: History of celts, Friesen Press, Canada, 2013, p. 02.

[2] Daithi O Hogain: Ahistory of the celts, the Boydell Press, UK, 2002, p. 02.

[3] Fortia D'Orban: Histoire Général de Portugal, depuis des Lusitaniens jusqu'à la régence de don Miguel, t.1, chez Gauthier Fréres et Libraires, Paris, p. 40.

[4] وهي: – الأستوريون (Les Astures): استقروا في ليون Léonوقشتالة القديمة.

– الكاربيتانيون (Carpetani): استقروا وسط المنطقة.

– الفاسكونيين أو الفاكاي (Vaccaei): استقروا بنافار Navarre وجزء كبير من الأراغون Aragon.

– الغاليسيين (Gallaeci): استقروا في أقصى الشمال الغربي لإيبيريا.

– اللوزيتانيون (Lusitaniens): استقروا غرب المنطقة وجزء من ليون وقشتالة.

راجع:

M.Paquis: Op, cit, pp.10 – 13.

Astley Dunham: Op, cit, p.35.

[5] Voir : - Julian de Francisco Martin : Conquista y Romanizacion de Lusitania, Ediciones Universidad da Salamanca, 2em Edicion, 1996, p. 58.

- James Maxwell Anderson: The History of Portugal, Green Wood Press, London, 2000, p. 19.

حيث نجد أنّ الكلت انتشروا في كامل الجهة الغربيّة لشبه جزيرة إيبيريا ماعدا أقصى الجنوب الغربي[1]. (انظر الخريطة المرافقة)

على هذا الأساس يمكننا القول أنّ الجهة الغربيّة كانت تسكنها القبائل الكلتية من أقصى الشّمال الغربيّ إلى غاية الجزء الجنوبي ونتيجة تعايش الإيبيريين والكلت في نفس المنطقة حدث تمازج بينهما ليتشكّل ما عرف بالكلت الإيبيريين (Celtibéres) الذين تواجدوا خاصّة وسط شبه الجزيرة الإيبيرية[2].

[1] حيث نجد في أقصى الجنوب الغربي قبيلة تسمى Turdetani وهي من أصل إيبيري. راجع:

- Fortia D'Orban: Op, cit, p. 44, 45.

أنظر الخريطة المرافقة.

[2] M. Paquis: Op, cit, p. 15, 16.

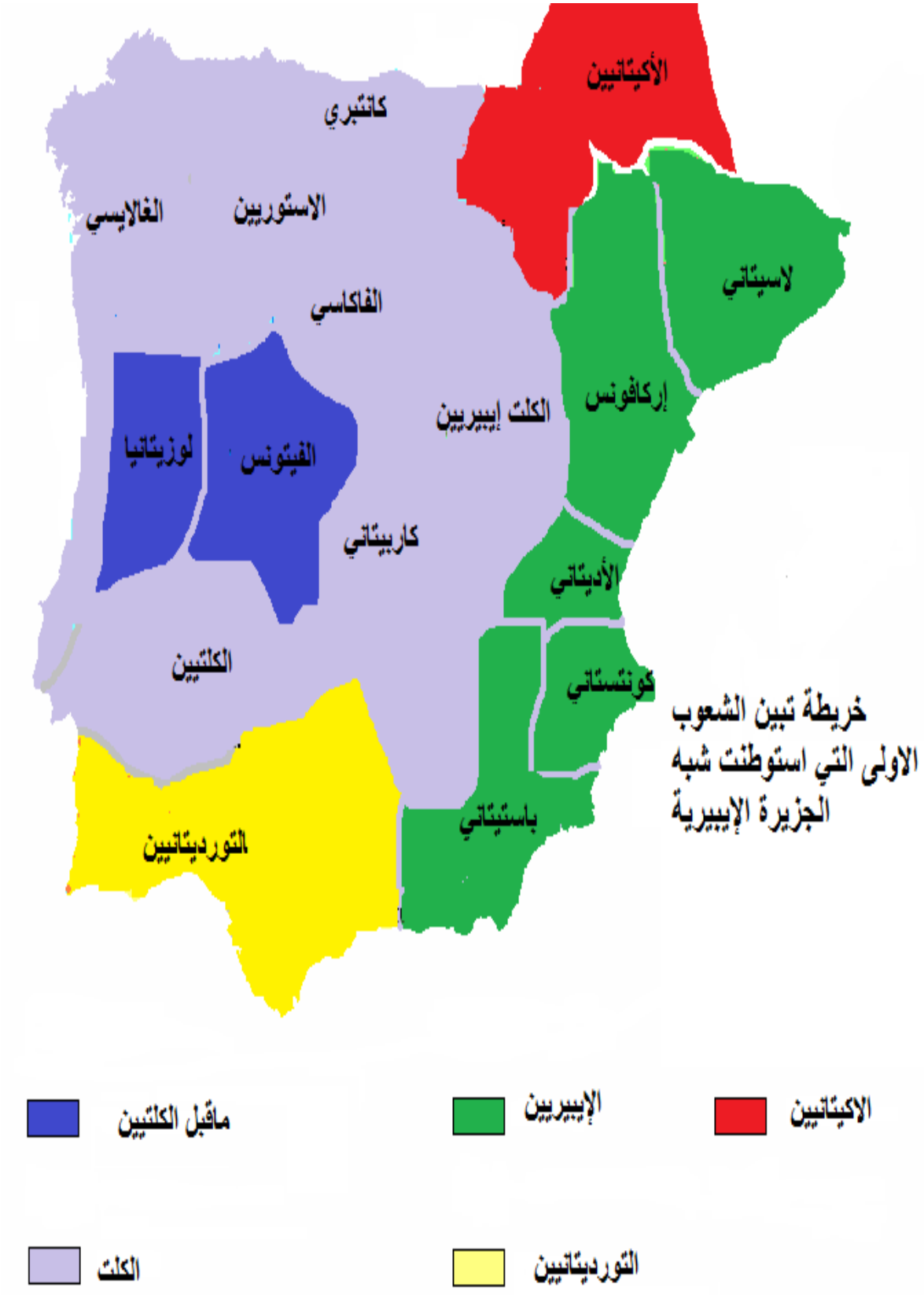

خريطة تبين الشعوب الأولى التي استوطنت شبه الجزيرة الإيبيرية

2. التّوسع الفينيقي والقرطاجي في البرتغال

من الشّعوب التي استوطنت في بلاد البرتغال قديما القرطاجيّون Cartagénois الذين ترجع أصولهم إلى الفينيقيين المشهورين في التّاريخ القديم بنشاطهم التّجاري الواسع ومعرفتهم بركوب البحر لذلك اعتبروا من أهمّ ناقلي الحضارة في ذلك الوقت.

وترجع أصول الفينيقيين[1] إلى الأصل السّامي، فيقال أنّهم هاجروا من شبه الجزيرة العربيّة إلى منطقة الهلال الخصيب في الألف الثالثة قبل الميلاد[2]، وقد عمل الفينيقيون بداية الأمر كوسطاء تجاريين يعملون على إيصال البضائع بين مختلف مناطق البحر المتوسّط شرقا وغربا، وسرعان ما ذاع صيتهم في كلّ المناطق خاصّة بعد تصنيعهم للملابس الحمراء، فنشطت تجارتهم في غرب المتوسّط وتفوّقوا في معرفة الطّرق البحريّة وفنون الملاحة. أسّسوا العديد من المراكز التّجارية أينما ذهبوا تحوّلت فيما بعد إلى مستوطنات لهم وكان ذلك حوالي

[1] أمّا عن تسميتهم فهي كلمة أطلقها عليهم الإغريق (Phoénix) وهي تعني اللّون الأحمر أو الأرجواني، ورأي آخر يقول أنّها تعني الصّبغة الأرجوانية التي كانوا يصبغون بها ألبستهم وكانوا يستخرجونها من بعض المحارات البحريّة، أمّا هم فقد عرّفوا أنفسهم باسم الكنعانيّين لذا فإنّ مصطلحي فينيقيين وكنعانيين كانا يشيران إلى الشعب نفسه ومصطلح كنعان عرف عند الإغريق كذلك بـ Kanaggi ويعني عندهم الصبغة الحمراء كذلك. للاطلاع أكثر حول الموضوع راجع:
-Veronique Krings: La Civilisation Phénicienne et Punique, EJ, Brill, Leiden, New York, 1995, p. 01, 02.

[2] Nicolas Carayon: Les ports Phéniciens et Puniques Géomorphologie et infrastructures, Thèse Doctorat en science de l'antiquité – Archéologie, Dirigée par M. professeur Thierriy Petit, Université Strasbourg 2, Marc Bloch, U.F.R, des sciences historiques, Thèse soutenue publiquement le 17 mai 2008, p. 23, 24, 25.

القرنين العاشر والثّامن قبل الميلاد[1]. وصلوا إلى شبه الجزيرة الإيبيرية بفضل سفنهم القويّة ومستوطناتهم في شمال إفريقيا، وقد تواجدوا بها منذ الألف الثانية قبل الميلاد[2].

ومن الأسباب الرئيسيّة التي جذبتهم للمنطقة هو غناها بالثّروة المعدنيّة من فضّة ورصاص وبالأخصّ مادّة القصدير المتوفّرة بكثرة شرق شبه الجزيرة الإيبيرية وهي مادّة مهمّة في صنع البرونز[3]، لذلك استوطنوا جنوبا وأسّسوا مراكزهم هناك، من أشهرها قادس (Gadis)[4] التي تعدّ من المراكز الرئيسيّة لهم، ثم توسّعوا على بقيّة المناطق[5].

[1] ماجد أحمد علي الحمداني: الفينيقيون في شرق وغرب البحر المتوسط، مقال نشر في مجلة دراسات في التاريخ والآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد، مجلد 2017، العدد 57، ص. 494، 495.

[2] أنظر:

– يولي بركوفيتش تسيركين: الحضارة الفينيقية في إسبانية، تر. يوسف أبي فاضل، مراجعة: ميشال أبي فاضل، جروس برس، بيروت، 1987 م، ص. 42.

– فرانسوا دوكريه: قرطاجة أو إمبراطورية البحر، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط.1، دمشق، 1996 م، ص. 42.

[3] تجدر الإشارة أنّ الإيبيريين والكلت الذين تواجدوا بالمنطقة لم تكن لهم دراية بأهمّية تلك المعادن أو فيما تستخدم لذلك تمّ وصفهم بالسّذّج من طرف الفينيقيين، وهو ما زاد من إصرارهم على التوغل في المنطقة فوصلوا حتّى الشّمال الغربي للإشراف على المناجم التي فتحوها هناك لاستغلال تلك الثروة والمتاجرة بها. أنظر:

– ستيركين: المرجع السابق، ص. 41.

– M.Paquis: Op, cit, p. 17.

[4] **قادش:** من أقدم مدن شبه الجزيرة الأيبيرية وغرب أوروبا، ويقال أنّها تأسّست ما بين 1500 و1200 قبل الميلاد وكانت تعرف زمن الفينيقيين باسم كادير أو جادير (Gadir). أنظر:

– سحر السيد عبد العزيز سالم: مدينة قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري للأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، 1990، ص. 13. وأنظر كذلك:

– تسيركين: المرجع السابق، ص. 43.

[5] تسيركين: المرجع نفسه، ص. 36.

والجهة الغربيّة من شبه الجزيرة الإيبيرية لم تخل من التّواجد الفينيقيّ، فقد عرفت هي الأخرى تأسيس مستوطنات بها خاصّة في الجزء الجنوبيّ الغربيّ الغنيّ بالثّروة المعدنيّة[1] وعلى رأسها الذّهب[2]، إضافة إلى إقامتهم للعديد من المناجم في الجزء الشماليّ منها لاستغلال تلك الثّروة المعدنيّة[3]، الأمر الذي جعلها منطقة هامّة في تعاملات الفينيقيين مع الأطراف الشّمالية لأوروبا وهو ما سيجعلها قبلة لكلّ الوافدين على شبه الجزيرة الإيبيرية فيما بعد.

وعلى كلّ حال فإنّ المستوطنات الفينيقيّة القديمة وعلى رأسها صور بدأت تضعف تدريجيّا، لتعوّضها قرطاج[4] التي احتلّت الرّيادة غرب البحر المتوسط وازداد نفوذها بتأسيسها لمستعمراتها الخاصّة فكانت خليفة لصور[5] هناك، واصطدمت بمنافس آخر في المنطقة وهم الإغريق الذين عرفت تجارتهم نشاطا واسعا في تلك الفترة وهو ما أثّر على معظم المستوطنات الفينيقيّة فكان لزاما على قرطاج حماية تلك المستوطنات، وتمكّنت من ذلك منذ نهاية القرن الثّامن قبل الميلاد تارة بالتّصدّي للإغريق وتارة أخرى بمهادنتهم والتّفاوض

[1] Schaffer : Op, cit, p. 06.

[2] **Julian de Francisco Martin :** Op, cit, p. 57.

[3] **Schaffer :** Op, cit, p. 06.

[4] يقال أنّ أصل تسمية قرطاجة من carthago وبدقة أكثر من Karthago وهو لفظ لاتيني للكلمة اليونانية Karchedon التي بدورها تعتبر لفظا محرّفا للتّسمية اليونانية المركبة (قرت حدشت)، وتعني المدينة الجديدة كدليل على أنها خلفت مدينة أقدم منها في المنطقة وهي أوتيكا، تأسست سنة 814 قبل الميلاد، وهو الذي ارتبط بأسطورة الأميرة الفينيقية عليسة ديديون. أنظر:

- فرانسوا دوكريه: المرجع السابق، ص. 53، 54.

- Gilbert charles Picard: Didon ou Elissa, Encyclopedia Universalis (en ligne), www.universalis.fr

[5] فرانسوا دوكريه: المرجع السابق، ص. 113.

معهم، وبمرور الوقت صارت كلّ المراكز الفينيقيّة تابعة لقرطاج، وعلى ذلك الأساس نجحت في الوصول إلى شبه الجزيرة الإيبيرية وحاولت ضمّ الجزء الجنوبيّ الذي تمكّن الفينيقيون قبلهم من تأسيس مستعمراتهم به ومن أشهرها قادس (Gadiz)، إلّا أنّ الأمر لم يكن سهلا فقد قاوم سكّان تلك المنطقة (Turdetains) توسّعات القرطاجيين وهاجموهم بكلّ شجاعة، لكن دون تنظيم مسبق، وكاد القرطاجيون ينتصرون إلى أن عيّن التورديتانيون (Turdetains) قائدا منهم ذا خبرة عسكريّة تمكّن من استدراك الوضع وهزمهم[1]، لكنّهم لم يفقدوا أملهم في ضمّ المنطقة فعقدوا هدنة اغتنمها القرطاجيون في الحصول على الدّعم من قرطاج وبفضلها انتصروا واستقرّوا جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية، لتبدأ سلسلة من الأحداث بينهم وبين سكّان المنطقة وعلى رأسهم سكّان الجهة الغربيّة اللّوزيتانيّون، فبعد نجاح القرطاجيين في ضمّ الجزء الجنوبيّ لإيبيريا اتّجهت أنظارهم بعدها إلى المنطقة الغربيّة خاصّة وأنّ موقعها جدّ هام بالنسبة لتجارتهم حيث أنّ لوزيتانيا منطقة غنيّة بالمعادن كما أسلفنا الذّكر، أضف إلى ذلك طبيعة سكّانها فمعظمهم من المحاربين الذين رأت فيهم قرطاج فرصة هامّة لدعم جيشها هناك.

[1] اسم القائد التّورديتاني Bauciu Capitoوالذي تمكّن من تنظيم سكّان المنطقة فخلق اضطرابا كبيرا في الجيش القرطاجي. لتفاصيل أكثر عن الموضوع أنظر:

-Fortia D'Orban: Op, cit, p. 95.

لذلك بدأت محاولات ضمّها لقرطاجة حتّى نجحوا في ذلك، إلّا أنّ العلاقات القرطاجيّة مع سكّان الجهة الغربيّة (اللوزيتانيون) قد قامت على أساس التّعاون المتبادل بين الطّرفين[1] خدمة لمصالحهما. فقرطاج احتاجت لدعم جيشها بالمحاربين اللّوزيتانيين لمواجهة أعدائها، واللّوزيتانيون كذلك احتاجوا لقرطاج للدّفاع عن منطقتهم ضدّ أيّ اعتداء داخليّ أو خارجيّ وبقيت علاقتهما قائمة على ذلك الأساس[2] حتّى مجيء الرّومان[3] إلى المنطقة والاستيلاء عليها.

[1] حاول القائد القرطاجي حنون Hanoun التّوسع عليها من جهةGuadiana، وقد كان وضع اللوزيتانيين لا يسمح أبدا بمواجهة القرطاجيين نظرا للصّراع الذي كان مستمرا بين قبائل المنطقة، فكلّ قبيلة كانت تريد التّوسع على أراضي القبائل الأخرى ممّا أدى إلى إنهاك قواهم وعدم جاهزيتهم للقتال، فلجأوا إلى طلب السّلام ووعدوا القائد القرطاجي بمساعدته بالمحاربين ضد أي اعتداء خارجي في حال قبل بطلبهم. وبموجب تلك المعاهدة التي قبل بها القائد القرطاجي بدأت سلسلة من التعاون القرطاجي – اللوزيتاني في عدة حروب ومعارك حيث انتقل عدد كبير من اللوزيتانيين إلى صقلية لدعم القرطاجيين وبالمقابل لمّا حدث نزاع بين اللوزيتانيين وسكان بيتيكاBétiqueبين الرعاة، وقف القرطاجيون إلى جانب اللوزيتانيين وتمكنوا من أخذ أفضل أراضيهم كحجة لمساعداتهم المقدمة. للمزيد اطلع على:

-Fortia D'Orban: Op , cit, p.100, 101.

[2] في عهد القائد القرطاجي أميلكار Hamilcar Braca (290 ق.م – 228 ق.م) تمكن هذا الأخير بفضل حنكته أن يغيّر من شروط تلك العلاقة مع اللّوزيتانيين حيث استطاع كسب ثقة سكان بيتيكا وابتعد عن العنف وطبّق العدل في أحكامه فأكسبه ذلك شهرة كبيرة في جميع أنحاء المنطقة فتوافد عليه النّاس من جميع جهات إيبيريا لتقديم خدماتهم، وقد كان اللوزيتانيون من أوائلهم فقدّموا احترامهم له وزاد إعجابهم به أكثر لمّا تزوّج امرأة منهم ومن أمثلة الدّعم اللوزيتاني لقرطاجة في عهده مشاركتهم في الصّراع القرطاجي – الرّوماني بصقلية سنة 242 ق.م، وبالمقابل كان أميلكار يساعد كذاك اللّوزيتانيين ضدّ أيّ اعتداء على منطقتهم، ففي أثناء تواجد الجيش اللّوزيتاني بصقلية تعرضّت لوزيتانيا إلى هجوم من قبائل الفيتونس Vettones المحاذية لمنطقتهم شرقا فطلبوا منه الإذن بالعودة للدفاع عن منطقتهم فقبل بذلك وساعدهم هو الآخر في إنهاء ذلك الهجوم ويقال أنه توفي أثناء ذلك الصراع سنة 229 ق. م. لمزيد من التفاصيل راجع :

-Nouvelle Biographie Universelle depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours, Firmin Didot Frères, t.2, Paris, p. 108.

-Fortia D'orban: Op, cit, pp. 109-111.

[3] شاركوا مع حنبعل Hannibal الذي خلف والده أميلكار في قيادة الجيش القرطاجي، في حربه ضد الرومان بإيطاليا سنة 218 ق. م فقد شكل اللوزيتانيون عددا كبيرا من جيشه. نقلا عن:

Fortia D'orban: op, cit, pp.115 – 119.

3. السّيطرة الرّومانية وتأسيس بروفنسيا لوزيتانيا

عرفت شبه الجزيرة الإيبيرية مجيء الرّومان منذ القرن الثّالث قبل الميلاد عندما أرادوا توسيع مناطق نفوذهم في المنطقة، وقد كان لصراعهم مع القرطاجيين أثر هام في رغبتهم لدخول شبه جزيرة إيبيريا الذي بدأ فعليّا سنة 218 ق. م أي خلال الحرب البونية الثانية.

فقد كان من بين أهداف الرّومان احتلال الجزء الغربيّ من المنطقة بسبب ما تحتويه من ثروة معدنيّة هامّة، وهي الثّروة التي استغلّها الفينيقيّون أوّلا ثم بعدهم القرطاجيّون، وفي إطار المنافسة الشديدة بين الرومان وهؤلاء، أراد الرّومان قطع الطّريق عليهم نحو مناجم المعادن الموجودة بكثرة في الشّمال الغربي[1].

وكما وضّحنا سابقا، فإنّ الجهة الغربيّة من إيبيريا انتشرت بها العديد من القبائل الكلتية وبالأخصّ اللّوزيتانيون Les Lusitaniens الذين سكنوا الجزء الأكبر من تلك الجهة حيث امتازت بخصوبة تربتها ومناخها المعتدل، كما انفرد سكّانها بمظهرهم القويّ وبكثرة محاربيهم إضافة إلى ممارستهم للنّشاط التّجاري الذي تعلّموه من الفينيقيين، وعرف عنهم كذلك حبّهم للاستقلالية والحرية[2].

فمنذ البداية أظهر الرّومان نيّتهم وعزمهم السّيطرة على المنطقة وطرد أعدائهم القرطاجيين، لكنّ محاولتهم تلك لم تكن سهلة كما اعتقدوا، حيث واجهوا من الوهلة الأولى

[1] Julian de Francisco Martin : Op,cit, p. 59.

[2] M. Val Parisot: Petite histoire de Portugal, Hachette, Paris, 1841, p. 08.

مقاومة شديدة من طرف اللّوزيتانيين. بدأت بوادرها بعد أن قامت روما بتقسيم المنطقة الإيبيرية إلى قسمين:

إسبانيا الشمالية Hispania Citerior وإسبانيا الجنوبيةHispania Ulterior[1] ، هذه الأخيرة التي شملت المنطقة الغربيّة لشبه الجزيرة الإيبيرية المتميّزة بأراضيها الخصبة، فاستولى الرومان على تلك الأراضي كما فرضوا على اللوزيتانيين ضرائب باهضة وهو ما أدّى إلى استيائهم فبدأت تطفو على السّاحة بوادر للصّراع بين الطّرفين منذ سنة 194 ق.م، تحولت ، فيما بعد ، إلى مواجهات حربية تأرجحت فيها النّتيجة بين الرّبح والخسارة بين المتصارعين و استمرتّ إلى غاية سنة 152 ق. م ، عندما استطاع القائد الروماني Servius Sulpicius Galba من حسم النّصر لصالح الرّومان بعد استخدامه للمكر والخداع[2]. فكان فعله الدّنيء بمثابة إعلان اللّوزيتانيين البداية الفعليّة للحرب اللّوزيتانية ضدّ

[1] أنظر جزء الملاحق، الخريطة رقم: 01.

[2] عيّن الرومان Servius Sulpicius Galba لمحاربة اللّوزيتانيين بعد أن تمرّدوا وحاصروا بعض رعاياهم، فقدم إلى المنطقة الغربيّة وفشل في بداية الأمر في صدهم ثمّ انتظر الفرصة المناسبة للهجوم عليهم مرة أخرى، وهو ما تمّ بالفعل حيث تمكّن هذا القائد من السيطرة على المنطقة فأتاه اللّوزيتانيون لطلب الهدنة فأظهر Galba رغبته في الصلح ووعدهم بالسلم ومنحهم أراضي خصبة متظاهرا بتفهم أوضاعهم وأسباب تمردهم، وبعد تلك الوعود صدقه اللّوزيتانيون واجتمعوا في المكان الذي حدّده لهم وهناك قسّمهم إلى ثلاث فرق وعيّن لكلّ فرقة منهم أرضا معيّنة وأمرهم بالبقاء بها حتّى يأتي ويخصّص لهم أماكنهم التي وعدهم بها، وعند وصوله إلى الفرقة تظاهر بالصّداقة والود وأمرهم بإنزال أسلحتهم ثم قام بقتلهم وفعل نفس الشّيء مع الفرقتين المتبقيتين، ولم ينج من فعلته تلك إلّا القليل، وباعوا البعض منهم كعبيد. وكان من بين الذين هربوا شاب يدعى فرياتو Viriato وهو الذي قاد حرب اللّوزيتانيين فيما بعد ضدّ الرومان. أنظر في هذا الشأن:

- Appien's Roman History with an english translation by Horace White,WILLIAM HEINEMANN LTD, LONDON, 1912, p. 229, 233.
- Julian de Francisco Martin: Op, cit, p. 65.

الرّومان بقيادة الشّاب فيرياتو[1] الذي تمكّن بفضل دهائه وخبرته في حرب العصابات أن ينقذهم من بطش الرّومان وألحق بهؤلاء هزائم متتالية فذاع صيته في كل المنطقة الغربيّة ولاقى دعما كبيرا من قبائلها، دامت حربه ضدّ الرّومان 08 سنوات[2].

استعان الرّومان للقضاء على جيوب التمرّد في لوزيتانيا بحلفائهم بربر شمال إفريقيا خاصّة بعد الهزائم المتتالية التي تعرّضوا لها طوال الفترة الممتدة من 147 ق. م إلى 140 ق. م، فأرسل ملك نوميديا ماسينسا لهم العون[3] ممّا مكّن الرّومان من التّغلّب على اللّوزيتانيين وإخضاعهم.

في سنة 140 ق. م قاموا بتعيين القائد فابيوس ماكسيموس Fabius Maximus، فأمره مجلس الشّيوخ بمحاربة فيرياتو سرّا حتّى لا يخلف بمعاهدة الصّلح التي جرت بين الطّرفين والتي نصّت على إيقاف القتال مؤقّتا، لكنّ فابيوس أخلف بها وأعلن الحرب فجأة على اللّوزيتانيّين وزعيمهم فيرياتو، فكان النّصر حليف فابيوس في حين تعرّض اللّوزيتانيون لأبشع أنواع القتل والتّنكيل فمات منهم الكثير، ولحسن حظّهم أنّ قائدهم فيرياتو استطاع

[1] وفي سنة 148 ق.م استطاع الناجون من شر Galba لمّ شملهم مرة أخرى وقدر عددهم بـ 10 آلاف وهاجموا منطقة Turdetania فأرسلت روما قائدا آخر يدعى Vetilus لإيقافهم، وقد نجح بالفعل في السيطرة على الوضع وضيّق على سكان المنطقة الحصار وأجبرهم على العيش في مكان قاحل لا يلبي احتياجاتهم فاضطروا لطلب الصلح معه، ووعدهم بالتفاهم وإيجاد حل لهم، وهنا تدخل الشاب فيرياتو Viriatoوحذّرهم من خداع الرومان وذكّرهم بما حدث لهم سابقا، وحاول إقناعهم بمحاربتهم فعيّنوه قائدا عليهم. أنظر:

Appien: Op, cit, p. 233- 235.

[2] Ibid, p. 237.

[3] يقال إنه أرسل إليهم 10 أفيال و300 فارس. أنظر:

Julian de Francisco Martin : Op, cit, p. 69.

النّجاة من قبضة الرّومان. زحف فابيوس بعدها على قبائل Vettones وGallaeci ودمّر حقولهم[1]، وهو ما شكّل تهديدا كبيرا في المنطقة لذلك أرسل فيرياتو أصدقاءه الموثوقين للتّفاوض مع القائد الرّوماني بشأن شروط السّلام[2] ، إلّا أنّ فابيوس نجح في رشوتهم مقابل قتل صديقهم وقائدهم فيرياتو، وهو ما حدث فعلا حيث استغلّ الرّفقاء الثلاثة ثقة فيرياتو بهم ودخلوا إلى خيمته ليلا وهو نائم وقتلوه دون علم أحد من اللّوزيتانيين[3]، وبهذا الفعل الشّنيع تمكّن الرّومان من القضاء على أكبر عائق لهم في المنطقة الغربيّة خاصّة وأنّ الذي عيّنه اللوزيتانيون كخلف لقائدهم المغدور فشل في قيادة الحرب مثل فيرياتو والتّحكم في تلك القبائل، فهزمهم القائد الرّوماني فابيوس مرّة أخرى، وهنا أعلن اللّوزيتانيون ولاءهم للرّومان[4] وبذلك تمّ وضع حدّ نهائيّ للحرب بينهما[5] .

[1] **Appien :** Op, cit, p. 243, 245.

[2] هم Minirus وDitalux وAudax، وهم محاربون توردیتانیون Turdetainsشاركوا في الحرب اللوزيتانية، ويعدون خونة وقتلة القائد فيرياتو. أنظر:

Ibid: p. 235.

[3] Ibid.

[4] Ibid, p. 255.

[5] وتجدر الإشارة إلى أنّ القائد فيرياتو Viriatoوالحرب التي شنّها ضدّ الرومان تعدّ في عصرنا هذا رمزا من رموز الوطنية البرتغالية وحب الحرية والاستقلال، بدليل أنّه يوجد في البرتغال تماثيل تمجّد بطولات هذا القائد في مدينة Viseu وZamora.

استولى الرّومان المنتصرون على كلّ المنطقة الغربيّة وجعلوها ولاية رومانيّة سمّيت ببروفنسيا لوزيتانيا Provencia Lusitania[1] التي ظلّت خاضعة لهم[2] إلى غاية سقوطهم على يد القبائل الجرمانيّة، حيث دخلت المنطقة تحت حكم قبائل القوط الغربيّين.

4. هجرات القبائل الجرمانيّة وأثرها في تشكّل الهويّة البرتغاليّة

مع مطلع القرن الخامس الميلاديّ عرفت شبه الجزيرة الإيبيريّة مجيء الشّعوب الجرمانيّة في إطار ما يعرف بالهجرات الجرمانية، وقد حدثت ما بين نهري الرّاين والدّانوب عند هجوم الهون على منطقتهم[3] ومنهم نذكر: الفرنج (Franks)، وكذلك الآلان (Alains)، والوندال (Vandals)، والقوط (Goths)[4]، إلى درجة أنّ الإخباري إيزيدور الإشبيلي وصف تلك الهجرات بالاحتلال المدمّر الذي نشر الخراب بالبلاد[5].

---

[1] تمتد على طول نهر دويرة Douro وتنتمي إليها قبائل Vettones، أمّا حدودها الشرقية فتمتدّ إلى غاية Guadiana. أنظر:

- Parisot: Op, cit, p. 12.

[2] قام الرّومان كذلك بتقسيم بروفنسيا لوزيتانيا إلى أقسام مثل: Scalabis Lulia أي شنترين و Pax Lulia أي باجة، و Emirita Augusta أي ماردة. انظر:

-Parisot: Op, cit, p. 12.

[3] عرفت بالعالم البربري أي القسم الذي لم يكتب له أن ينعم بالحضارة الرّومانية، وقد عاش هؤلاء الأقوام على حدود الإمبراطورية الرومانية وسمّوا بالجرمان، وقد كانت حياتهم الاجتماعية قائمة على الأسرة، ويتألّف الأسر من صلب قبيلة واحدة تتوزع إلى بطون وأفخاذ، كما يتكوّن من بعضها أحلاف عسكرية تعرف عندهم بالأقوام أو الشعوب. أنظر:

– إدوارد بروي: موسوعة تاريخ الحضارات العام – القرون الوسطى–، تر. يوسف أسعد داغر وفريد داغر، ج.3، منشورات عويدات، بيروت، ط.1، 1986 م، ص. 18.

[4] المرجع نفسه.

[5] Isidore of Seville : History of the Goths, Vandals and Suevi, translated from the Latin by: Guido Domini and Gorden B. Ford, Leiden, Ejbrill, 1970, 2nd edition, p. 33.

وقد وصلت تلك الرّحلات إلى شبه الجزيرة الإيبيريّة بالضّبط سنة 409 م، ومن الشّعوب التي اجتاحتها نذكر: الوندال بقيادة جنسريق، والآلان بقيادة ريسباندیال، والسويف (Suève) بقيادة هيرمنريك، وقد عمل هؤلاء على تقسيم المنطقة فيما بينهم عن طريق القرعة سنة 411 م[1] فتحصّل كلّ منهم على جزئه الخاص، وقد كانت لوزيتانيا (الجهة الغربيّة) من نصيب الآلان [2].

وهؤلاء مجموعة من القبائل السّارمانتيّة الآريّة Sarmantian[3]، لذلك بدؤوا هجرتهم نحو الغرب ووصلوا إلى غالة مع الوندال والسّويف، واستقرّ بعض منهم في شبه جزيرة إيبيريا وبالضبط لوزيتانيا، أمّا البعض الآخر فانتقلوا إلى شمال إفريقيا مع الوندال[4]. كما ظهر على مسرح الأحداث خلال هذه الفترة القوط الغربيّون Wisigoths[5]، فبمجرد دخولهم إلى شبه جزيرة إيبيريا بدأت الصّراعات بينهم وبين القبائل الجرمانيّة، فتمكّن القوط من

[1] انظر الملاحق، الخريطة رقم 3

[2] Isidore of Seville :op, cit, p. 34.

[3] وكانوا رعاة رُحّلا، وفي بداية القرن الأوّل للميلاد احتلّوا منطقة شمال شرق بحر آزوف، وفي سنة 375 م احتلّهم الهون وقتلوا العديد منهم. انظر:

- Bernard S.Bachrach: AHISTORY OF ALAINS in the West (from the first appearance in the sources of classical Antiquity through the Early Middle Ages), University of Minnesota Press, Minneapolis, 1973, p.03 .
- Vera Porisovna Kovalevskaja: Le Caucase et les Alains: in dialogue d'histoire ancienne, vol 15, n° 2, 1989, p. 364. Publié sur le site: www.persee.fr
- Bernard S.Bachrach: Op, cit, p. 26.

[4] إبراهيم طرخان: دولة القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية، 1958م، ص. 86.

[5] هاجروا أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السّادس ميلادي من اسكندنافيا التي كانت تُعرف باسم سكانزيا أو سكين عبر البلطيق. أنظر: إبراهيم علي طرخان: المرجع نفسه، ص. 33.

ويُذكر أنّ عددهم بلغ 100 ألف. أنظر: ول ديورانت وايريل: قصّة الحضارة، ج1، م4، تر: محمد بدران، بيروت، ص. 77.

الاستيلاء على منطقة ناربونة Narbone بزعامة قائدهم أتولف (Athulf أو Atolfe (410 – 415 م) وانتزع برشلونة Barcelone من الوندال[1]، وأمام هذا الضّغط القوطيّ الكبير في المنطقة اضطرّ الوندال إلى العبور نحو إفريقيّة بعد أن استقرّوا فترة قصيرة في بيتيكا ليحطّوا رحالهم بشمال إفريقيا سنة 429م[2].

أمّا الآلان الذين استولوا على منطقة لوزيتانيا فلم يسلم هم الآخرون من هجمات القوط المتكرّرة عليهم ممّا أدّى إلى إضعاف قوّتهم وخروج العديد منهم من لوزيتانيا والالتحاق بالوندال إلى شمال إفريقيا، وقد قضى القوط على أغلبيّتهم في لوزيتانيا سنة 418 م[3].

وكنتيجة لهذا الصّراع بين القبائل الجرمانيّة التي غزت المنطقة لم يبق في شبه الجزيرة الإيبيرية إلّا القوط Goths والسّويف [4] الذين تحصّلوا على منطقة غاليسيا سنة 411 م مع الوندال[5]، فبدأ الصّراع بين الطّرفين خاصّة وأنّ السويف[6] بدؤوا يفكّرون في توسيع نفوذهم

[1] تلقّى القوط أوامرهم من القائد الرّوماني هونوريوس للقضاء على أماكن تواجد السويف والآلان والوندال، ويُقال أنّه أغراهم بالمال لفعل ذلك. أنظر:

– ول ديورانت وإيريل: المرجع السابق، ص. 78.

– G. Desdevises du Dezett: Les Wisigoths, Henri Delesque Imprimeur Libraire, 1891, p. 05.

[2] Isidore of Seville: Op, cit, p. 34.

[3] Ibid , p.12.

[4] انظر الملاحق، الخريطة رقم: 4

[5] Isidore of Seville: Op, cit, p. 34.

[6] **السّويف:** شعب جرمانيّ تحرّكوا نحو نهر الراين مع مطلع القرن الخامس الميلادي تحت ضغط الهون، وعبروه سنة 406 م إلى غالة، وبعد عامين من التّخريب والفساد فيها دخلوا إسبانيا سنة 409م واحتلّوا جليقية وأشتوريس، وأسّسوا مملكة استمرّت إلى سنة 585م. أنظر: إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص. 86.

خارج غاليسيا، فاستولوا على ماردة Mérida سنة 439 م[1]، كما استغلّوا خروج الملك القوطي ثيودوريك II (453- 466 م) إلى غاليا واستولوا على جزء من لوزيتانيا سنة 458م[2]، فاشتدّ الصّراع بينهما وعزم القوط على إخراج السويف نهائيا من شبه جزيرة إيبيريا[3]. وبداية من القرن السّادس ميلادي استقرّوا في المنطقة نهائيّا[4] وعملوا على إخضاعها خاصّة وأنّ هناك مناطق لم تخضع لهم بعد، ومن بينها الجهة الغربيّة (لوزيتانيا) التي لا تزال تحت سيطرة السّويف، لذلك تعرّض السّويف لمضايقات عنيفة من القوط، ورغم ذلك استطاعوا مدّ نفوذهم إلى نهر دويرة ومعظم الجهة الغربيّة[5].

---

[1] شكّل السّويف مملكة عرفت بمملكة السويف وعاصمتها براغا Braca Augusta من سنة 410 م – 584 م امتدّت بين نهري دويرة ومينهو. لتفاصيل أكثر راجع:

- Isidore of Seville: Op, cit, p. 39.
- Roger Collin: Visigothic Spain 409 – 711, Black Well publishing, 2004, p. 31.

[2] محمد القاضي: البرتغال الإسلامية، مقال نُشر يوم 16 ماي 2016، إشراف: راغب السرجاني، منشور عبر الموقع الالكتروني: www.Islamstory.com

[3] وما إن تولّى إيوريك Euric (466 م- 486 م) حكم القوط بعد مقتل أخيه ثيودوريك الثاني، بدأ في العمل على تحقيق ذلك الهدف، فشرع مباشرة في توسيع حدود مملكته ضاربا عرض الحائط علاقات الصّداقة والولاء مع الرّومان، فعبر جبال البرانس واحتلّ معظم أجزاء شبه الجزيرة الإيبيرية ما عدا غاليسيا وجزءا من لوزيتانيا اللّتين بقيتا تحت نفوذ السويف سنة 476 م، لذلك اعتبر الملك القوطي إيوريك المؤسّس الحقيقيّ لدولة القوط التي شملت جزءا كبيرا من شبه الجزيرة الإيبيرية حيث شملت الشمال الشرقي والجنوب الغربي وجزء من لوزيتانيا، ورغم ذلك الامتداد الواسع لحكم القوط في المنطقة إلّا أنّهم فضّلوا حكمها من غالة إلى أن توفي إيوريك سنة 484 م. أنظر:

- Malcom Todd: The Early Germans, Black Well Publishing, second edition, 2004 , p .153.
- Roger Collin: Op,cit, p. 32.

- إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص. 58، 59.

[4] انحصر نفوذ القوط وحكمهم على شبه جزيرة إيبيريا في عهد ألاريك الثّاني (485-507 م) بعد هزيمتهم أمام الملك كلوفيس في معركة فوييه (Vouillé) سنة 507 م، فطردهم إلى ما وراء جبال البرانس.

- Malcom Todd: Ibid, p. 36, 37.

[5] أنظر: - محمد القاضي: المرجع السابق، ص. 02.

- إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص. 60.

وجدير بالذّكر في هذا الصّدد، إلى أنّ السّويف أثّروا تأثيرا حضاريّا هامّا في اللّوزيتانيين، حيث تعلّموا منهم الزراعة والصّيد والبناء والموسيقى وبعض العادات وحدث امتزاج كلّي بين السّويف و اللّوزيتانيين[1]، إلّا أنّ ذلك لم يمنع القوط من مواصلة محاولاتهم للاستيلاء على كلّ المنطقة بما فيها لوزيتانيا.

عندما تولّى ليوفيجلد حكم القوط (568–586 م) عمِل على محاربة كلّ أعداء مملكته داخل وخارج إسبانيا[2]، ومن بين هؤلاء السويف الذين كانوا قد استولوا على نهر دويرة وأرادوا التوسّع في المناطق التي تلي ذلك النّهر، فتمكّن من هزيمتهم وألحق بملكهم نيودومير (558 – 570 م) هزيمة نكراء، دون أن يقضي عليهم كليّا، واستمرّت الحرب سجالا بينهما[3] إلى أن تمكّن ليوفيجيلد من إلحاق الهزيمة بالسويف وأسر آخر ملوكهم أديكا (Audica)[4] (583 – 585 م) وأجبره على دخول أحد الأديرة لقضاء ما تبقّى من حياته هناك.

[1] محمد القاضي: المرجع نفسه.

[2] Isidor of Seville: Op, cit, p. 23.

[3] لم يبق السّويف مكتوفي الأيدي بل قاموا بالثّورة ضدّه ودعموا ابنه هرمنجلد الذي حاول الخروج عن حكم والده، فأخضع ليوفيجلد ابنه أولا ثمّ توجّه إلى السّويف وألحق بهم الهزيمة. لمزيد من التفاصيل حول الموضوع أنظر:

- Henry Bradley: The Story of the Goths from the earliest Times to the end of the Gothic Dominion in Spain, Putnam Sons, New York, 1888, p. 324.
- Paul Goubert: Byzance et l'Espagne Wisigothique (554 - 711), article dans la Revue des études byzantines, T.2, Année 1994, p. 19.

[4] Isidor of Seville: Op, cit, p. 42.

بهذا الانتصار قضى ليوفيجلد على السويف واستولى على لوزيتانيا[1] التي أضحت إقليما تابعا كلّيا للمملكة القوطيّة.

5. الفتح الإسلامي

عرفت شبه الجزيرة الأيبيرية في أواخر العهد القوطيّ فوضى واضطرابا، بدأت تقريبا بعد عهد الملك وامبا Wamba القوطي (672- 680 م) ويمكننا تلخيص تلك الأوضاع في النّقاط التّالية:

ظهور طبقة من الأشراف ورجال الدّين التي تمتّعت بالسّلطان والنّفوذ وأحرزت الإقطاعات، كما استغلّت النفوذ الدّيني في توجيه القوانين فازداد ثراؤها، أمّا الأهالي فقد زادت أوضاعهم سوءا نتيجة كثرة الضّرائب ومشاقّ العمل والعبوديّة[2]، لهذا تولّد في نفوسهم كره شديد اتجاه القوط فكانوا ناقمين عليهم[3]، وما زاد الطّين بلّة هو انصراف ملوكهم للّهو والتّرف فضعُفت الرّوح الحربية للقوط، وتولّى الأساقفة تسيير شؤون الدّولة[4].

---

[1] Voir: - Jorge C Arias: IDENTITY AND INTERACTION: The Suevi and the Hispano – Romans, University of Verginia, 2007, p. 31, 32, 33.
- Harold Livermore: A new history of Portugal, Cambridge University Press, 2nd edition, 1976, p. 44.
- M. Paquis: Op, cit, p. 69.

[2] محمّد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر 1، القسم1، من الفتح إلى بداية عهد النّاصر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 4، 1997 م، ص. 30، 31.

[3] مونتغمري وات: في تاريخ إسبانيا الإسلامية، تر. محمّد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط 2، 1998م، ص. 27.

[4] المرجع نفسه.

– خليل إبراهيم السّامُرّائيّ وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص. 17.

استمرّت الأوضاع المزرية تزداد سوءًا إلى أن تولّى الحكم سنة 700 م الملك غيطشة (Wittiza) الذي حاول إصلاح تلك الأوضاع[1]، فتميّز النصف الأوّل من حكمه بالهدوء وتطبيق العدل في أحكامه، فعفا عن المسجونين وسمح بعودة المنفيّين إلى ديارهم، فكرهه النّبلاء ورجال الدّين لأنّه حرمهم من بعض الامتيازات، لذلك بدؤوا يدبّرون له المكائد في كافّة أنحاء البلاد[2]، لكنّه غيّر من سياسيته الإصلاحيّة تلك، فرخّص الزّواج للقساوسة، ونفى بلاي Pelayo[3] ممّا زاد من تعقيد الأوضاع لذلك تمّ خلعه عن العرش. وخلفه لذريق Roderic ،عوضا عن ابنه الصبيّ الذي اختاره في حياته، لأنّ القوط رفضوا أن يتولّى

[1] عبادة كحيلة: القطوف الدّواني في التاريخ الإسباني، مكتبة فلسطين للكتب المصوّرة، ط 1، 1998م، ص. 49.

[2] حسين مؤنس: فجر الأندلس (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدّولة الأموية (711هـ – 756هـ)، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدّة، ط 2، 1985م، ص. 13.

[3] أصله قوطي، هو ابن الدوق فافيلا وابن عم لذريق. أُخذ رهينة عند المسلمين مقابل طاعة أهل بلدهم لهم، لجأ إلى مكان عُرف فيما بعد بصخرة بلاي، وجمع فلول القوط الهاربين في إقليم أشتوريس وجليقية، ويُعدّ مؤسس مملكة أشتوريس. أنظر: – رابعة محمود النوايسة: بداية تكوين الممالك الإسبانية وتوسعها وسقوط مدينة برشلونة بيد الإسبان، رسالة مقدّمة لعمادة الدّراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ، إشراف أ. د: محمد العمايرة، قسم التاريخ، جامعة مؤتة، السنة الجامعية 2014 م، ص ص. 34-36.

شؤونهم فتى صبيّ[1]، وقد أثار تعيين لذريق غضب أنصار أبناء غيطشة[2]، لتزداد الأمور سوءا وتعقيدا حيث اعتبروا لذريق مغتصبا للعرش[3].

وعلى كلّ حال، فقد تسبّب مجيء لذريق للحكم في ظهور خلافات حول العرش أدخلت البلاد في متاهات الفوضى وعدم الاستقرار مع وجود العديد من الأعداء المتربّصين به[4]، فعمل لذريق على محاولة القضاء على المنافسين له حول العرش وهم أبناء الملك غيطشة، لأنّه تخوّف من محاولتهم استرجاع ملك أبيهم ،الذي ترك أملاكا كبيرة، فقد ورد عن ابن القوطية أنّها كانت "**ثلاثة آلاف ضيعة سمّيت بعد ذلك بصفايا الملوك**"[5]، كما تخوّف أيضا من أن ينقلبوا ضده[6].

---

[1] راجع: – المقرّي: نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، ج1، تح. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1998م، ص. 265. وكذلك اطّلع على:
– عبادة كحيلة، المرجع السابق، ص. 49.

[2] وهم: المند، وقلة، أرطباش، وقد كانوا صغارا عند وفاة والدهم. أنظر:
– ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، ص. 29.

[3] **لذريق:** الحاكم القوطي الذي أعلن نفسه ملكا على القوط في ربيع سنة 92هـ/711م، فقد كان يعمل كقائد للملك غيطشة وبمجرد وفاة الملك انقلب حيث جمع المحاربين واحتل قرطبة. أنظر: ابن القوطية: المصدر السابق، ص. 29.

[4] من بين هؤلاء اليهود الذين عوملوا معاملة جدّ سيّئة من طرف القوط سواءً في عهد أخيلا أو بعده، فأجبروا على التنصّر أو النفي، كما قام أخيلا بالتّنكيل بهم وصادر أملاكهم على اعتبار أنّهم أعداء. أنظر:
– عصام الدّين عبد الرّؤوف الفقّي: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشّرق، القاهرة، مصر، ص. 32.

[5] ابن القوطية: المصدر السابق، ص. 30.

[6] وهو ما ذهب إليه ابن القوطية حيث تحدث عن بقائهم في المنطقة وأنّهم اتفقوا مع المسلمين لدخولها وسهّلوا لهم ذلك مقابل الحفاظ على أملاك والدهم، كما أخبرنا باتّفاقهم الرّسمي مع الخليفة الوليد بن عبد الملك. أنظر: المصدر نفسه، ص. 30، 31.

وبينما كانت شبه الجزيرة الأيبيرية تترنّح في الفوضى كان العرب المسلمون قد وصلوا في فتوحاتهم إلى بلاد المغرب وثبّتوا تواجدهم بالمنطقة، والظّاهر حسب ما أشارت إليه بعض الرّوايات التّاريخية، أنّ أعداء لذريق اتّصلوا بطارق بن زياد قائد الجيوش الإسلاميّة والمسؤول عن الجهة الغربيّة، فطمح إلى توسيع الفتوحات إلى بلاد الأندلس، ومن الذين اتّصلوا به يوليان[1] الذي كانت علاقته سيّئة بلذريق، لذلك عمل على دعوة المسلمين لفتح المنطقة، والمرجّح أنّه فعل ذلك لإبعاد أنظارهم عن منطقة سبتة، والقضاء على حكمه الذي سلبه من أبناء غيطشة[2]، فأمدّهم بالمعلومات الضّرورية عن إسبانيا وشرح لهم الضّعف الذي تعاني منه ومعارضة الأهالي للحكم القوطيّ.

وجد موسى بن نصير[3] ، والي ولاية المغرب ، الفرصة مناسبة لتحقيق أهداف نشر الإسلام، فكاتب الخليفة في المشرق الوليد بن عبد الملك يخبره بالوضع ويستأذنه في عمليّة

[1] **يوليان:** حاكم سبتة من طرف البيزنطيين، وكانت تربطه بحاكم الأندلس لذريق علاقة موالاة، ويُقال أنّه كان تاجرا من العجم. أنظر: ابن القوطية: المصدر السابق، ص. 33.

[2] هناك من يورد سبب آخر لمساعدة يوليان للمسلمين وهو أنّه بعث ابنته لقصر لذريق لتعلُّم أصول وآداب الملوك، لكن لذريق اعتدى على ابنته وهي أخبرت والدها بذلك فقرّر الانتقام. لكنّ هذه الرّواية في نظرنا مشكوك في صحّتها، وحتّى وإن كانت صحيحةً فهي تُعدّ من بين الأسباب وليست السّبب الرّئيسيّ لقيام يوليان بدعوة المسلمين لدخول إسبانيا. لمعرفة تفاصيل القصّة، أنظر:

- مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، ط 2، 1989م، ص. 16.
- ابن عذاري: المصدر السابق، ص. 07.

[3] هو موسى بن نصير بن عبد الرحمان بن زيد اللخمي، ولد سنة 19هـ/640 م، كان شجاعا عاقلا كريما لم يُهزم له جيش، تولّى العديد من الأماكن، توفّي بمكّة سنة 97هـ/715م. راجع:

الفتح، فردّ عليه الخليفة بضرورة اختبار المنطقة أوّلا حتّى لا يعرّض حياة المسلمين للخطر، وهكذا تمّ إرسال الحملة الاستطلاعية بقيادة **طريف بن مالك**[1] كلّلت بالنّجاح وأكّدت صدق أقوال يوليان عن تدهور أوضاعها وضعفها، فقرّر موسى بن نصير فتح إسبانيا وكلّف طارق بن زياد بذلك سنة 92هـ/711م.

استطاع طارق اختراق المنطقة جنوبا عند الجزيرة الخضراء، ثمّ الشمال الغربي واستولى على القلاع والحصون، وواصل زحفه حتّى عاصمة القوط وهزمهم في معركة وادي لكة[2] سنة 711م، وفرّق جيوشه على العديد من المناطق حتّى يتوسّع أكثر في الفتح، فاستطاع فتح **إستجة**[3] وقرطبة وغرناطة وطليطلة، ثمّ توقّف للاستراحة وانتظار وصول قائده موسى بن نصير لإتمام الفتح[4].

– أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، المجلد 5، دار صادر، بيروت، ص. 318، 319.

[1] هو طريف بن مالك المعافري يُكنّى أبا زرعة، بربريّ الأصل من قبيلة طي، وهو مولى موسى بن نصير، وإليه تُنسب جزيرة طريف. أنظر: – المقرّي: المصدر السّابق، ج1، ص. 229.

[2] **وادي لكة:** يقع في كورة شذونة جنوب غرب الأندلس، وهو عبارة عن وادي يخترق أراضي مدينة شريش ويصبّ في المحيط الأطلسي بالقرب من قادس، وهو المكان الذي دارت فيه المعركة الفاصلة بين لذريق وطارق بن زياد واستمرّت ثلاثة أيام حتّى انهزم القوط. أنظر: المقرّي: المصدر السابق، ص. 259.

[3] **إستجة:** تقع غرب قرطبة وهي مدينة قديمة، ويُقال إنّ معنى اسمها "جمعت الفوائد". أنظر: الحميري أبو عبد الله بن عبد المنعم:صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الرّوض المعطار، دار الجيل، لبنان، ط.2، ص. 14.

[4] راجع: – ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص. 14، 16.

– المقري: المصدر السابق، ص.8،9،10.

أمّا لذريق فقد اختلف المؤرّخون حول مصيره، فمنهم من قال إنّه غرق في النّهر، والبعض الآخر قال أنّه قُتِل أو هرب إلى البرتغال وترهّب متخفّيا حتّى توفي[1].

لمّا تواصلت أخبار نجاح حملة طارق بن زياد، فكّر موسى في إرسال المزيد من الدّعم العسكريّ لتثبيت الوجود الإسلاميّ بالمنطقة فجهّز جيشا كبيرا وقرّر الالتحاق بالأندلس، فعبر مضيق جبل طارق سنة 93 هـ/712 م وكان يرافقه ابنه عبد العزيز[2]، وعند وصوله اتّجه نحو الجهة الغربيّة، وإليه يعود الفضل في فتح ما صار يعرف لاحقا بغرب الأندلس (البرتغال حاليا).

[1] أنظر تفاصيل كل هذه الأحداث في: – ابن عذاري: المصدر السّابق، ص. 04– 08.
– مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تح. لويس مولينا، ج1، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، إسبانيا، 1983، ص. 07، 09، 100.
– الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري: المدر السابق ص. 08، 09، 10. وكذلك راجع:
– عبد الرّحمان علي الحجي: التّاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتّى سقوط غرناطة، (92هـ–897هـ/711م–1492م)، دار القلم، بيروت، لبنان، ط 2، 1981م، ص. 47، 51، 52.
– حسين مؤنس: رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس، مكتبة الثّقافة الدّينية، ط 1، 2000، ص. 27، 28، 31، 32.

[2] عبد العزيز بن موسى بن نصير، ولاّه والده إمارة الأندلس عند عودته إلى الشّام سنة 95هـ/714م. كان شجاعا وحازما وذا أخلاق حسنة، فتح عددا من مدن الأندلس، وقُتِل عام 97هـ/716م وهو يصلّي الفجر. أنظر: علي دياب الجرو: الخدع العسكرية للمسلمين في الأندلس من الفتح إلى السقوط (92هـ–897هـ/711م–1492م)، رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف: خالد يونس الخالدي، قسم التاريخ، غزة، فلسطين، السنة الجامعية 2014م/1435هـ، هامش ص. 77.

الفصل الثاني

الفصل الثاني:

" الوجود الإسلاميّ في بلاد البرتغال (غرب الأندلس)":

1. مسار الفتح الإسلامي في منطقة غرب الأندلس واستقرار المسلمين بها.
2. دور الخلافة الأموية بقرطبة في تدعيم الوجود الإسلامي بغرب الأندلس.
3. الأوضاع في غرب الأندلس على عهد ملوك الطوائف.
4. غرب الأندلس تحت حكم المرابطين والموحدين.

الفصل الثاني: الوجود الإسلامي في بلاد البرتغال (غرب الأندلس)

ذكرنا في الفصل السّابق أنّ افتتاح المسلمين لمنطقة إيبيريا كان على يد طارق بن زياد، الذي توقّف لانتظار قائده موسى بن نصير لإكمال فتح ما تبقى من المناطق ومنها غرب الأندلس (البرتغال حاليا).

1. مسار الفتح الإسلامي في منطقة غرب الأندلس واستقرار المسلمين بها

بعد وصول موسى بن نصير إلى شبه الجزيرة الإيبيرية توجّه صوب الجهات الغربية التي لم تفتح بعد ، ويبدو أنّه استفسر أوّلا عن المناطق التي لم يصل إليها طارق ، وقد ورد نصّ ذلك كالآتي : " ... **ثم دخل موسى بن نصير في رمضان سنة ثلاث وتسعين .. ، يقال معه ثمانية عشر ألفا ، ... ، فلمّا نزل الجزيرة قيل له : اسلك طريقه ، قال : ماكنت لأسلك طريقه ... قال له العلوج الأدلّاء : نحن ندلك على طريق هو أشرف من طريقه ، ومدائن هي أعظم خطبا من مدائنه ، لم تفتح بعد ،..فساروا به إلى شذونة...**" [1]

[1] مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص.24.

كانت الأقاليم التي أشار عليه الأدلّاء لفتحها ، هي تلك التي تقع في الجهة الغربية من شبه الجزيرة الإيبيرية، فبدأ مباشرة بالشّمال الغربيّ حتّى وصل إلى مدينة **شذونة**[1]ونجح في فتحها[2].

ثمّ تقدّم إلى **قرمونة**[3]والتي يبدو أنّها استعصت عليه في البداية ، بسبب طبيعة المدينة التي كانت شديدة الحصانة، ممّا اضطرّ موسى بن نصير إلى استعمال الحيلة والمكر للظّفر بها. فأرسل جماعة من رجال يوليان لطلب المساعدة من أعيانها على أساس أنّهم هزموا من طرف الجيش القوطيّ، فاستجابوا لطلب القائد موسى، وسهّلوا على بعثته المهمّة. وهكذا تمكّنت تلك الجماعة من الإيقاع بالحرس ونجحوا أخيرا في دخولها وفتحها[4].

[1] **شذونة:** تقع غرب قرطبة، وتتّصل بكورة مورو مائلة إلى الجنوب قليلا، يحدّها شرقا الجزيرة الخضراء، وجنوبا إقليم البحيرة، وغربا المحيط الأطلسي ومورو شمالا، وهي وافرة الأنهار مثل نهر البرباط ووادي لكة. انظر:
– الحميري: المصدر السّابق، ص. 100، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977م، ص. 329.

[2] ابن القوطية: المصدر السابق، ص. 35، ابن عذاري: المصدر السّابق، ج2، ص. 19، مؤلف مجهول: المصدر السابق،ص.24، المقري: المصدر السّابق، ج1،ص. 269.

[3] **قرمونة:** مدينة تقع شرق إشبيلية بينها وبين إستجة خمسة وأربعون ميلا وهي مدينة كبيرة وقديمة تقع على سفح جبل عليها سور حجارة..، انظر: الحميري: المصدر السابق، ص. 158، 159

[4] ابن عذاري: المصدر السّابق، ج .2، ص .13، 14، مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص. 24، المقري: المصدر السّابق، ج1، ص. 269.انظر أيضا:
– فرانشيسكو قوديرا: من التاريخ السياسي لغرب الأندلس، تر. محمد عبد الحميد عيسى، مطبوعات قسم العلوم الاجتماعية، عين شمس، مصر،1990، ص. 5

توجّه موسى بن نصير بعد ذلك إلى إشبيلية[1] التي طال حصارها لعدّة أشهر حتّى تمكّن من فتحها بعد أن هرب منها سكّانها إلى باجة[2](Beja)[3]، وترك بها بعض رجاله وسار بعدها إلى ماردة[4] (Merida) وحاصرها لمدة طويلة ، بعد أن أظهر أهلها استماتة كبيرة في الذّود عنها. يقول المقري بشأن بسالة سكّان ماردة : " **وكانوا ذو منعة شديدة وبأس عظيم**"، وقد تأذّى المسلمون كثيرا أثناء هذا الحصار. ومن أمثلة ذلك: موضع استشهد فيه العديد منهم أطلق عليه اسم برج الشّهداء[5].

وفي أثناء ذلك الحصار استغلّ سكّان باجة من المسيحيين تعثّر الجيش الإسلاميّ عند أسوار ماردة وقاموا بانتفاضة على الحامية الإسلاميّة التي كانت تشرف على حمايتها، وقتلوا منهم عددا من الجنود. عندما وصل الخبر إلى موسى بن نصير أرسل

[1] **إشبيلية:** مدينة قديمة أصل تسميتها إشبالي أي المدينة المنبسطة، بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أميال، عرفت بحصانتها أطلق عليها كذلك اسم عروس مدائن الأندلس، للمزيد راجع:
– أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، ص. 88، الحميري: المصدر السابق، ص. 18، 19،

[2] ابن عذاري: المصدر السّابق، ص .14، المقري: المصدر السّابق، ج1، ص. 269.

[3] **باجة:** من المدن القديمة بنيت أيام الأقاصرة وتعني تسميتها " الصلح «،عرفت بمناعتها وحصانتها. انظر: الحميري: المصدر السابق، ص .36

[4] **ماردة:** كورة واسعة من نواحي الأندلس تقع غربه، وهي من أعمال قرطبة، وقد كانت منزلا للملوك الأوائل، كما تعد من أمنع المناطق الغربية، تأسست على يد الإمبراطور الروماني أغسطس قيصر الذي جعلها عاصمة لإقليم لوزيتانيا ، وقد حملت هذه المنطقة الحضارة الرومانية فعرفت باسم : la roma espana أي روما إسبانيا . انظر:
– مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السّابق، ص. 25، المقري: المصدر السابق، ص. 270. راجع أيضا:
– فرانشيسكو قوديرا : المرجع السابق ، ص . 5

[5] المقري : المصدر السابق، ج.1، ص. 270

ابنه عبد العزيز فاستولى على باجة وسار إلى لبلةNiebla[1]وفتحها، ثمّ عاد إلى اشبيلية[2]. أمّا ماردة فبعد طول الحصار الذي فرضه موسى بن نصير على المدينة اضطرّ سكّانها إلى عقد الصّلح معه، فتمكّن هو الآخر من ضمّها يوم عيد الفطر سنة 94هـ/713م[3].

لم يكمل طارق بن زياد وموسى بن نصير مشروع ضمّ جميع الأقاليم الغربيّة[4]، لأنّ الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك استدعاهما إلى دمشق[5]. عندئذ خلف عبد العزيز والده في القيادة والولاية، وواصل فتح ما تبقّى من المنطقة الغربيّة، ففتح يابرة (Evora)[6]،

[1] **لبلة:** هي مدينة قديمة واقعة غرب الأندلس ويذكر الحميري أنّ بها ثلاث عيون وتعرف بالحمراء، بينها وبين البحر المحيط ستة أميال، كما أنّها كثيرة الزّيتون والشّجر تقع غرب الأندلس، قريبة من إشبيلية. الحميري: المصدر السابق، ص، 168، 169

[2] المقري: المصدر السّابق، ص. 271

[3] بن القوطية: المصدر السّابق، ص. 35، ابن عذاري: المصدر السّابق، ص. 14، 15، المقري: المصدر السّابق، ص. 271

[4] لم يتبق إلّا الجزء الشّمالي الغربيّ فقد أُخذت منهم الجزية مقابل البقاء في مدنهم وقُراهم دون أن يتوغّل المسلمون فيها، وتدعى تلك المنطقة**جليقية وهي** ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الأندلس في أقصاه من جهة الغرب، وقد قسّمها البكري إلى أربعة أقسام: الأوّل يلي الغرب وينحرف إلى الشّمال، والثّاني هو المسمّى بحوز أشتوريس، والثّالث ما كان من جليقية بين الغرب والجنوب، ويُسمّى أهله البرتقالش، أي البرتغال، والرّابع ما كان بين الشّرق والجنوب ويُسمّى قشتيلة. انظر: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري: المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، ج. 2، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط.1 ، 2003 م ، ص.398 . وانظر أيضا:

–شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، المجلد 2، دار صادر، بيروت، ص. 157.

[5] ابن القوطية: المصدر السابق، ص. 36.

– المقري: المصدر السابق، ص.233، 275،234

[6] **يابرة:**هي مدينة قديمة من كور باجة. الحميري: المصدر السابق، ص. 197.

وشنترين (Samtaren)[1] حوالي سنة 714م/95هـ، ثم توجّه إلى قلمرية (Coimbra)[2] في أقصى الغرب فصالح أهلها على السّماح لهم بتسيير شؤونهم بأنفسهم ، في مقابل دفع الجزية وعدم الغدر بالمسلمين[3]. وبذلك خضعت الجهة الغربيّة لنفوذ المسلمين وتغيّر اسمها الذي عرفت به قديما من لوزيتانيا إلى **غرب الأندلس** أو(الغرب) ، أو كور[4] الغرب أي المدن الواقعة غربا . ومن بينها : باجة (**Beja**)، شنترين(**Santarem**)، شنترة (**Cintra**)[5]، وقلمرية (**Coimbra**) في الشّمال حتّى نهر دويرة، وقد كانت كل هذه المدن تشكّل منطقة الغرب وعاصمتها **ماردة Merida**.(انظر الخريطة).

---

[1] **شنترين:** ذكر ياقوت الحموي أن تسميتها مركّبة من كلمتين، شنت أي البلدة أو الناحية، ورين بكسر الراء وياء مثناة من تحت ونون. المصدر السابق، ج3، ص. 316.وهي من أعمال لشبونة وتبعد عنها إلى الشمال بـ: 67 كلم، تقع على نهر تاجة قرب مصبه في المحيط على جبل شاهق الارتفاع؛ انظر: الحميري: المصدر السابق، ص. 113.
– المقري: المصدر السّابق، ص. 144.

[2] **قلمرية:**ذكر الحميري أنها من بلاد البرتقال وهي تقع على جبل مستدير وعليها سور حصين به ثلاثة أبواب وهي صغيرة متحضرة عامرة وكثيرة الكروم، انظر: المصدر السابق، ص. 164.

[3] وتجدر بنا الإشارة أنّ قلمرية استمرت تحت السيادة الإسلامية حتّى سقطت على يد النّصارى سنة 268هـ872م، أعادها المسلمون سنة 378هـ/987م، ثمّ استولى عليها النصارى مرّة أخرى في عصر الطوائف (456هـ/1064م)؛ انظر: شيماء عبد الحميد سعد البنا: قراءة في تاريخ مدن الغرب الأندلسيّ (سقوط قلمريّة 456هـ/1064م)، مقال بدوريّة كان التّاريخيّة (مجلّة محكمة)، العدد 32، جوان 2016، ص. 139.

[4] **كور:**عبارة عن عدة أقاليم، كلّ إقليم يتبعه عدد من القرى، وكان يطلق على كلّ ما يدخل في نطاق الكورة اسم عمل، وجمعه أعمال، وكان الخليفة يعيّن على هذه الكور عمّالا ليتولّوا شؤونها نيابة عنه وفي جميع المجالات العسكرية والمالية، بينما كان القواد العسكريون يتولون إدارة المدن التي تقع في الثغور، وكان هؤلاء القادة العسكريون والولاة يقيمون في مركز الكورة ويُعرف باسم القاعدة أو القصبة. انظر: حسين مؤنس: فجر التاريخ، المرجع السابق، ص.555 وما بعدها.

[5] **شنترة:** تقع إلى الشمال الشرقي من لشبونة على مقربة من المحيط الأطلسي ولا تبعُد عنه سوى ميل واحد، وهي على نهر تاجة الذي يروي أراضيها، ولها حصنان في غاية المنعة، ومن صفاتها أنّ الضباب يغشاها دون انقطاع، وهي صحية الهواء تطول أعمار أهلها. انظر:
– الحميري، المصدر السابق، ص. 112، 113، المقري: المصدر السابق، ص. 164.

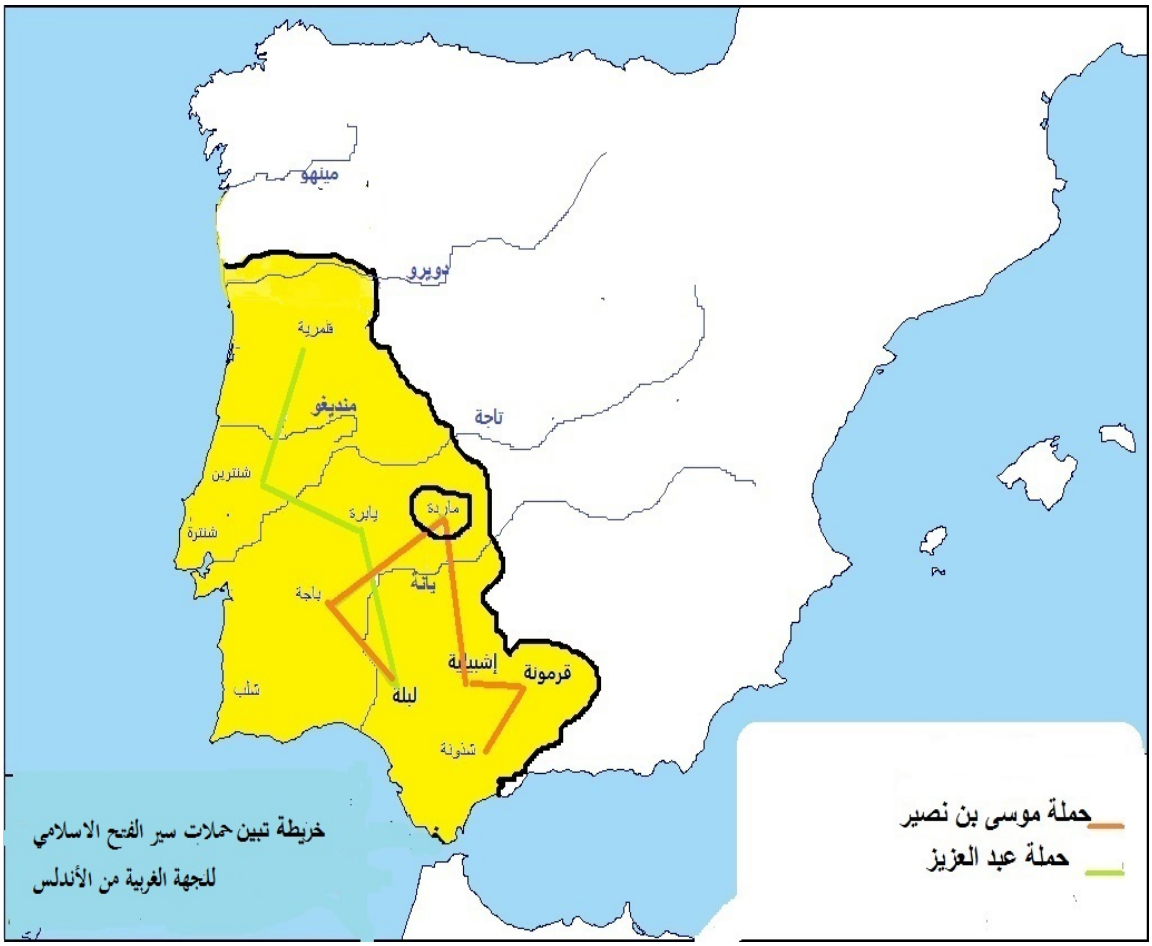

خريطة تبين حملات سير الفتح الإسلامي للجهة الغربية من الأندلس

وفي الإشارة إلى جغرافيّة بلاد الأندلس، بيّن البكري في كتابه المسالك والممالك أنّ الأندلس كانت مقسّمة إلى ستّة أجزاء وأشار إلى الجهة الغربيّة بالجزء الخامس الذي قاعدته ماردة وهو يحتوي على اثنتي عشرة مدينة منها:باجة، أكشونبة، يابرة، شنترة، شنترين، أشبونة، قلمرية[1].

والملاحظ أنّ عبد العزيز بن موسى في فتحه للجهة الغربيّة لم يكن يلجأ إلى وسيلة الحرب والمواجهة العسكريّة لإخضاع أهالي المنطقة كما فعل والده في السّابق، إنّما فضّل سياسة المهادنة وعقد المعاهدات التي تؤدّي إلى قبول السّلام مقابل دفع الجزية. فعبد

[1] البكري: المصدر السابق، ص.270، 271

العزيز عندما كان يقبل بالجزية من تلك المناطق كان يترك أهاليها على حالهم دون تغيير في مناطقهم ماعدا تعيينه لحاكم مسلم تابع له لتسيير شؤونها، أي أنّ تلك المناطق بقيت على حالها بعد ضمّ عبد العزيز لها، فأغلب سكّانها مسيحيّون تركهم يعيشون في أمن وسلام كسابق عهدهم.

على أنّ اللّافت للانتباه في هذه المسألة هو أنّ المناطق الغربيّة التي فتحت عنوة، بالقوّة العسكريّة، عرفت استقرارا كبيرا للعرق العربي مثل : إشبيلية ، باجة، بينما المناطق التي دخلت في حظيرة الدّولة الإسلامية بعد أن قبلت الجزية ، فقد كان استقرار العنصر العربيّ بها أقل قياسا مع وجود العنصر الأمازيغي مثل : ماردة [1] .

ولا شيء يفسّر هذا التصرف إلّا فرضيّة أن تكون قد بدأت تظهر في هذه الفترة خلافات بين العنصر البربريّ والعنصر العربيّ، ممّا دفع بكلّ طرف إلى العيش في عزلة عن الطّرف الآخر. بدليل أنّه لم يمض وقت طويل حتى بدأت تندلع في الأندلس العديد من الثّورات المعارضة للحكم الأموي في مختلف أنحاء الأندلس، وبالأخصّ الجهة الغربيّة[2].فقد كانت الأقاليم التي تمّ فتحها عن طريق معاهدات سلام من أكثر المناطق التي لجأ إليها الثّوار للتّعبير عن رفضهم للحكم الأموي.

[1] Ibid , p. 25

[2] مثل ثورة"**العلاء بن مغيث اليحصبي**"، لمزيد من التفاصيل عنها انظر:

– لسان الدين بن الخطيب: كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، لبنان، ج2، ط2، 1956، ص. 9، الحميري: الروض المعطار، المصدر السابق، ص. 162، ابن عذاري: المصدر السابق، ص. 52.

2. دور الخلافة الأموية بقرطبة في تدعيم الوجود الإسلامي بغرب الأندلس

في سنة 300هـ/912م تولّى **عبد الرحمان الثّالث**[1] الحكم على ولاية الأندلس وأعلن نفسه خليفة، ولكي يضمن الأمن والاستقرار سعى بكلّ ذكاء إلى إطفاء نار التّمرّد[2] خاصة في الأقاليم الغربيّة[3].

وثورة أهل ماردة سنة 213هـ/828م، انظر تفاصيلها في :

– ابن القوطية: المصدر السابق، ص. 67، ابن عذاري: المصدر السابق، ص. 126 ، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، ج4، دار الفكر والنشر والتوزيع، 2000م، ص. 165. إلا أن أشهرها ثورة **عبد الرحمان بن مروان الجليقي** الذي قام بعدة ثورات حتى سيطر على بطليوس واتخذها قاعدة ينطلق منها إلى بقية أنحاء الغرب حتى أشبونة، وجنوبا إلى غاية باجة يعيث فيها فسادا، فسئم منه أتباعه، ولجأوا إلى الأمير محمد بن عبد الرحمان، فهرب الجليقي إلى ألفونسو الثالث ومكث عنده عدّة أعوام، ثمّ عاد بعدها إلى بطليوس بعد خلاف نشب بينهما ، و استأنف غاراته مرّة أخرى بالمنطقة، وفي سنة 271هـ/884م حاربه الأمير وأرغمه على الفرار ، وقام المنذر بتدمير حصون بطليوس، دون القضاء على تمرده فقبل الأمير **محمد بن عبد الرحمان** استقلال ابن مروان ببطليوس ، فانقسمت منطقة الغرب لعدة مناطق : سيطر **عبد الرحمان بن مروان الجليقي** على بطليوس وماردة، واستقلّ عبد الملك بن أبي الجواد بمدينة **باجة** ، وتحصّن بحصن مرتلة « **Mertola** » ، أمّا بكر بن يحي فاستقل بشنتمرية الغرب .

– ابن عذاري: المصدر السابق، ص. 103–105، 135 – 137. انظر أيضا:

– سحر عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص. 248.

[1] هو عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية، يُكنّى بأبي المطرف، ولقبه الناصر لدين الله، ولد سنة 277هـ، وهو أول من لُقّب بأمير المؤمنين من بني أمية، وتوفي سنة 350هـ/962م؛ انظر: مجهول: ذكر بلاد الأندلس، المصدر السابق، ص. 160،161، ابن الخطيب: المصدر السابق، ص. 28.

[2] عمد الناصر إلى سياسة المصالحة مع جميع أطراف النّزاع، فأرسل رسالة يدعوهم جميعا إلى الوحدة ووعدهم بامتيازات مادية ومعنوية في حالة الاستجابة، ومصادرة الأموال والقتال للذين يرفضون نداءه. مجهول: ذكر بلاد الأندلس: المصدر السابق، ص. 160، 161.

[3] وجّه حملته إليها سنة 317 هـ / 929 م مع ولديه الحكَم والمنذر وترك ابنه عبد العزيز ليتولى شئون الحكم مكانه في قرطبة ، ورغم إرساله رسالة إلى صاحب بطليوس **عبد الرحمان بن عبد الله الجليقي** ينذره بالتّخلي عن العصيان إلّا أنّه رفض فحاصر عبد الرحمان الثالث بطليوس وقاتل المقاومين له بها حتى اضطرّ الجليقي إلى الاستسلام فقبل الناصر بذلك وعيّن واليا جديدا على بطليوس هو **عثمان بن عبد الله** سنة 318هـ/930م، ثمّ توّجه إلى باجة وحارب الثّائر بها عبد الرحمان بن سعيد ونجح في دخولها وإيقاف التمرد بها، ثم قام بتعيين من يثق به ليتولّى شؤونها ليغادرها

كما عمل على كسب ودّ الأهالي(السّكان الأصليين)[1]، واستطاع بذلك إخضاع جميع الأقاليم لنفوذه، فاتّخذ من قرطبة عاصمة للخلافة.

في عهد **الحكم المستنصر**[2] تعرّضت إمارة الأندلس إلى خطر خارجي تمثل في هجوم **النّورمان**[3]، وقد تركّزت تلك الهجومات على السّواحل الغربيّة لشبه الجزيرة

بعد أسبوعيْن .قصد بعدها أكشونبة الواقعة على ساحل شبه الجزيرة الإيبيرية، وأخضع الثائر بها خلف بن بكر دون قتال، ونظرا لمدح أهالي أكشونبة له ولتسييره الحسن لمنطقتهم أبقاه عبد الرحمان الثالث على ولايته لها ، وفرض عليه دفع جزية سنوية مع الالتزام بمواصلة تسييره الحسن للمنطقة وألحّ عليه بعدم استقبال المنشقّين عن قرطبة ، فتعهّد خلف بن بكر بالالتزام بذلك فتمكّن بفضل سياسيته تلك من إخضاع معظم منطقة غرب الأندلس ، ولم يبق سوى معارض واحد له بالمنطقة هو الجليقي المحاصر في بطليوس، وبعد عدّة أشهر من التضييق عليه، جنح هو الآخر إلى المهادنة وطلب الصّفح من الناصر، وخضع إلى الوحدة والطّاعة، وبذلك تمّت السيطرة أخيرا على الجهة الغربيّة وخضعت للحكم الإسلاميّ . انظر:

– ابن عذاري: المصدر السابق، ص. 199 – 202.اطلع أيضا على:

– أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ص. 167، عبد المجيد نعنعي: تاريخ الدولة الأموية في الأندلس (التّاريخ السّياسي)، دار النهضة العربية، بيروت، ص. 330، 331، محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ال قسم2، ص. 389، 390، سحر عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص. 335

[1] كان ذكيا في تعامله مع أهالي المنطقة الغربيّة وحتّى الثّائرين بها مثل خلف بن بكر، فبمجرد تزكية الأهالي له تركه الخليفة لتسيير شؤون المنطقة، فقد اعتبر موقفه ذلك من بين الأسباب التي أدّت إلى نجاحه في إرجاع الأوضاع إلى طبيعتها والقضاء على التّمردات وبالتالي زيادة الولاء للخلافة في قرطبة.

Christophe Picard :op, cit. p.56.

[2]هو الحكم بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية، بويع بعد موت والده في 3 رمضان 350هـ/912م، وكان عالما فقيها بالمذاهب وإماما في معرفة الأنساب، حافظا للتاريخ؛ ابن الخطيب: المصدر السابق، ص. 41.

[3]**النورمان:** هم مجموعة الشّعوب التي سكنت شبه جزيرة إسكندناوة وشبه جزيرة جتلاند، عُرفوا بعدة تسميات مثل النورماند. الفايكنغ (أي رجال أرض الخلجان).. وسماهم المسلمون المجوس والأردمانيين، وانقسم الشّعب النورماندي إلى قبائل هي: السويديون، والنرويجيون، والدانماركيون، والدانيون والفنلنديون؛ للمزيد من التفاصيل حولهم، انظر: عبد الوهاب عيفة: الغزو النورماندي لفرنسا وإسبانيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: باقة رشيد، قسم التاريخ، جامعة باتنة، السنة الجامعية: 2014/2013، ص. 19–22.

الإيبيرية[1]، وبالضّبط على قصر أبي دانس[2] قرب لشبونة سنة 355هـ/966م حيث عاثوا فيها فسادا، ثمّ انتقلوا إلى إشبونة أين اجتمع فيها المسلمون للقتال. فخرج أسطول إشبيليّة بقيادة عبد الرحمان بن رماحس متوجّها إلى السّواحل الجنوبيّة للغرب الأندلسيّ، وهناك التقت سفن المسلمين بالنّورمان عند مضيق نهر شلب، فهزمهم المسلمون وأنقذوا من كان بتلك السّفن من الأسرى، إلّا أنّ خطرهم لم يتوقّف حيث كانوا يُغيرون من حين لآخر على الجهة الغربيّة، والمسلمون كانوا لهم في كلّ مرة بالمرصاد[3]. توالت رسل أهالي غرب الأندلس طالبة النجدة من الخليفة بعد أن عاود النّورمان تهديد شواطئهم ، فاستدعى الخليفة القائد عبد الرحمان بن رماحس وأمره بالتوجّه إلى المرية[4]، قاعدة الأسطول الرئيسيّة، وهناك جمع كلّ القطع البحريّة العاملة في المتوسط والمحيط، وأمرهم بالخروج لمواجهة النّورمان عند السّواحل الغربية، كما حرص على إيصال المؤونة من أغذية

[1] يذكر ابن عذاري أنه ورد "كتاب من قصر أبي دانس يذكر فيه ظهور أسطول المجوس ببحر الغرب واضطراب أهل ذلك الساحل كله لذلك... وكانوا في ثمانية وعشرين مركبا، ثمّ ترادفت الكتب من تلك السواحل بأخبارهم وأنهم قد أضرّوا بها..."؛ انظر: ابن عذاري: المصدر السابق، ص. 239؛

[2] مدينة قديمة كان الرومان يسمونها Salacia، وعرفها العرب باسم قصر وردانس ثمّ قصر أبي دانس، ثمّ القصر. وأبو دانس شخصية إسلامية بربرية؛ انظر: سحر عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص. 196. ويذكر الحميري أنها "تقع غربي الأندلس وبها كانت الوقيعة على المسلمين للروم في 614هـ، وأعانهم أهل الأشبونة وغيرها من مملكة ابن الرنق...». انظر: الحميري، المصدر السابق، ص. 162.

[3] ابن عذاري: المصدر السابق، ص. 239، المقري: المصدر السابق، ج.1، ص . 383، 384. انظر أيضا:
– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص. 488، 489، عبد المجيد نعنعي: المرجع السابق، ص. 404، الحجي: المرجع السابق، ص. 308.

[4] **المرية:** مدينة محدثة البناء شيّدها الخليفة الناصر سنة 344هـ/955م، تقع بين مدينتي مالقة ومرسية على ساحل بحر الزقاق؛ سحر عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، 1984، ص. 17-19.
يصفها القزويني بأنها من أكرم المدن وأطيبها، وهي تقع غرب قرطبة؛ انظر: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، طبع بليدن، 1848، ص. 335.

وسلاح إلى الأسطول المجهّز، ما جعل النورمان يفرّون دون محاولة النّزول إلى الشّواطئ الأندلسيّة[1]. كما نجح المسلمون كذلك سنة 361 هـ / 971 م في رد هجوم آخر للنّورمان على السّواحل الغربيّة، وكلّ ذلك راجع لسياسة الحيطة والحذر التي اتّبعها الحكم المستنصر، من خلال الحملات التي كان يرسلها إلى الأقاليم الغربيّة[2]،وبفضلها استطاع إبعاد خطر النّورمان الذي هدّد الأندلس عامّة وجهة غرب الأندلس بصفة خاصّة[3].

كان من نتائج سياسة عبد الرّحمان النّاصر وابنه الحكم المستنصر أن عمّ الأمن والاستقرار في ربوع الأندلس ، فازدهر الاقتصاد خاصّة في منطقة الغرب، بسبب الرّخاء الذي عمّ سائر أقاليم الأندلس وما نتج عنه من عائدات ماليّة كثيرة امتلأت بها خزائن الدّولة[4]. توجد دلائل كثيرة تشير إلى أنّ المنطقة الغربيّة كانت تعرف انتعاشا اقتصاديّا قبل إخضاع عبد الرحمان الثالث لها ليزداد رخاؤها في عهده، من بينها الرّخاء الذي عرفته إكشونبة والذي مكّن حاكمها خلف بن بكر من تسييرها تسييرا حسنا ممّا أدّى إلى دفاع الأهالي عنه أمام الخليفة [5] لمّا أراد عزله ، إضافة إلى حركة بناء المساجد والأسواق

[1] ابن عذاري: المصدر السابق، ص. 242، ابن خلدون: المصدر السابق، ص. 186. انظر كذلك:
– سحر عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص. 286، عبد المجيد نعنعي: المرجع السابق، ص. 405، 406

[2] في سنة 361هـ/971م أرسل الخليفة حملة استطلاعية إلى الغرب بدافع مراقبة النورمان ولأخذ الحيطة والحذر من هجوماتهم المباغتة للمنطقة، فكلف هشام بن محمد بن عثمان صاحب الشرطة ومولاه زياد بن الأفلح بتجهيز جيش، وخرجا إلى الغرب وتجولوا فيها حتى شنترين، مما زاد من ثقة الناس، ولما تأكدا من أمنها رجعا إلى قرطبة؛ انظر: عبد المجيد نعنعي: المرجع السابق، ص. 406،407.

[3] عبد الرحمان الحجي: المرجع السابق، ص. 311، عبد المجيد نعنعي: المرجع السابق، ص. 407.

[4] - Ashtor Eliyzhu : Prix et salaire dans l'Espagne musulmane , article annales Economies Sociétés civilisations , Année , 1965 , 20 N 4 , pp . 664 – 679

[5] - Christophe Picard : op , cit , p .57

وإعادة إعمار العديد من المدن وتأسيس أخرى جديدة مثل : تأسيس بطليوس وإعمار قصر أبي دانس Al cacer de sal ، وكذلك إعادة بناء يابرة ، دون أن ننسى السّياسة البحرية التي تبنّاها الحكم المستنصر لمواجهة النّورمان والتي تطلّبت أموالا وعتادا ضخما[1]، هذا إلى جانب انتعاش التّجارة منذ نهاية القرن التّاسع الميلادي[2].

كما عرفت الأقاليم الغربيّة، إلى جانب الانتعاش الاقتصاديّ والتجاريّ، استقرارا إداريّا ملحوظا عزّز روابط النّسيج الاجتماعي، وشجّع العديد من الأسر العربيّة المقيمة بالمنطقة على تقديم ولائها للخلافة الأمويّة في قرطبة، حيث ساهمت في التّسيير الحسن للمنطقة، ما مكّن من تثبيت تواجدهم بالأندلس، وقد حقّقت تلك الأسر نجاحا هاما خلال مسيرتها المهنيّة مع الأمويين الأمر الذي عزّز الرّوابط بين النّخب المحليّة والقوّة المركزية في قرطبة. عرفت حاضرة شلب Silves مثلا استقرار عائلات من أصول عربيّة أصيلة بها منذ القرن التّاسع للميلاد، ساهمت هي الأخرى في خدمة الإدارة الأمويّة بالمنطقة بكلّ إخلاص وتفان، نذكر من بينها: بنو مزين الذين أصبحوا سادة المنطقة خلال القرن الحادي عشر، عند ظهور الفتنة حيث تقلّد جدّهم منصب والي طليطلة ثم تولّى أحفاده من بعده عدّة مناصب سواء في الإدارة أو القضاء، حتى ثبّتوا تواجدهم في شلب. كما حافظوا على روابطهم المتينة مع الأمويين إلى أن احتلّوا مكانة هامّة في القرن الحادي

[1] - Cristophe Picard : A islamizasao do Gharb al-Andalus , Portugal Islamico os ultimos Sinais do Mediterraneo , Museu Nacional de Arqueologia , p26 -29
[2] - Christophe Picard : Portugal Musulmane, op , cit , p . 58

عشر للميلاد [1]. ومن الأسر كذلك التي برزت في الغرب: بنو ملّاح الذين انتشروا في باجة وشلب واشتهر بعض أفرادها خلال القرن العاشر للميلاد بخدماتهم الوفيّة للإدارة الأمويّة، وعرف البعض الآخر من تلك العائلة بالثّراء. هذا إضافة إلى وجود عائلات في الجهة الغربيّة الجنوبيّة حتّى إشبيلية أظهرت ولاءها هي الأخرى في خدمة الأمويين مثل: أسرة بني الحجّاج التي برزت في القرن العاشر للميلاد. إلى جانب الأسر ظهرت كذلك شخصيّات من مدن الغرب الأندلسيّ برزت في خدماتها الإداريّة للأمويين ، منها : أبو الوليد الباجي الذي اشتهر في قرطبة ودانية في القرن الحادي عشر ميلادي[2]

غير أنّ سنين العزّ والازدهار التي نعم بها الأندلس تحت حكم الأسرة الأمويّة لم تدم طويلا، إذ سرعان ما دخلت الأندلس، مرّة أخرى، في دوّامة من الخلافات السّياسية والصّراعات العرقيّة التي ألقت به في أحضان الفتنة الطائفيّة.

[1]ابن عذاري: المصدر السابق، ج .3، ص.297، 298. انظر كذلك:

– أمحمد بوشريط: ظاهرة البيوتات الأندلسية ودورها الثقافي 300هـ – 460 هـ / 912 م – 1067 م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف: محمد بن معمر، قسم التاريخ، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2011 – 2012 م، ص.32.

[2]Christophe Picard : op , cit , p. 59 , 60

3. الأوضاع في غرب الأندلس على عهد ملوك الطوائف

بعد الأحداث التي عرفتها الأندلس خلال عهد الخلافة الأموية، والنّجاح الباهر الذي حقّقته في إخضاع المنطقة والتّحكم في شؤونها، سرعان ما تدهورت الأوضاع مع تولّي هشام بن الحكم المستنصر[1] الخلافة ولم يستطع التحكّم في زمام الأمور[2] لصغر سنّه. لذا تولّى الحاجب محمّد بن أبي عامر[3] الحكم باسمه ، ونجح في تحقيق العديد من الانتصارات خاصّة على المسيحيّين فأجبرهم على القبول بسلطته والخضوع له [4]، لذلك لُقّب بالمنصور[5].

[1] تولّى الحكم وهو صغير السنّ، فيذكر ابن عذاري أنه بلغ 11 سنة و8 أشهر، انظر: المصدر السابق، ص. 253. أمّا المقري فذكر أنّ عمره 9 سنوات، المصدر السابق، ج1، ص. 396.

وورد في بغية الملتمس أنه كان في سنّ العاشرة، وبالتالي لم يكن مؤهلا بعد للمسئوليّة التي حمّلت له؛ انظر:

– الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكاتب العربي ، ط.2 ، بيروت ، ص . 21

[2] وصف ابن الخطيب ذلك بقوله: "... **لا يُنسب إليه تدبير ولا يرجع إليه من الأمور قليل ولا كثير، إذ كان في نفسه وأصل تركيبه مضعفا مشغولا بالترهات ولعب الصبيان والبنات...**"؛ انظر: المصدر السابق، ص. 58.

[3] هو من قبيلة معافر اليمنية، وجدّه عبد الملك بن عامر من أوائل الداخلين إلى الأندلس.

– ابن الآبار: المصدر السابق، ص. 272،273.

– ابن عذاري: المصدر السابق، ص. 256

[4] ابن الخطيب: المصدر السابق ، ص . 66 ، 67 .

- المقري: المصدر السابق، ص . 396

[5] دامت انتصاراته 20 سنة ،"...**غزا المنصور 57 غزوة لم تنكس له فيها راية...**" .

– ابن عذاري: المصدر السابق، ص. 301 .

أمّا منطقة غرب الأندلس فقد تركها الخليفة الحكم المستنصر للفتى سابور[1]لتسيير شؤونها. لذلك عندما تولّى محمد بن أبي عامر شؤون الخلافة باسم الخليفة هشام تركه مسؤولا على المنطقة الغربيّة التي أضحت بطليوس قاعدة لها.

بعد وفاة المنصور (محمد بن أبي عامر) سنة 392هـ/1002م، خلفه أبناؤه على كرسيّ الخلافة[2]، لتدخل الأندلس على إثرها في مرحلة من الفوضى ، أدّت بها إلى الانزلاق في أتون الصّراعات العرقيّة والانقسامات السّياسية ، فكانت النّتيجة سقوط حكم الخلافة الأموية في الأندلس سنة 422هـ[3]. تجلّى ذلك في ظهور العديد من الأسر

[1]لفتى سابور كان من فتيان رئيس الصقالبة في بلاط الحكم المستنصر فائق الصقلبي وخادمه الخاص، ويبدو أن سابور أصبح من فتيان المنصور بن أبي عامر الذي أوصله لتسيير منطقة الغرب وذكرت الدكتورة سحر نقلا عن مارتنيث إي مارتنيث « Martinez y Martinez » أنّ المنصور هو الذي أوحي إلى الحكم المستنصر أن يسند حكم بطليوس إلى الفتى سابور، وكان غرض المنصور في الظّاهر مكافأة جهوده، ولكنّه في الحقيقة أراد إبعاده عن المسرح السّياسي في قرطبة، أمّا عن كيفية معرفة المنصور بالفتى سابور فذلك راجع إلى تعيين الحكم المستنصر للمنصور في منصب قاضي القضاة في الغرب، وهو ما وطّد العلاقة بينهما. لمزيد من التفاصيل، انظر:

– سحر عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص. 350، 351

[2] أبناؤه عبد الملك المظفّر وعبد الرحمان شنجول، هذا الأخير أسلمت أمه بعد زواجها بالمنصور وسمّيت عبدة، وأطلقت على ابنها شنجول تصغيرا لشانجة ونسبة إلى جده شانجة غرسية الثاني ملك نبرة (نافار). لمزيد من التفاصيل عنهما، انظر:

– ابن بسام الشنتريني (أبو الحسن علي): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، المجلد 1، القسم 1، دار الثقافة، بيروت، 1997،ص. 104–105، ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص. 38، ابن الخطيب: المصدر السابق، ص. 66.

[3] فبعد وفاة المنصور خلفه ابنه المظفر ثم عبد الرحمان الملقب بشنجول الذي طمع في سلطة هشام المؤيد وحمله على أن يتعهد له بولاية العهد فنزل الخليفة لرغبته ، الأمر الذي أدى إلى ثورة الأمويين ضد شنجول لإعادة الخلافة إليهم فولوا أمرهم إلى المهدي بالله الذي أساء للبربر وهو ما أدى إلى ظهور الفتنة البربرية التي تصارعت فيها عدة عناصر من بربر وصقالبة وعرب ، فالتف البربر حول سليمان بن الحكم وبايعوه بالخلافة سنة 399 هـ وسمي بالمستعين ، فانقسمت بذلك الأندلس إلى حزبين : البربر يؤيدون سليمان المستعين ، والأندلسيون مع محمد بن هشام

والشخصيّات التي استقلّت بمناطقها، وراحت تتنافس فيما بينها للحفاظ على ما بيدها، أو تتوسّع على حساب أملاك غيرها، وتتسابق على كسب المزيد من الأراضي وتتّخذ أفخم الألقاب. أطلق على هذه المرحلة المضطربة بعصر ملوك الطّوائف الذين فاق عددهم الثّلاث والعشرين إمارة إسلاميّة، منها الكبيرة التي كانت تسيطر على أقاليم شاسعة ، ومنها الصّغيرة التي اقتصرت على حكم منطقة أو مدينة واحدة[1].

لجأت كلّ إمارة إلى شتّى الوسائل والطّرق من أجل التوسّع على حساب الإمارات الأخرى، بل اعتمدت في كثير من المرّات على الاستنجاد بالممالك المسيحية وعقد معاهدات معهم ومؤامرات ضدّ الإمارات الإسلامية الأخرى[2]، فكان ذلك التّنافس هو بداية النّهاية للأندلس.[3]

المهدي ، وبدأ كل طرف يستعين بالنصارى ضد الطرف الآخر ، ولما حل بقرطبة الكثير من الأزمات هتفت العناصر الاجتماعية بإسقاط الخلافة عن الأمويين وتم ذلك سنة 422 هـ بعد إعلان الخليفة محمد بن جهور عن ذلك .

– الضبي: المصدر السابق، ص. 21، 22 ، ابن الخطيب: المصدر السابق، ص. 91، 92

[1] ابن الخطيب: المصدر السّابق، ص. 144. لمزيد من المعلومات حول الموضوع اطّلع على:

– إبراهيم بن عطية الله بن هلال السُّلمي: العدوة الأندلسية منذ عصور ملوك الطّوائف إلى سقوطها في أيدي الإسبان (422-867هـ/1030-1462م) دراسة سياسية حضارية، بحث مقدّم للحصول على درجة الدّكتوراه في التّاريخ الإسلامي، إشراف: سعد بن عبد الله البشري، قسم الدّراسات العليا التّاريخية والحضارية، جامعة أمّ القرى، المملكة العربية السّعودية، 1430هـ، ص. 74.

[2]– راغب السّرجاني: قصّة الأندلس من الفتح إلى السّقوط، مؤسّسة اقرأ للنّشر والتّوزيع، ط1، 2011م، ص. 322.

– محمد عبد الله عنان: المرجع السّابق، ص. 14 ، رجب محمد عبد الحليم: المرجع السّابق، ص. 273، 274 .

[3]– ابن الأثير الجزري: الكامل في التّاريخ، مراجعة وتصحيح: يوسف الدقّاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مجلد 8، ص. 107 . انظر أيضا :

– راغب السّرجاني: المرجع السّابق، ص. 322.

أمّا غرب الأندلس فقد عرف هو الآخر استقرارا خلال عهد الخلافة الأمويّة، وعندما انقسمت الأندلس إلى إمارات، ابتلي هو الآخر بمحنة الانقسام إلى عدّة إمارات صغيرة منها: إمارة **شلب Silves**التي تأمّر عليها أبو الأصبغ من عائلة بني مزين سنة 440 هـ/1049م، وقد كان قاضيا على المنطقة لمّا اختلّت الأوضاع في الأندلس، بايعه أهل شلب فاستقلّ بالمنطقة وأحسن تسييرها حتّى توفي سنة 445 هـ/ 1054م. خلفه عليها ابنه النّاصر محمد بن أبي الأصبغ الذي بايعه أهل شلب هو الآخر وقد عرف عنه حبّه للعلم والأدب. وفي سنة 450 هـ/ 1059 خلفه ابنه المظفّر الذي لم يستطع التّصدي لحملات العبّاديّين في إشبيلية إلى أن استسلم في الأخير ، وخضعت شلب لإشبيلية [1].

كذلك من المناطق التي استقلّت في غرب الأندلس **لبلة** التي ملكها تاج الدين أبو العبّاس أحمد بن يحيى اليحصبيّ سنة 414 هـ/ 1024م، ثمّ خلفه أخوه محمّد بن يحيى اليحصبي سنة 433 هـ/ 1042م، بعد ذلك ابن أخيه ناصر الدولة الذي استسلم في الأخير للعبّاديين. كما عرفت مرتلة Mertola[2] أيضا الانفصال على يد ابن طيفور. وشنتمرية الغرب استولى عليها محمّد بن سعيد بن هارون سنة 433هـ/1042م[3] . (انظر مواقع الإمارات في غرب الأندلس على الخريطة).

---

[1]– ابن عذاري : المصدر السابق ، ج.3 ، ص . 297 ، 298

[2]–**مرتلة** : من مدن غرب الأندلس تقع على نهر بطليوس .

– الحميري : المصدر السابق ، ص . 175

[3]– ابن عذاري : المصدر السابق ، ج.3 ، ص .298 – 301 ، ابن خلدون : المصدر السابق ، ج.4 ، ص . 201 ، 202

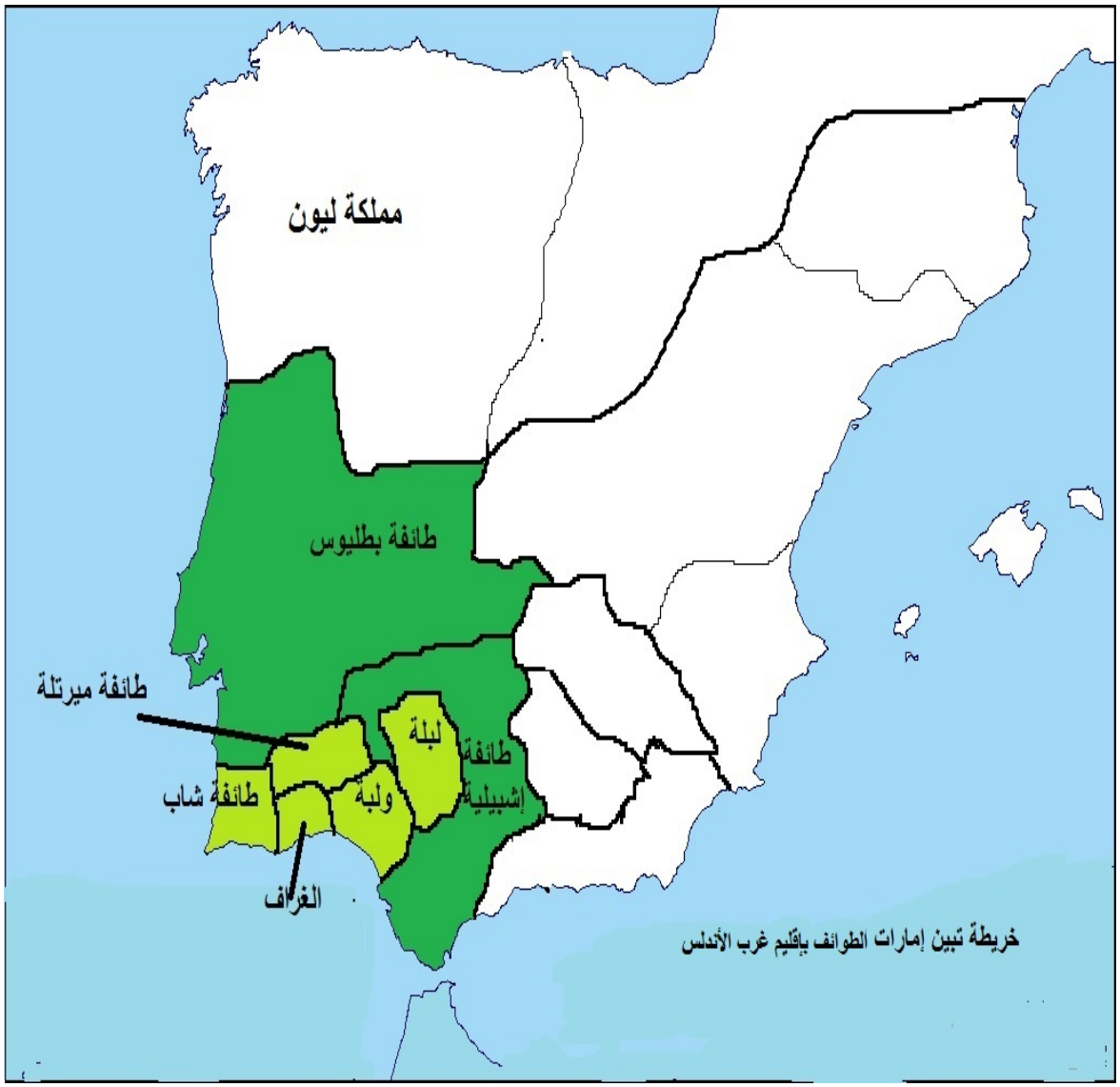

خريطة تبين إمارات الطوائف بإقليم غرب الأندلس

لم يمض وقت طويل حتى تمكن بنو عبّاد اللّخميون (414هـ_484 هـ/ _1091م 1161 م)[1]، من السيطرة على تلك الإمارات ، فأصبح غرب الأندلس تحكمه إمارتين هما

[1]– هم من سلالة المنذر بن ماء السّماء اللّخمي ومؤسّس دولتهم هو القاضي أبو القاسم محمّد بن إسماعيل بن قريش بن عبّاد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم، وجدّهم عطاف هو الذي دخل الأندلس وأصله من حمص بالشّام وأوّل نزوله كان بإشبيلية، وقد عمِل جدّهم أبو الوليد إسماعيل كقاضٍ لإشبيلية، كما عمِل قبل ذلك في عدّة مناصب، فتولّى الشّرطة لهشام المؤيّد وخطة الإمامة والخطابة ثمّ القضاء، واستغلّ ظروف الفتنة لصالحه لمّا جهّز للرياسة جيّدا، ولّى ابنه أبا القاسم محمد مكانه في القضاء حتّى استتبّ لهم الأمر في الأخير، وبعد ابنه القاسم محمد بن إسماعيل المؤسّس الفعليّ لإشبيلية. انظر:
– ابن عذارى: المصدر السّابق، ج3، ص. 193–200 .

: إمارة بني عباد في إشبيلية و إمارة بني الأفطس في بطليوس[1] ، التي كانت تتربّع على رقعة جغرافيّة كبيرة ومن مدنها: ماردة، يابرة، أشبونة، شنترين، شنترة، بازو، قلمرية وغيرها[2]، ما يعني أنّ المسلمين كانوا مسيطرين على جزء كبير من الجهة الغربيّة لشبه الجزيرة الإيبيرية ،(انظر الخريطة).

خريطة تبين سيطرة إمارة بني عباد وبني الأفطس على الغرب الأندلسي أواخر القرن 11م

– ابن الخطيب: المصدر السّابق، ص. 152–169.

[1]– تولاها الوزير ابن الأفطس هو عبد الله بن محمد بن مسلَمة بن الأفطس. ذكر ابن الخطيب أنّه خلَف سابور على أرض البرتغال وحصل على ملك غرب الأندلس؛ انظر: المصدر السابق، ص. 183.

– ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، دار الثقافة، بيروت، القسم 2، المجلد الثاني، 1997، ص. 641.

[2]– سحر عبد العزيز سالم: المرجع السّابق، ص. 359.

ظلّت العلاقات بين الإمارات الإسلاميّة في أقاليم غرب الأندلس غير مستقرة يشوبها الحذر والتّنافس، حيث كانت بطليوس في نزاع مستمر مع إمارة بني عبّاد في إشبيلية خاصة وأنّ العباديين أظهروا النية في التوسع على معظم غرب الأندلس، وهو ما خلق صراعا دائما بين الإمارتين. من أمثلته الحملة التي قام بها إسماعيل بن عبّاد على باجة[1]، لتزداد تلك الصدامات في عهد حاكم بطليوس المظفر(محمد بن عبد الله بن الأفطس) **(437-460هـ/1045-1067م)**[2]، الذي واجه عدة هجمات شنها المعتضد بن العبّاد (433-46هـ/1042-1069م) على المناطق التابعة لبطليوس[3].

[1] تواجه الطرفان مواجهة عنيفة أدت إلى سجن ابن منصور بن الأفطس (محمد) ورغم إطلاق سراحه فيما بعد إلا أن تلك الحادثة ولدت في نفسه كرها تجاه بني عباد فصمم على محاربتهم أكثر، كما التقيا كذلك في صراع آخر شمال بطليوس، هزم فيها بنو عبّاد على يد بني الأفطس سنة 1034م/425هـ.

- ابن عذارى: المصدر السّابق، ج3، ص. 203. للمزيد راجع:

- سحر عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص. 369-372، راغب السّرجاني: المرجع السّابق، ص. 358، 404، محمد عبد الله عنان: المرجع السّابق، ص. 82 ،83.

[2] ابن عذارى: المصدر السّابق، ج3، ص. 236.

- ابن الخطيب: المصدر السابق، ص. 183-184. راجع كذلك:

- سحر عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص. 387، محمد عبد الله عنان: المرجع السّابق، ص. 84.

[3] ومن بينها لبلة مثلا التي لمّا هاجمها العباديون طلب صاحبها ابن يحيى النجدة من المظفر بن الأفطس لكن الأوضاع سرعان ما تغيرت فصاحب لبلة حدث بينه وبين المظفر سوء تفاهم بعد تلك المعركة ، فأعلن ولاءه للمعتضد بن عباد وهو ما اعتبره المظفر خيانة له ، فأرسل قواته إلى لبلة وبالمقابل طلب ابن يحي مساعدة المعتضد لتعود الحرب من جديد بينهما، فهُزم المظفّر فيها، وعبَر المعتضد بجيوشه ووصل حتّى يابرة (Evora) شمال بطليوس، أين جهّز المظفّر هو الآخر جيشا للقائه بمساعدة إسحاق بن عبد الله البرزالي وقد كان ابنه المعز قائدا للجيش، لكن المظفر هزم مرة أخرى وقُتل المعزّ بن إسحاق سنة1050م/442هـ .

- ابن عذاري: المصدر السابق ، ص.209 ، 210 .

لم تهدأ تلك المناوشات إلى أن تدخّل الوزير أبو الوليد بن جهور الذي نجح في عقد صُلح بين الطّرفين[1].

إلّا أنّ الخطر الأكبر الذي واجه الإمارات الإسلامية وبالأخص إمارة بني الأفطس هو حاكم قشتالة وليون الملك فرديناند Ferdinanad(427-458هـ/1035-1065م)[2] ، الذي كان يراقب تطوّر الأحداث عند جيرانه المسلمين بأهميّة كبيرة ، لاحظ أنّ المنطقة الممتدّة من نهر تاجة إلى نهر دويرة أي شمال بطليوس خالية من وسائل الدّفاع [3]، وربّما يرجع ذلك لبعدها وانعزالها في الشّمال الغربي لبطليوس حيث تكاد تكون مستقلة بشؤونها، قرّر توجيه قواته إليها ونجح في اختراقها، فاستولى على العديد من المدن: **لاميقو Lamego**سنة 1057 م التي نجح في ضمّها بعد بضعة أشهر من محاصرتها، وكذلك فعل مع **بازو viseu**سنة 1058 م. بعد أن فرض سيطرته على المدينتين عمد إلى إسكان العديد من المسيحيّين فيهما[4].

[1] ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق، ق2، م1، ص. 35 .
– ابن عذارى: المصدر السّابق، ج3، ص. 334 ، ابن الخطيب: المصدر السابق، ص. 156. وكذلك راجع :
– سحر عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص. 405 ، راغب السّرجاني: المرجع السّابق، ج2، ص. 408 ، محمد عبد الله عنان: المرجع السّابق، ص. 85.

[2]فرديناند Ferdinanad : يلقب بالكبير هو ابن الملك سانشو الثالث ملك نافار و مونيا مايور Munia Mayor، تولى في البداية حكم قشتالة مكان حاكمها وخاله غارسيا سانشيز GarciaSanchez ، تزوج سانشا ملكة ليون في سنة 1032 م أخت الملك برمود الثالث ملك ليون ، ليتولى بعدها حكم قشتالة وليون معا بعد وفاة ملكيهما وأطلق على نفسه اسم الإمبراطور . H .V.Livermore : op ,cit , p.38

[3] انظر الخريطة رقم 6

[4]شيماء عبد الحميد سعد البنا: المرجع السابق، ص. 128، سحر عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص. 418.
- H .V.Livermore :op , cit , p.39

لم يكتف فرديناند ببازو ولاميقو، بل وجّه أنظاره إلى أهمّ مناطق الثغر الغربيّ وهي شنترين بسبب رفض ابن الأفطس آداء الجزية له، إلّا أنّ الأخطار التي كانت تتعرّض لها إمارته جعلته يلجأ إلى التّفاوض مع الملك فرديناند. فقبِل ابن الأفطس تسديد جزية سنويّة مقدارها خمسة آلاف دينار مقابل الهدنة[2]. رغم إنقاذ شنترين إلّا أنّ دفع الجزية[1] السّنوية سيقوّي من أطماع ملوك النصارى في ضمّ مناطق أخرى في الثّغر الغربي[3] ، حيث وجّه الملك فرديناند أنظاره بعدها إلى **مدينة قلمرية** التي خضعت لحكم المسلمين منذ أن فتحها المنصور بن أبي عامر سنة 375هـ/987م، فما إن علم بأهميّتها سيّر إليها جيشا كبيرا لحصارها، ودام حصاره لها ستّة أشهر[4]. وكان والي المدينة آنذاك رجل من عبيد ابن الأفطس يسمّى "رانده" تفاوض سرّا مع فرديناند حتّى يؤمِّنه على أهله ونفسه مقابل تسليمه المدينة. ما إن علِم سكّان قلمرية باستسلام قائدهم حتّى تولّد في نفوسهم الضّعف، فطلبوا من الملك القشتالي تسليم أنفسهم مقابل الأمان إلّا أنّه رفض طلبهم،

[1] يذكر ابن بسام الشنتريني أنّ المأمون بن ذي النون هو الذي توسّط بين الطّرفين، وأمر ابن الأفطس بتسديد الجزية؛ انظر:

– ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق، ص. 650.

[2] ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص. 283. راجع أيضا:

– شيماء عبد الحميد سعد البنا: المرجع السابق، ص. 129.

– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص. 86.

[3] وقد كشف ابن عذاري عن أبعاد تلك السياسة بقوله: "...**ولم يزل عدو الله فرديناند يقوى والمسلمون يضعفون بغرم الجزية إلى أن نزل اللعين على مدينة قلمرية**..."؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ص. 238.

[4] ابن عذاري: المصدر نفسه. انظر أيضا:

-H .V.Livermore :op , cit , p.39

انظر كذلك: فضيل بوالصوف: العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف (ق5هـ/11م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 2010-2011، ص. 54.

وبقي هؤلاء يقاومون إلى أن نفذ قوتهم ، عندها استطاع فرديناند اقتحام قلمرية سنة 456هـ/1064م [1]، وقام بتعيين مستشاره المستعرب(Sisnado) حاكما عليها ، ومنحه لقب الكونت (أي الوزير) كمكافأة له على خدماته ونصائحه. ثمّ أخرج المسلمين منها ومن سائر الأراضي الواقعة في الشمال الغربي بين نهري دويرة والمنديق Mandego التي اشترطها في معاهدة التّسليم[2].

تعدّ الأراضي التي استولى عليها الملك فرديناند شمال نهر تاجة البداية الأولى لتكوين كونتية البرتغال التي ستتولى لاحقا مسؤولية محاربة الوجود الإسلامي غرب الأندلس. (انظر الخريطة)

[1] ابن عذاري: المصدر السابق، ص .239

[2] سحر عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص. 423.

– رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص. 369، 370.

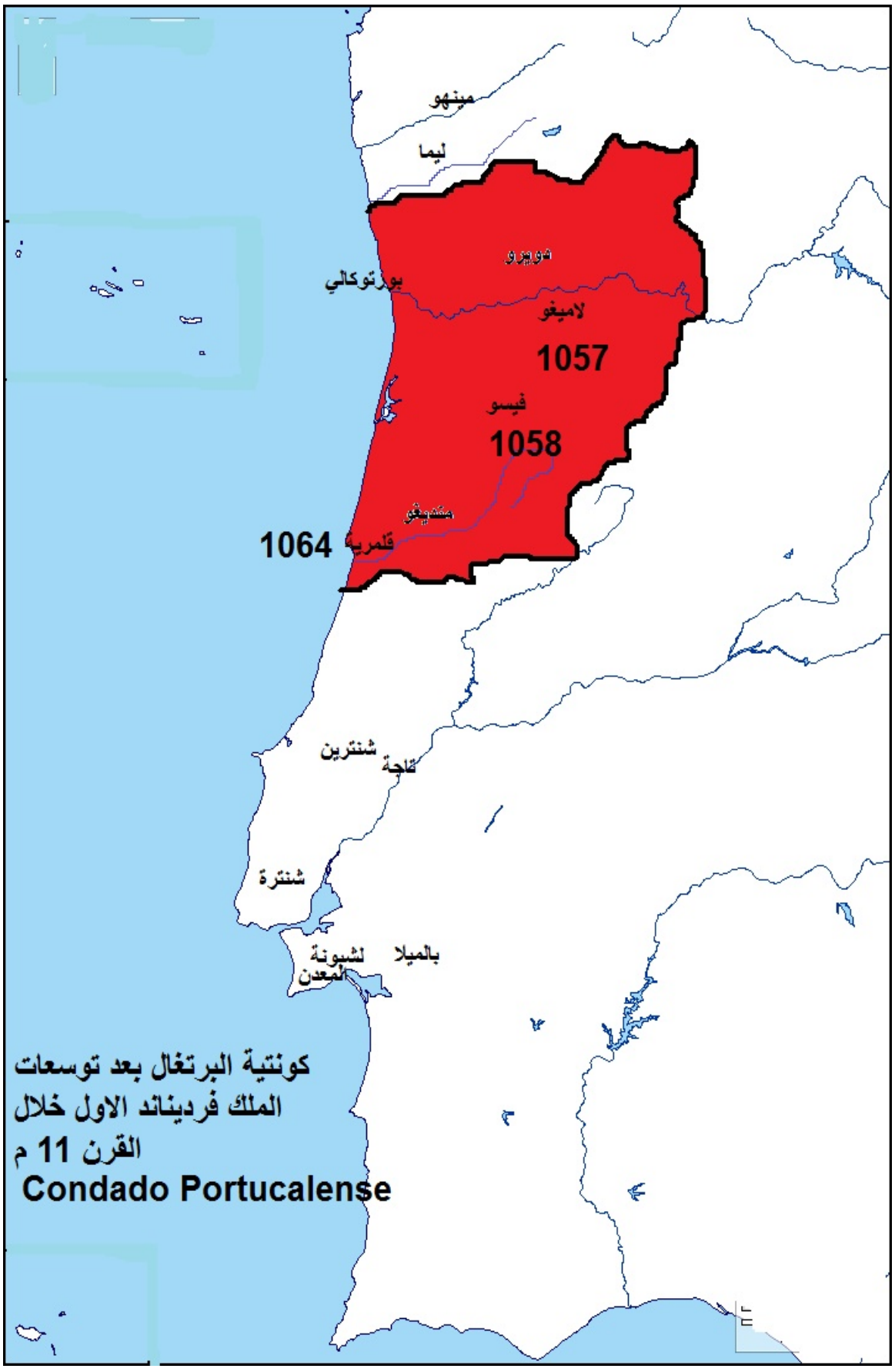

خريطة تبين كونتية البرتغال بعد توسعات الملك فيرديناند الأول خلال القرن 11م

استمرّت حالة الإمارات الإسلامية غرب الأندلس تزداد سوء وهو ما شجّع المسيحيين على زيادة هجماتهم على المنطقة للظفر بالمزيد من أقاليمها [1] ، وأمام هذا الوضع الخطير اتّفق رأي ملوك الطّوائف على الاستنجاد بإخوانهم[2] في العدوة الجنوبيّة (بلاد المغرب) فأرسلوا سفارة إلى يوسف بن تاشفين[3]حاكم دولة المرابطين لطلب النّجدة ، فاستجاب أمير المرابطين[4]وسيّر جيشا إلى الأندلس.

[1]– ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق، ص. 650 .

– ابن الآبار: المصدر السابق، ج3، ص. 97، 98. انظر أيضا :

– سحر عبد العزيز سالم: تاريخ بطليوس وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، ج2، 1991، ص. 17.

– رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص. 370.

[2] – حاولوا قبل ذلك لمّ صفوف المسلمين من أجل الجهاد وبدؤوا في الدّعوة إلى ذلك فكلّفوا علماء بارزين للقيام بتلك المهمة من أجل جمع الصفوف وتوحيد الجهود للحفاظ على مناطقهم، ومن بين أولئك العلماء نذكر: أبو **الوليد الباجي**" الذي طلب منه المتوكّل دعوة الناس إلى الجهاد، إضافة إلى "**عمر بن عبد البرّ**" الذي كان يعمل بقضاء أشبونة وشنترين في عهد المظفّر بن الأفطس، إلّا أنّ ذلك لم يجد نفعا. انظر: ابن الآبار: المصدر السّابق، ج2، ص. 97. وكذلك راجع: راغب السّرجاني: المرجع السّابق، ج2، ص. 364، رينهرت دوزي: المسلمون في الأندلس، تر: حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، ج3، 1995، ص. 127.

[3]– هو أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللّمتوني أمير المسلمين، وهو الذي اختطّ مدينة مراكش، وقد كان رجلا عادلا مِقداما، ويذكُر ابن زرع أنّ أمّه من كدالة وتُسمّى "صفية"، ولمّا قدّمه عبد الله بن ياسين بايعته قبائل المرابطين من صنهاجة وغيرها. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق: إحسان عبّاس، المجلّد السّابع، دار صادر، بيروت، لبنان، ص. 112، 113 ، ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطّباعة والوراقة، 1972م، ص. 133.

[4] –سهّل كلّ من المعتمد بن عبّاد والمتوكّل بن الأفطس عبور الأمير المرابطي إلى الأندلس، فلمّا وصل المنطقة دعا ملوك الطّوائف إلىالجهاد ضدّ المسيحيين، وقد كان المتوكّل بن الأفطس من أوائل الذين استعدوا للجهاد .

– مذكّرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التّبيان، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، ص. 104، مؤلّف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السّابق، ص. 52 ، ابن خلدون: المصدر السّابق، ج6، ص. 248.

راجع كذلك: سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس (عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين)، دار النّهضة العربيّة، بيروت، ط.1، 1985 م، ص.79، 80.

من خلال ما سبق، يمكننا القول أنّ القرن الحادي عشر ميلادي حمل كثيرا من الأحداث والتغيّرات على غرب الأندلس حيث في هذه الفترة بدأت موازين القوى تتغيّر بشكل تدريجيّ لصالح المسيحيين بعد أن دبّ الضّعف في أرجاء المنطقة الإسلاميّة. هذه الأحداث ساهمت في الظّهور الأوّليّ لكونتية البرتغال على مسرح الأحداث – بعد توسّع فرديناند على بطليوس واستيلائه على بعض من مناطقها_ فتشكّلت بورتوكالي (Portucal) وهو القسم الذي يقع بين براجا شمالا وقلمرية جنوبا، هذه الأخيرة التي اتخذها فرديناند قاعدة لها. على هذا الأساس يعدّ الملك فرديناند من أوائل الملوك الذين واجهوا المسلمين بقوّة ونجحوا في التّوسع على أراضيهم، كما يعدّ– بتوسّعاته في الجهة الغربيّة – من الأوائل الذين ساهموا في إنشاء البرتغال. واصل ابنه ألفونسو السّادس سياسته التّوسّعية نفسها، الأمر الذي تطلّب الاستنجاد بالمرابطين.

فهل سيتمكن هؤلاء من إيقاف الزّحف المسيحيّ على الجهة الغربية؟ وكيف ستكون الأوضاع في غرب الأندلس بعد انتقالهم إلى المنطقة؟

4. غرب الأندلس تحت حكم المرابطين والموحدين

تطرّقنا في المبحث السّابق إلى الوضع المزري الذي آلت إليه الأندلس بما في ذلك الجهة الغربيّة وكيف تمكّن المسيحيون من الاستيلاء على جزء من أراضيها وتشكيلهم لكونتية البرتغال، وأمام ذلك العجز لجأ المسلمون للاستنجاد بإخوانهم المغاربة الذين لبّوا النّداء وخرجوا لنجدة أهالي الأندلس.

أ. عهد المرابطين:

عمِل كلّ من المعتمد بن عبّاد والمتوكّل بن الأفطس على تسهيل عبور الأمير المرابطي إلى الأندلس، فوصل إلى الجزيرة الخضراء، ثمّ سار إلى إشبيلية أين استقبله المعتمد بن عبّاد. فرح يوسف بن تاشفين كثيرا بالاستعدادات التي قام بها المعتمد، ومكث في إشبيلية ثلاثة أيّام، دعا فيها سائر ملوك الطّوائف لتلبية نداء الوحدة للجهاد ضدّ المسيحيين فلبّوا النّداء[1]. وقد كان المتوكّل بن الأفطس من أوائل الذين رحّبوا بالفكرة واستعدّوا للجهاد.

بعد مكوث يوسف بن تاشفين في إشبيلية ردحا من الزّمن ،انتقل إلى بطليوس وأقام بها في انتظار قدوم قوّات المسيحيين بزعامة ألفونسو السّادس ، الذي كوّن جيشا كبيرا

[1]– مذكّرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التّبيان : المصدر السابق، ص. 104 ، مؤلّف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السّابق، ص. 52 ، ابن خلدون: المصدر السّابق، ج6، ص. 248 ؛ راجع أيضا :
– سعدون عباس نصر الله: المرجع السابق ، ص. 79، 80 ، سحر عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص. 60 ، محمد عبد الله عنان: المرجع السّابق، ص. 321.

وقويّا من كلّ أنحاء شبه الجزيرة الإيبيرية، إضافة إلى التحاق قوّات صليبية من جنوب فرنسا وإيطاليا ، ممّا يدلّ على أنّ الحرب التي قادها ألفونسو ضد المسلمين كانت ذات طابع دينيّ صليبيّ الهدف منها إخراج الإسلام من أوروبا[1]. انضمّ ملوك الطّوائف إلى جيش الأمير المرابطيّ، والتقى الطّرفان في 23 أكتوبر 1086م/479هـ فيما عُرف تاريخيّا بموقعة "الزلاّقة"[2] التي مني فيها ألفونسو السّادس بهزيمة ساحقة [3].

على إثر هذا النّصر الكبير الذي حقّقه المسلمون تحت قيادة يوسف بن تاشفين، عاد كلُّ الأمراء إلى مناطقهم بما في ذلك الأمير المرابطي [4]، بعد أن ترك بعضا من جنوده تحت تصرُّف المعتمد بن عبّاد[5] ، ليعود الأمن والاطمئنان إلى ديار الإسلام.

كان حريّا بالمسلمين أن يأخذوا العبرة من الهزائم التي لحقت بهم في الماضي، فيعدّوا العدّة ويجمعوا الصّفوف، لكنّهم لم يفعلوا. لذلك سرعان ما عاد المسيحيّون

---

[1]– مذكّرات الأمير عبد الله، المصدر السّابق، ص. 104، 105. انظر أيضا:

– أحمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية في الأندلس، عين للدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2003م، ص.35

-Carlos de Ayala : op , cit , p. 234 – 238

[2]– **الزلاقة:** هي من إقليم بطليوس غرب الأندلس. انظر: الحميري: المصدر السّابق، ص. 83.

[3]– مؤلّف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السّابق، ص. 58–62 ، مذكّرات الأمير عبد الله : المصدر السّابق، ص. 309، 310 .انظر كذلك :

– سحر عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص. 85 ، محمد عبد الله عنان: المرجع السّابق، ص. 322.

[4] –غادر الأندلس مُستاءً من الحال التي وصل إليها الأمراء المسلمون من تفرُّقٍ وصراعات فيما بينهم، إضافة إلى استياء الأهالي من حُكّامهم ، فهناك من أرجع هذا الوضع سببا في عودته في حين نجد البعض الآخر يرجع سبب العودة إلى موت ابنه الأمير أبو بكر. انظر:

– مذكّرات الأمير عبد الله : المصدر السّابق، ص. 107. وكذلك :

– رينهرت دوزي: المرجع السّابق، ج3، ص. 134 ، محمد عبد الله عنان: المرجع السّابق، ص. 329.

[5]– رينهرت دوزي: المرجع السّابق، ج3، ص. 133، محمد عبد الله عنان: المرجع السّابق، ص. 329.

للتّحرش، مرة أخرى ، بالمسلمين ، ممّا اضطر الأهالي إلى إطلاق نداء استغاثة إلى الأمير المرابطي للعودة إلى الأندلس[1] . وقد حاول المعتمد بن عبّاد حلّ المشكل بالوسائل السّلمية لكن محاولاته باءت بالفشل ، فاضطرّ هو الآخر إلى طلب مساعدة يوسف بن تاشفين[2] الذي لم يتردد في العبور إليها[3]. وأثناء قيامه بالاستعدادات لجمع القوات في الأندلس، لاحظ بن تاشفين حالة التفرّق والصّراعات بين ملوك الطّوائف، والضّعف الشّديد الذي آلوا إليه، بعد أن بدأت الشكاوى ضدّ بعضهم البعض تُعرَض عليه تِباعا[4]. أثار هذا الوضع غضب يوسف بن تاشفين لنسيان ملوك الطّوائف قضيّتهم الأساسيّة وهي الدّفاع

[1]–تركزت تحرشاتهم هذه المرة في الجهة الشرقية حيث قاموا بإنشاء حصن "أليدو" « Aledo » الواقع بين مرسية ولورقة لجعله المنطلق لعملياتهم العسكرية وبسط نفوذهم على كامل المنطقة الشرقية، فبثّوا الرّعب في أهالي المنطقة الذين وقفوا عاجزين عن صدّ تلك الهجمات وهكذا توالت طلبات الاستنجاد بيوسف بن تاشفين .

– مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، المصدر السابق ، ص. 67 . انظر أيضا: سعدون عبّاس نصر الله: المرجع السّابق، ص. 103–105 ، راغب السّرجاني: المرجع السّابق، ج2، ص. 512 ، محمد عبد الله عنان: المرجع السّابق، ص. 334.

[2]– هو صاحب السيادة الفعلية على مرسية ولورقة حاول رد تلك الهجومات بمساعدة صاحب المرية المعتصم بن صمادح الذي تعرضت منطقته هو الآخر للتحرشات ، فتحالفا معا للقضاء على الخطر الذي هددهما ، وسير المعتمد حملتين الأولى إلى لورقة والثانية إلى مرسية .

– مؤلّف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السّابق، ص. 68 ، ابن الخطيب: المصدر السّابق، ص. 16.

[3]– وصل إلى الجزيرة الخضراءأين استقبله المعتمد بن عبّاد، فنادى يوسف بن تاشفين ملوك الطّوائف مرّة أخرى للجهاد في حصن Aledo (لبيط) . ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السّابق، ص. 99 ، مؤلّف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السّابق، ص. 69.

[4]–فعبد الله بن بلقين صاحب غرناطة كان في صراع مع أخيه "تميم" صاحب مالقة، وكلّ منهما شكا من الآخر ليوسف بن تاشفين، كما أنّ المعتمد بن عبّاد والمعتصم بن صمادح كلّ منهم اتّهم الآخر أمام الأمير المرابطي، كما شكا المعتمد بن عبّاد من ابن رشيق واتّهمه بانتزاع مرسية منه، وابن رشيق هو الآخر اتّهم المعتمد بتعامله مع قشتالة سِرّا،أخذ ابن تاشفين برأي الفقهاء في أمر ابن رشيق فأدانوه وسلّموا مرسية للمعتمد بن عبّاد، ممّا أغضب أهالي مرسية لأنّ معظمهم من أهل ابن رشيق، فقطعوا المؤونة التي كانت تُرسل إلى المحاصرين . لتفاصيل أكثر انظر:

– مذكّرات الأمير عبد الله، المصدر السّابق، ص. 110، 111، مؤلّف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السّابق، ص. 70، ابن خلدون: المصدر السّابق، ج6، ص. 249. وانظر أيضا:

– سعدون عبّاس نصر الله: المرجع السّابق، ص. 107، سحر عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص. 114.

عن الإسلام، فانسحب من المواجهة المنتظرة مع ألفونسو السادس قبل وصول قوّاته [1] ، ثم قرّر القضاء نهائيا على ملوك الطوائف وتوحيد الأندلس تحت إمرته ، فعبر إلى شبه الجزيرة الإيبيرية للمرّة الثّالثة من أجل وضع حدٍّ لمهازلهم.[2]

بدأ يوسف بن تاشفين في إخضاع مناطق الأندلس لنفوذ المرابطين بما فيها الجهة الغربيّة ، فأخضع إشبيلية[3]، في أوّل الأمر، ثم توجّه بعدها نحو بطليوس وحاصرها غير أنّ حاكمها المتوكّل طلب النّجدة من ملك قشتالة ألفونسو السّادس فعرض عليه التّنازل له

[1] – ولمّا وصل الملك القشتالي إلى الحصن لم يجد إلّا قلّة من الفرسان، فقرّر هو الآخر الانسحاب لأنه رأى عدم جدوى الاحتفاظ به لأنّه يتطلّب حامية كبيرة ومؤونة، لذلك قام بإخلائه وقفل راجعا سنة 1089م/382هـ، واحتلّ ابن عبّاد الحصن بعدها.

- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السّابق، ص. 99، مذكّرات الأمير عبد الله: المصدر السّابق، ص. 112، مؤلّف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السّابق، ص. 70. راجع أيضا:
- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ص. 294

[2]– يذكر ابن خلدون أنّ ملوك الطّوائف قطعوا المؤونة عن العساكر الذين تركهم لمساعدتهم في الأندلس، بعد أن لاحظ هؤلاء تغيّر يوسف بن تاشفين عليهم، وأصبحوا يتعاملون مع النّصارى في العديد من المرّات، وإمدادهم بالأموال والهدايا مثلما فعل المعتمد بن عبّاد والمتوكّل بن الأفطس من أجل ردّ المرابطين. انظر:

– ابن خلدون: المصدر السّابق، ج6، ص. 186. انظر كذلك:

– محمد عبد الله عنان: المرجع السّابق، ص. 339.

[3] – عارض المعتمد طلب ابن تاشفين بإلغاء الضّرائب الجائرة على الأهالي واتّباع أحكام الشّرع ، وتحالف المعتمد مع ألفونسو السّادس ضدّ المرابطين، فوقعت تلك المراسلات في يد ابن تاشفين، وهنا قرّر يوسف مهاجمة إشبيلية بعد أن تمكّن من الحصول على فتوى دينية تجيز له ذلك ، فكلّف قائده "سير بن أبي بكر" بالاستيلاء على إشبيلية، قسّم قادته على مناطقها، وتمكّن من الاستيلاء عليها مع قرطبة في 26 مارس 1091م رغم مساندة ألفونسو السّادس للمعتمد بن عبّاد، ونتيجة للخسارة التي مُنيَ بها ، أُلقي القبض عليه مع زوجته وقُتل أبناؤه، ونُفي إلى أغمات، أين توفّي سنة 1095م/488هـ. للمزيد حول الموضوع انظر :

- مذكّرات الأمير عبد الله، المصدر السّابق، ص. 169، 170، ابن الخطيب: المصدر السّابق، ص. 163، 164، 169، ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السّابق، ص. 162، ابن خلدون: المصدر السّابق، ج6، ص. 249، المقري: المصدر السّابق، ج3، ص. 453.

عن ثلاثة مناطق : **شنترة، وشنترين، وأشبونة**، في مقابل ذلك ، الأمر الذي أغضب أهالي بطليوس كثيرا، فكتبوا سنة 1095م/488هـ إلى المرابطين يشكون إليهم فعل المتوكّل . تقدّم سير بن أبي بكر قائد الجيش المرابطي قاصدا بطليوس واخترق أراضيها بسرعة، بينما كان المتوكل[1] ينتظر قدوم حليفه ألفونسو السّادس لمساعدته لكن دون جدوى[2]. وهكذا تمكّن المرابطون من الاستيلاء على الجزء الغربي الذي كانت بطليوس قاعدة له، وشرعوا في إخضاع باقي الإمارات الإسلاميّة تدريجيّا، لتدخل المنطقة بأسرها مرحلة جديدة في ظلّ الحكم المرابطي، وأضحت الأندلس تابعة لبلاد المغرب.

بعد أن تمّ القضاء على حكم ملوك الطوائف تولّى "**علي بن يوسف بن تاشفين** " حكم الأندلس سنة 1106م/500 هـ بعد وفاة والده ، وأوكل مهمة الدفاع عن أراضي المسلمين إلى أخيه "**تميم**" والي غرناطة[3] .

---

[1] – اضطرّ المتوكّل أن يختبئ في قصبة بطليوس لحصانتها ، ورغم ذلك تمكن المرابطون من الوصول إليه وإلقاء القبض عليه مع ولديه اللّذين أُعدِما، ويُقال أنّ ولده الثّالث "**المنصور**" أرسله إلى حدود قشتالة، فلمّا سمِع المنصور بما حدث لإخوته، بقي هناك واعتنق المسيحية وانضمّ إلى جيوشهم للانتقام من المرابطين ، أما المتوكل فقد قتل هو الآخر.

- مذكّرات الأمير عبد الله: المصدر السّابق، ص. 172-174 .
- ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص . 185، 186 . انظر كذلك :
- محمد عبد الله عنان: المرجع السّابق، ص. 369.

[2] – مذكّرات الأمير عبد الله، المصدر السّابق، ص. 172 ، ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص.185 ، 186، ابن خلدون: المصدر السّابق، ج6، ص. 250 . انظر أيضا :

- Carlos de Ayala : op ,cit ,p.238,239

[3]– مؤلّف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السّابق، ص. 85، 86-92 .انظر:

– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، عصر المرابطين والموحّدين في المغرب والأندلس، ص. 61.

بينما كانت هذه الأحداث تأخذ مجراها على أرض الأندلس، استفادت إمارة البرتغال من توسيع رقعتها باتّجاه الحدود الجنوبيّة المتاخمة للإمارات الإسلاميّة بغرب الأندلس، ممّا شجعها على الظفر بالمزيد من الأراضي حيث استولوا على يابرة وبطليوس الأمر الذي تطلب من المرابطين توجيه جيشهم إلى أراضي البرتغال، فنجحوا في استرجاع **يابرة، أشبونة، شنترة**، ثمّ قصدوا **شنترين** واسترجعوها هي الأخرى. عجزت القوّات البرتغالية بزعامة أميرهم هنري البورجوني عن إيقاف الزّحف المرابطي على أراضيها سنة 1111م/504هـ [1] بسبب ما ألمّ بها من مشاكل داخليّة على إثر وفاة ألفونسو السّادس.

بعد تلك الانتصارات التي حقّقها المرابطون في أرض البرتغال، لم تبق أمامهم سوى قلمرية التي اتّخذتها الإمارة البرتغالية عاصمة لها، وقد كان استرجاعها مهم جدّا لتأمين بطليوس واتّخاذها قاعدة حربيّة دون الخوف من هجومات المسيحيين على الجهة الغربية، خاصّة وأنّ المرابطين استرجعوا كل المدن في الغرب. لكن للأسف فشلت محاولات المرابطين للاستيلاء عليها [2] .

[1]– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص. 161، ابن الخطيب: المصدر السابق، ص. 186، السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص. 66. راجع كذلك:

– حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص. 305، سلامة محمد سلمان: المرجع السابق، ص. 202.

[2]– ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص. 247 . انظر أيضا :

– سحر عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص. 152، شيماء عبد الحميد سعد البنا: المرجع السابق، ص. 151.

وأمام هذه الانتصارات الكبيرة التي حققها المرابطون شكّل ذلك تهديدا لإمارة البرتغال [1]، فلجأت إلى تحصين حدود منطقتها الجنوبية مع المسلمين حيث قام حاكمها ألفونسو هنريكز ببناء العديد من القلاع كقلعة ليريا Leiria[2]سنة 1135 م / 530 هـ ورمّم القلاع التي تحطمت جرّاء الصدام المتواصل مع المسلمين مثل قلعة **طمار(Thomar)**.[3] هذا إلى جانب إقامته أبراجا لمراقبة تحركاتهم . تلك الاستعدادات ماهي إلّا دليل على الخطر الحقيقي الذي شكّله المرابطون على الوجود البرتغالي، خاصّة وأنّ الإمارة البرتغالية كانت تشهد في نفس الوقت صراعا آخر مع ملك قشتالة ألفونسو السابع[4]. لذلك فإنّ البرتغال وتفاديا لفتح العديد من الجبهات للصّراع ، أمّنت حدودها الجنوبية مع المسلمين و أوكلت مهمّة حمايتها لفرسان الدّاوية والاسبتارية اللّتين أقامتا في قلعتي **طمار وسوري**[5]**(Soure)**، لصدّ هجمات المسلمين ، ورغم كل تلك الاحتياطات إلّا أنّ المرابطين تمكّنوا من تسيير هجمات متتالية على حدود البرتغال . ففي عام

---

[1]– أصبحت تمتد في سنة 1128 م منهر مينهو شمالا إلقلمرية جنوبا .

-H.V. Livermore : Ahisyory of Portugal , Cambridge at the University Press , 1947 , p.61

[2]– **قلعة ليريا:** من أقوى قلاع البرتغال، تقع جنوب غرب المرية، وُضعت لحراسة الطّريق إلى قلمرية. لتفاصيل أكثر انظر:

– أحمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص. 61.

- Livermore : op,cit , p. 62.

[3]– **قلعة طمار Thomar**: تقع شمال شرق شنترين، يرجع تأسيسها إلى الدونا تيريزا سنة 1126م، وقد كان سدس إنتاجها الزراعي يتمّ منحه لسيد جماعة الداوية. انظر:

– أحمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، المرجع السابق، ص. 59.

- Livermore : op , cit , p.63

[4]– سنفصل في أسباب ذلك في موضعه

[5]– انظر: أحمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق، هامش ص. 60.

1137م/531هـ هاجموا قلعة **طمار**، ونظرا لانشغال ملك البرتغال في حربه مع قشتالة أجّل اللقاء مع المرابطين حتّى ضمن عدم مهاجمة القشتاليين لمنطقته بعد أن وقّع معهم الصلح عام 1139م/533هـ. هنا وجّه أنظاره لقتال المسلمين ، فهاجمهم عند نهر تاجة، ودارت معركة بين الطّرفين انتصرت فيها الجيوش البرتغالية على الجيوش المرابطية[1]، عُرفت تلك المعركة باسم **أوريك Ourique**.[2]

كان ردّ المرابطين على الهجوم البرتغالي سنة 1140م/534هـ سريعا وعنيفا، بمساعدة قوات من شنترين وبطليوس ويابرة، حيث عبروا أراضي البرتغال ونجحوا في الاستيلاء على العديد من قلاعها كقلعة ليريا[3]، ثمّ عادوا محمّلين بالغنائم إلى مدنهم. إلّا أنّ الموقف البرتغالي هذه المرة كان مغايرا تماما ، فبعد انتهاء ملك البرتغال من تحصيناته اللازمة [4] لمواجهة المدّ المسيحي جمع قواته وعبر بها الحدود الجنوبية

[1]Fortia D'orban: op.cit. p. 73, 77, 78.

- James Maxwell Anderson: Op. cit, p. 27.

- M. de Marlès : op. cit, p. 41-42 .

- Adulphus Louis Keppen : op ,cit,p.190

[2]– لاحظنا عدم ذكر هذه المعركة في المصادر العربية الإسلامية عكس المصادر المسيحية، وقد بالغوا في ذكر عدد الجيش المرابطي وقدّروه بـ: 300 ألف مقابل 11 ألف مقاتل للبرتغاليين، لتأكيد أهمية الانتصار على المسلمين، لأنهّ وحسب روايتهم أنّ القوات البرتغالية هاجمت المسلمين فجأة في المنطقة المحيطة بشنترين، وتمكّن المسلمون من جمع الجيش والمواجهة، فلو كان العدد حقيقيا، كان يتطلّب جمع كلّ ذلك الجيش وقتا كبيرا. المزيد من التفاصيل حولها انظر:

– أحمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال، المرجع السابق، ص. 140. وكذلك:

-Ferdinand Denis : Le Portugal, Firmin Didot Fréres Editeurs ,Paris ,p.8

[3] - M de Marlés : op , cit , p . 43

[4]– أنشأ قلعة جيرمانيلو سنة 1142م/537هـ وزوّدها بقوات وعمال من قلمرية. محمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال، المرجع السابق، ص. 141.

لمواجهة المرابطين، حيث توجّه سنة 1142م/536هـ إلى **لشبونة** بمساعدة البابوية والصّليبيين، إلّا أنّه فشل في الاستيلاء عليها لحصانتها الشّديدة. فاكتفى بفرض الجزية على أهاليها، وانتقل بعدها إلى **شنترين** وحاصرها، وجعلها تقبل كذلك بدفع الجزية له.[1]

من خلال عرضنا للأحداث السّابقة، يمكننا تقسيم المواجهة بين المرابطين والبرتغال إلى مرحلتين رئيسيّتين:

- **المرحلة الأولى:** بدأت أواخر القرن الحادي عشر ميلادي في عهد كلّ من هنري البورجوني بالنسبة للبرتغال، ويوسف بن تاشفين ثمّ ابنه علي بن تاشفين بالنسبة للمرابطين. تفوّق فيها المرابطون، نظرا للقوة التي كان يتمتّع بها هؤلاء، وفي المقابل ضعف البرتغال النّاشئة وصراعها مع ليون وقشتالة، وقد حاولت البرتغال حماية أراضيها بكلّ الأساليب، واستعانوا في ذلك بفرسان الدّاوية والأسبتاريّة.
- **المرحلة الثانية:** تبدأ منذ تولّي ألفونسو هنريكز حكم البرتغال سنة 1128م، وقد لاحظنا أنّ هذا الحاكم اتّبع في البداية سياسة دفاعيّة أكثر منها هجوميّة، والسّبب في ذلك راجع لحربه الشّرسة على حدوده الشمالية مع ملك قشتالة ألفونسو السّابع، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع من مواجهته للمرابطين والنّجاح في حماية منطقته، وقد ساعدته فيما بعد الظّروف الصّعبة التي كان يمر بها المسلمون، بسبب الضعف الذي بدأ يدبّ في قوات المرابطين نتيجة الحرب الأهلية بينهم، إضافة إلى مواجهتهم للعديد من الثورات

[1]– محمد محمود النشار، المرجع السابق، ص. 142.

الداخلية. كلّها عوامل ساعدت ألفونسو هنريكز على الاحتفاظ بمملكته والدّفاع عنها، بل والتفكير في التوسع جنوبا على حساب المسلمين لتوسيع حدوده، وهذا ما رأيناه في هجومه على **لشبونة وشنترين** وتمكّنه من فرض الجزية عليهما وهو أمر ينذر بخطورة البرتغال على ما تبقّى من أراضي المسلمين في الجهة الغربية. ما زاد الأوضاع سوءا وأعطى تفوّقا أكبر بعد ذلك للبرتغال هي الأحداث التي عرفتها منطقة بلاد المغرب والأندلس مع ظهور منافس جديد لهم بالمنطقة متمثّلا في الموحدين، فبدأت المناوشات بين الطرفين وأغلب تلك المواجهات كانت في البداية خارج بلاد الأندلس، لكنّها بدأت تنتقل تدريجيّا إلى المنطقة، وهو ما جعل المرابطين يواجهون هؤلاء، وفي نفس الوقت يواجهون مملكة قشتالة[1].

ب: عهد الموحدين

عندما بدأ الضّعف يستشري في أعماق الدّولة المرابطية ، ظهرت قوّة جديدة ببلاد المغرب تعارض النّظام المرابطي وتدعو إلى تطهير المجتمع من مناكر المرابطين ما زاد

[1]– تواجه الطّرفان سنة 1129م/523هـ عندما سيّر **تاشفين بن علي** جيشا إلى إشبيلية وأغاروا على قشتالة لكنّهم هُزموا ، وفي سنة 1130م/524هـ زحفت القوات القشتالية بالقرب من قرطبة، لكنّهم عادوا أدراجهم لمّا استنجد أعيانها بتاشفين بن علي ، واستولى المرابطون بزعامة تاشفين بن علي على حصن السكّة « **Aceca** » الذي ملأه ملك قشتالة بالعتاد والفرسان لقتال المسلمين، وفي سنة 1132م/526هـ خرج القشتاليون متجهين إلى قرطبة، فخرج المرابطون لإيقافهم، وكان القشتاليون قد تمكّنوا من الاستيلاء على حصن شنت إشتبين قرب جيان، وبعدها التقى الطرفان في معركة قوية هُزم فيها القشتاليون، وتمكّن المرابطون من الحصول على كمّ هائل من الغنائم والأسلحة . لتفاصيل أكثر انظر:

– مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص. 121 . وكذلك:

– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص. 133–135.

من سوء الأوضاع ، خاصّة وأنّ تلك الدّعوات بدأت تلقى صدى كبيرا على يد محمد ابن تومرت[1] الذي ذاع صيته في كافّة أرجاء بلاد المغرب ، بفضل ما عرف به من علم واسع تفوّق به على أشهر فقهاء مراكش[2]. بدأ بعدها صراع بينه وبين المرابطين[3]، انتهى بتفوق ابن تومرت عليهم و تأسيس الدولة الموحدية[4] فأمر أتباعه بضرورة محاربة المرابطين[5]. استمرّت تلك المواجهات بينهما ببلاد المغرب إلى أن توفيّ ابن تومرت سنة

[1]– يقال أنّ نسبه ينتهي إلى علي بن أبي طالب ، وهناك من يرى أنّه من المصامدة ، كان رجلا فقيرا محبا للعلم وتحصيله وارتحل إلى المشرق وهناك درس على يد العديد من المشايخ ، انظر :
– علي بن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص.172.

[2]– أبو بكر بن علي الصنهاجي (البيذق): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحّدين، دار المنصور للطّباعة والنّشر، الرّباط، 1971، ص. 37–60، ابن أبي زرع: المصدر السّابق، ص. 174. انظر أيضا:
– حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، المرجع السّابق، ص. 116، هشام أبو رميلة: علاقات الموحّدين بالممالك النّصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، نابلس، ص. 34.

[3] – حيث بعد عجزهم عن مجاراته اقترح عليهم "مالك بن وهب" قتله أو سجنه لكنّ وزير علي بن يوسف "عمر بن بنتان" نصحه بتركه، فقال له علي: "**مُرْه أن يخرج من بلادنا**. انظر: البيذق: المصدر السّابق، ص. 49.
محمد بن تومرت: أعز ما يُطلب، مشتمل على جميع تعاليق الإمام محمد بن تومرت ممّا أملاه أمير المؤمنين عبد المؤمن رحمه الله، 1903، ص. 7. وللمزيد حول صاحب الاقتراح مالك بن وهب، انظر: عبد الواحد المراكشي: المصدر السّابق، ص. 184، 185. كذلك: ابن شكوال: الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج3، المجلّد 13، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ط1، 1989م، ص. 897.

[4]– خرج محمد بن تومرت من مراكش واستقرّ في إحدى المقابر يعلّم النّاس، ومنها انتقل إلى بلاد السوس أين أقام دولته، ونزل بجبل "إيجليز" وأمر أتباعه بتحصين مكانه، ومكث بها ثلاث سنوات، من سنة 515هـ إلى سنة 518هـ (1121م–1124م)، وهناك بايعه أصحابه وبدأ في تنظيمهم على شكل فرق لتسهل عليه القيادة والمراقبة ثم قام بتنظيم شؤون دولته. راجع: عبد الواحد المراكشي: المصدر السّابق، ص. 187.
ابن القطّان المراكشي: نظم الجُمان لترتيب ما سلف من أخبار الزّمان، دراسة وتحقيق: محمود علي مكّي، دار الغرب الإسلامي، 1980، ص. 78.

[5] – يرى ابن تومرت أنّ المرابطين كفرة وجبت محاربتهم لأنّه، حسب رأيه، يطلقون على الله صفات بشرية، فأطلق عليهم الكفار، ويسمّيهم كذلك بالمجسّمين. انظر: ابن القطّان المراكشي: المصدر السّابق، ص. 97، محمد بن تومرت: أعز ما يُطلب، تحقيق: عمّار طالبي، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص. 5, انظر أيضا:

1131م/ 525 هـ. تولّى الدولة الموحدية بعده تلميذه عبد المؤمن بن علي[1]، فتحوّلت دولتهم من الطّابع الدّيني إلى الطّابع السّياسي[2]، وواصل هو الآخر قتاله ضدّ المرابطين في بلاد المغرب[3]وبعد أن تمكّن من بسط نفوذه على كامل المنطقة لاحق المرابطين في الأندلس أوائل سنة 1146 م / 541 هـ إلى أن أسقط حكمهم بها[4].

-عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت (حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص. 121.

[1]- هو عبد المؤمن بن علي بن علوي بن قيس بن عيلان بن مضر. انظر:

- ابن أبي زرع: المصدر السّابق، ص. 183؛ مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص. 142.

وقد كان عبد المؤمن منذ صغره ملازما للمساجد لدراسة القرآن، ولمّا نزل أجداده بتلمسان وجاوروا زناتة، نُسب عبد المؤمن إليهم بالجوار، وقد كان والده من أشراف قومه، عمل بالقضاء، كما اشتغل بصناعة الفخار، واهتمّ بابنه اهتماما = بالغا، وحرص على تحفيظه القرآن، وألمّ بالسّيرة النّبوية، وعُرف بتفوّقه على أقرانه من الطّلبة ذكاءً وفهما، .انظر: حسين عبد الرحيم سليمان مصطفى: دور عبد المؤمن بن علي الكومي بنشر دعوة ابن تومرت وإقامة دولة الموحّدين في المغرب الإسلامي (المغرب والأندلس) 510هـ-558هـ، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في التّاريخ، إشراف: محمد عبدو حتاملة، كلية الدّراسات العليا، الأردن، 1993، ص. 41.

[2]- ابن القطان المراكشي: المصدر السابق، ص. 123، 124، ابن أبي زرع: المصدر السّابق، ص. 181. انظر كذلك:

- هشام أبو رميلة: المرجع السّابق، ص. 45، قتيبة علي إبراهيم سمور: العلاقات الحربية بين الموحّدين والممالك الإسبانية في شمال الأندلس (540-620هـ/1145-1225م)، إشراف محمد عبده حتاملة، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الدّراسات العليا، الأردن، ص. 21.

[3]- ابن الآبار: المصدر السابق، ج2، ص. 236، ابن أبي زرع: المصدر السّابق، ص. 186-193.انظر أيضا:

- قتيبة علي إبراهيم سمور: المرجع السابق، ص. 22، هشام أبو رميلة: المرجع السّابق، ص. 57، 58.

[4]- بما في ذلك غرب **الأندلس** حيث استطاع ضم **بطليوس وشلب وميرتلة ولبلة** التي أعلن حاكمها يوسف بن أحمد البطروجي الولاء والطاعة لهم، وكذلك **باجة ويابرة** الذي أعلن صاحبها سيدراي الطّاعة أيضا، ولم تبق إلاّ إشبيلية التي حاصروها إلى أن دخلوها عنوة سنة 1147م، ثمّ انتقلوا بعدها إلى ما تبقى من الأندلس. انظر:

- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص. 195، 196. وكذلك:

- عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص. 106، 107، قتيبة علي إبراهيم سمور: المرجع السابق، ص. 32، عبد الواحد ذنون وآخرون: المرجع السابق، ص. 265، حسين عبد الرحيم سلمان مصطفى: المرجع السابق، ص. 129، 130.

- هشام أبو رميلة: المرجع السّابق، ص. 92، 93.

ولقد كان للثّورات الانفصاليّة ضد المرابطين دور في تحقيق ذلك النّجاح الباهر[1].

من خلال عرضنا للأحداث السّابقة، نلاحظ أنّ الموحّدين كانوا قد فتحوا جبهتين للقتال: الأولى في بلاد المغرب، والثّانية ببلاد الأندلس، الأمر الذي استغلّته أطراف أخرى لزيادة نفوذها بالمنطقة. ومن بين هؤلاء ملك البرتغال ألفونسو هنريكز الذي حوّل سياسته، هذه المرّة، من الدّفاع إلى الهجوم، فكيف سيتواجه الطّرفان بعد أن سيطر الموحدون على الأندلس؟

أثناء محاولة الموحدين السّيطرة على مناطق الأندلس بما فيها الجهة الغربية، استغلّ ملك البرتغال تلك الأوضاع وعمل على تحصين منطقته الجنوبية القريبة من حدود المسلمين. فأعاد تأسيس قلعة "**ليريا**" من جديد سنة 1144م /538هـ، بعد أن كانت قد هُدّمت سابقا من طرف المرابطين، وأمّن كلّ المنطقة المحيطة بقلعة **سوري** لزيادة الدّعم لفرسان الدّاوية والأسبتارية. ويبدو أنّ ألفونسو هنريكز لم يقم بكل تلك الإجراءات للدّفاع

[1]–ومن بين الثّورات التي ظهرت بالأندلس المعارضة للحكم المرابطي نذكر: ثورة غربي الأندلس بزعامة أبي القاسم أحمد بن الحسين بن قسي، الذي نادى بالثورة ضدّ المرابطين، فاستُجيب له وقامت بينه وبين المرابطين عدّة حروب. وقد انضمّ إلى دعوته هذه العديد من ولاة غرب الأندلس، لكن سرعان ما نشب الخلاف بين ابن قسي وأتباعه، فأنهوا الدعوة لابن قسي، ودعوا لابن حمدين صاحب قرطبة في فيفري سنة 1146م/540هـ، ففرّ ابن قسي إلى بلاد المغرب = واستنجد بعبد المؤمن بن علي الذي استجاب لدعوته، وأرسل معه حملة إلى الأندلس وتمكّنوا فيها من الاستيلاء على قواعد غرب الأندلس عام 1146م/541هـ، وأصلحوا بين ابن قسي وأتباعه، كما قامت ثورات أخرى في جنوب الأندلس ووسطه وحتّى في الشرق، وهي أوضاع دلّت على الاضطراب والفوضى اللّذين سادا الحكم المرابطي خلال تلك الفترة.
– ابن الآبار: المصدر السابق، ج2، ص. 197، ابن الخطيب: المصدر السابق، ص. 150. راجع كذلك:
– هشام أبو رميلة: المرجع السّابق، ص. 70–74.

عن منطقته فحسب، وإنّما كان يطمح من وراء ذلك الاستعداد جيّدا للمواجهة بينه وبين الموحّدين.

كانت "**شنترين**" أوّل المناطق التي فكّر البرتغاليون في الاستيلاء عليها، نظرا لموقعها الجغرافيّ الهام[1]، و شساعة أراضيها الخصبة ، زيادة على قربها من حدود البرتغال. وقد ركّز ملك البرتغال عليها حتّى يتسنّى له السّيطرة ، بعد ذلك ، على لشبونة، **"لأنّ شنترين تتبع لشبونة، وشنترين من أعمال لشبونة".**[2]

ونظرا لحصانة حاضرة **شنترين** قرّر الملك البرتغالي إرسال بعض الفرسان من الداوية والاسبتارية سرّا إليها لجمع المعلومات عنها[3]، وبعد تأكده من انشغال المسلمين بالتمردات التي ظهرت بينهم خرج إليها سنة 1147م/شوال 541هـ[4]، وفي طريقه تلقى الدعم من القائم على دير "**سانت كروز**" حيث منحه عتادا وأسلحة وجنودا ، وهذا دليل على العون الذي كانت البرتغال تتلقاه من رجال الدّين لقتال المسلمين.

[1]– يقول الحميري في موقعها: "**تقع على نهر تاجة، وهي قريبة من مصبّه وتقع على جبل شاهق**" ، المصدر السّابق، ص. 113؛ انظر أيضا :

– ياقوت الحموي: المصدر السّابق، ج3، ص. 367.

[2]– ياقوت الحموي: المصدر السّابق، ج5، ص. 16، المقري: المصدر السّابق، ج1، ص. 167.

[3]- أحمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية، المرجع السّابق، ص. 64.

-M de Marlés : op , cit , p.46,47

-Ferdinand Denis : op ,cit,p.8

[4] - ibid

حاصر ملك البرتغال شنترين ثم تمكن من الاستيلاء عليها في 15 مارس1147م[1] . بعدها توجهت الأنظار إلى **لشبونة**[2]، المعروفة بأهمّية موقعها وحصانتها[3]، كما أنّها ميناء هام جدّا في الجهة الغربيّة لشبه الجزيرة الإيبيرية، محاطة بقلاع قويّة مثل: قلعة المعدن **(Almada)** وقلعة بلمالة **(Palmela)** وشنترة[4]. بدأ ملك البرتغال يخطّط للاستيلاء عليها، ولتحقيق ذلك رأى أنّه لا بدّ من حصارها حصارا مزدوجا من البرّ والبحر. فكانت أولى محاولاته سنة 1142م/536هـ حينما استغلّ عبور أسطول صليبيّ من فرنسا وإنجلترا توقّف عند جليقية ليمرّ إلى الأراضي المقدّسة ببلاد الشام، فعرض عليهم أن يتعاونوا معه للاستيلاء على لشبونة، وذلك مقابل مكافآت ماليّة، فاستجاب الأسطول الصليبيّ، وحاصر المدينة إلاّ أنّهم فشلوا في الظّفر بها لقوّة المدافعين عنها. لذلك رحل الأسطول إلى بلاد الشام وعاد الملك البرتغاليّ بجيشه مكتفيا بفرض الجزية فقط على المدينة.[5]

---

[1]– أحمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية، المرجع السّابق، ص. 64؛

عبد الواحد ذنون وآخرون: المرجع السابق، ص. 287.وكذلك:

-H. V. Livermore : op. cit. p. 56

- M de Marlés : op , cit , p.46 ,47

[2]– وصفها ياقوت الحموي بقوله: "**هي مدينة قديمة، قريبة من البحر غربي قرطبة...، وهي مبنية على نهر تاجة والبحر القريب منها**، المصدر السابق ، المجلد 5 ، ص . 16

[3] – أبو الفداء: المصدر السابق ، ص. 173.

[4]– أحمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال، المرجع السّابق، ص. 158.

[5]- Henri Schaffer : op. cit. p. 32

لم ييأس ألفونسو هنريكز من الاستيلاء على **لشبونة** بل تحضّر لاقتحامها في الوقت المناسب. وفي شهر جوان 1147م/محرم 542هـ وصل أسطول صليبيّ إلى سواحل البرتغال[1]، فاستغل ملك البرتغال الفرصة وطلب مساعدتهم مقابل منحهم امتيازات في **لشبونة** وثروات، وحقّ الإقامة في البرتغال – إن هم أرادوا ذلك– مع إعفائهم من الضّرائب[2].

قبِل الأسطول الصّليبي بعروض البرتغال وتوجّه إلى **لشبونة** بحرا، أمّا جيش البرتغال فقصدها برّا [3] ، ورغم شدّة الحصار على المدينة[4] إلاّ أنّ محاولاته باءت بالفشل، ولم يجد حلاّ إلاّ في الأخذ برأي أحد المهندسين الذي أشار عليه بإنشاء برج خشبيّ متحرّك بعجلات، وإلصاقه بجدران الأسوار للتمكّن من دخول المدينة. فرحّب بالفكرة وشرعوا مباشرة في تطبيقها ممّا جعل الأهالي يطلبون الهدنة. وبذلك استولت الحملة البرتغالية على **لشبونة**[5]، في أكتوبر **1147م/جمادى الأولى 542هـ**[6].

---

[1] -Charles Pierre Rémy: Lisbonne, édition Marcus, Paris, 2007, p. 18.

[2]-H. V. Livermore: op. cit. p. 57, 58 ; Daniel Minard : op. cit. p. 114 ؛ أحمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال، المرجع السّابق، ص. 160.

[3]– أحمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال، المرجع السّابق، ص. 161.
-H. V. Livermore : op. cit. p. 58, 59.
-Henri Schaffer : op. cit. p. 33, 34

[4] – دام هذا الحصار أكثر من خمسة أشهر، M de Marlés : op , cit , p.48

[5] - Charles Pierre Rémy : op. cit. p. 12

[6] – استولى ملك البرتغال على القلاع الأخرى القريبة من لشبونة، وعمِل على تعمير المنطقة بين ليريا ولشبونة بالصّليبيين من خلال منحهم لأراضي المنطقة. انظر:

– أحمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال، المرجع السّابق، ص. 167، أحمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية: المرجع السابق، ص. 67.

بعد لشبونة وجّهت البرتغال أنظارها هذه المرّة إلى مدينة "**قصر أبي دانس**" [1] التي تُعدّ من أهمّ مدن غرب الأندلس. فهي من أمنع القواعد الدّفاعية للمسلمين ، وقد حاول ملك البرتغال مرتين الاستيلاء عليها لكن دون جدوى لشجاعة المدافعين عنها[2]. وفي سنة1157م/552هـ حاول دخولها للمرة الثالثة ورغم استعانته بأسطول صليبي مكوّن من قوّات فرنسية وإنجليزية إلّا أنّه فشل مرة أخرى في اقتحامها .[3]

لم يستسلم ملك البرتغال وأعاد حصار المدينة للمرّة الرّابعة في سنة 1158م/553هـ، وهنا انتهَز فرصة وصول بعض السّفن الصّليبية إلى **لشبونة**، فاتّفق مع قادتها على محاصرة قصر أبي دانس، فوافقوا على ذلك وتمّ حصار المدينة برّا من طرف الجيش البرتغالي، وبحرا من طرف الأسطول الصّليبيّ، واستمرّ ذلك الحصار لمدّة شهرين حتّى سقطت في **24 جوان 1158م/جمادى الأولى 553هـ**[4]. وجّه أنظاره إلى **باجة** وتمكّن من الاستيلاء عليها سنة 1162م/557هـ، لكنّه احتفظ بها مدّة قصيرة فقط،

[1] - M de Marlés ; op,cit , p.49

[2]– أحمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، ط1، عين للدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2007، ص. 73.

[3]– أحمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال، المرجع السّابق، ص. 171.

-H. V. Livermore: op. cit. p. 63

.Michael Gerli : Medieval Iberia an encyclopedia, Routledge, New York, 2003, p. 676

[4]- أحمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص. 74، سحر عبد العزيز سالم: المرجع السّابق، ص. 193، أحمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال، المرجع السّابق، ص. 172.

-Henri schaffer : op.cit,p.35

–M de Marlés :op.cit , p.49 ،

وسرعان ما غادرها بسبب بُعدها عن أراضيه و قربها من المسلمين فهي تحتاج عتادا ثقيلا لحمايتها.[1]

ممّا تجدر الإشارة إليه أنّ ملك البرتغال اعتمد في توسّعاته بغرب الأندلس على شخصيّة لعبت دورا هامّا في نجاحه وهو الفارس "**خيرالدو سيمبافور**" **Girald Sempavor**[2]،الذي عرف في المصادر العربية باسم: **العلج جراندة الجليقي** حيث استولى على قاصرش وحصن **(Serpa)** شيربة، وحصن **جلمانية، وترجالة** الواقعة شمال ماردة بالقرب من نهر تاجة[3].

وعلى كلّ حال ، فقد فشل الموحدون في صدّ التّوسعات المكثّفة للبرتغال على أهمّ قواعد غرب الأندلس بسبب انشغالهم بقمع الثّورات الدّاخلية التي انتشرت في كامل الأندلس مثل ثورة ابن مردنيش شرقا[4]. وخلال تلك الأوضاع المزرية توفي الخليفة الموحّدي "**عبد**

[1] محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص. 25؛ أحمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال، المرجع السّابق، ص. 173.

-Henri schaffer : op.cit, p.35
- M de Marlés :op.cit , p.49

[2]– لمزيد من التفاصيل حوله راجع :

A Herculano : Historia of Portugal , desde o comeco da monarchia até o fim do Reinado de affonso 3 , Tomo1 , Livraria Editora Tavares, Lisboa, p 423 , 424 ,cardoso

[3]– ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص. 78، 79؛ 27.

–Henri Schaffer : op. cit. p. 35,36.
-Marlés :op.cit,p.50 M de
-Auguste Bouchot : op , cit , p.27 .

[4]– ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة (تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين)، تح. عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص. 289. انظر أيضا:

المؤمن بن علي" وتمّت البيعة لابنه **أبي يعقوب يوسف** سنة 1163م/558هـ[1]، الذي عمل على تثبيت حكمه في بلاد المغرب أوّلا ثمّ الأندلس، وقرّر استرجاع الأراضي التي أُخذت من المسلمين غرب الأندلس. فجمع جيشه وهاجم المناطق المحيطة ببطليوس، وهزم البرتغاليين إلّا أنّ ذلك لم يوقف ملك البرتغال عن مواصلة سياسته التوسُّعية في المنطقة ، حيث استولى على حصن بلمالة **(Palmela)**[2]، وتحدّى الموحدين بتوجيه أنظاره نحو بطليوس للاستيلاء عليها . وقد كان يحكمها **أبو علي عمر بن تمصيلت**[3] الذي استنجد بالموحّدين ووضّح لهم الخطر المحدق بمنطقته من مملكة البرتغال ، فأرسل الخليفة أبو يعقوب يوسف جيوشه لنجدة الغرب الأندلسي وإيقاف ألفونسو هنريكز مع فارسه خيرالدو سيمبافور وفكّ الحصار الذي ضُرب على بطليوس، لكنّ صاحبها تفاجأ بقدوم النّجدة والدّعم من ملك ليون فرديناند[4]، فدارت بين القوات اللّيونية – الموحدية ،

– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص. 27.

[1]– وقد وصفه عبد الواحد المراكشي بقوله: **كان أبيضا تعلوه حمرة، شديد سواد الشّعر، مستدير الوجه، أفوه أعين، إلى الطول ما هو، في صوته جهارة، رقيق حواشي اللّسان، حلو الألفاظ، حسن الحديث، طيّب المجالسة، أعرَفُ النّاس كيف تكلّمت العرب وأحفظهم لأيامها ومآثرها وجميع أخبارها في الجاهلية والإسلام**". انظر: المصدر السابق، ص. 237.

[2] - Auguste Bouchot : Histoire du Portugal et de ses colonies, Librairie de L.Hachette , Paris , 1854 , p.27 .

[3]– ابن صاحب الصلاة: نفسه، ص. 287.

– سحر عبد العزيز سالم: المرجع السّابق، ص. 208.

[4]– يرجع ذلك لعدة أسباب ، يمكننا أن نلخصها في عدّة نقاط: فملك ليون فرديناند الثاني، هو صهر ملك البرتغال ويوجد بينهما تنافس شديد حول المناطق الإسلامية، هذا من جهة، كما أنّ ملك ليون أراد ضمّ البرتغال إلى أملاكه كما كانت في السابق على يد جدّه ألفونسو السادس، من جهة ثانية، بالإضافة إلى سبب آخر هام وهو الاتّفاق الذي حدث بين فرديناند الثاني وأخيه سانشو، والذي عُرف باتّفاق "**ساهاجون**"(سنتطرق إليه في الفصل الموالي)، وفيه تعاهدا واتّفقا على التّعامل المحدود مع ألفونسو هنريكز، كما قسّما أراضي الأندلس بينهما إلى قسمين، فكان من نصيب

والقوّات البرتغالية معركة عنيفة أدّت إلى انسحاب البرتغاليين [1] .

وصلت تلك الأخبار إلى الجيش الموحدي الذي أرسله الخليفة أبو يعقوب قبل وصولهم إلى بطليوس، فسُرَّ الخليفة بذلك، وعاد ملك ليون فرديناند هو الآخر إلى بلاده سنة 1169م/563هـ.[2]

ظلّ الفارس البرتغالي خيرالدو سيمبافور يترقّب الوقت المناسب للاستيلاء على بطليوس، فأقام بحصن جلمانية القريب منها لمراقبة الأوضاع، إلى أن أتيحت له الفرصة عندما طلب الخليفة أبو يعقوب يوسف بخلع ابن تمصيلت، وعيّن مكانه الحافظ ابن يحي بن الشّيخ أبي حفص الذي شرع في تحصينها، وطبّق أوامر الخليفة التي نصّت على

فرديناند الثاني منطقة الغرب من لبلة إلى لشبونة بما فيها بطليوس، لذلك فإنّ اعتداء هنريكز على بطليوس اعتبره ملك ليون اعتداءً على أملاكه ، زيادة إلى سبب آخر يمكننا اعتباره من الأسباب الهامّة كذلك في مساعدة ملك ليون لبطليوس، وهو الاتّفاق الذي تمّ عقده بين **أبي يعقوب يوسف وفرديناند الثاني** جرّاء مساعدة الموحّدين له، حيث أعطوه قوات عسكرية ضدّ **(نونيو بيريث دي لارا)** حاكم طليطلة نيابة عن ابن أخ فرديناند الثّاني لصغر سنّه، وقاتل الموحّدون إلى جانبه، ومنهم أبو عمر بن تمصيلت حاكم بطليوس، فكسبوا صداقته لذلك تعهّد فرديناند بمساعدتهم ضدّ أعدائهم فلمّا علِم فرديناند الثاني بخروج قوات ملك البرتغال، أخرج هو الآخر جيشه وأرسل أحد جواسيسه يطمْئِنُ سكّان بطليوس بمساعدتهم، وأمر بأن يدلّه أبو عمر بن تمصيلت على أسهل الطّرق التي تمكّنه من دخول المدينة، فساعده ابن تمصيلت على دخولها . انظر:

– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص. 284.

-A Herculano : op,cit , p.414

-سحر عبد العزيز سالم: المرجع السّابق، ص. 203–210.

[1]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص. 296، 297،

– ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص. 80؛

- M de Marlés : op, cit , p.55

-Schaffer : op,cit,p.45

[2]– ابن صاحب الصلاة: نفسه.

Pays D'islam et Monde Latin (textes et documents), Collection D'histoire et D'archéologie médievales , Presses Universitaires de Lyon , p.138,139

-. Ferdinand Denis: op, cit , p.12

حفر بئر داخل قصبة بطليوس لتوفير المياه داخلها[1]، وأثناء الانشغال بذلك، استغلّ **خيرالدو سيمبافور** الوضع وبدأ هجوماته على المدينة[2] سنة 1169م/564هـ[3]، ممّا تسبب في نقص مؤونة بطليوس لأنّه كان يقطع عليهم الإمدادات. في هذه الأثناء جهّز الموحّدون في إشبيلية قافلة كبيرة لمساعدتهم ، لكنّ **خيرالدو** تمكّن كذلك من الاستيلاء عليها بمساعدة ملك البرتغال سنة 1170م/565هـ[4].

لمّا وصل الخبر إلى الموحّدين في إشبيلية أرسل الخليفة **أبو يعقوب يوسف** جيشه إلى الأندلس لوقف تلك الاعتداءات، وكلّف **أبا حفص** بتلك المهمّة ومعه أخوه **أبو سعيد**. انقسم الجيش الموحّدي إلى قسمين: قسم توجّه إلى شرق الأندلس لإيقاف ابن مردنيش، أمّا القسم الثّاني فقاده أبو سعيد وتوجّه به نحو بطليوس[5] لصدّ هجومات خيرالدو

---

[1]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص. 305، 306. انظر كذلك:

– سحر عبد العزيز سالم: المرجع السّابق، ص. 215.

[2]–لمّا استعصى عليه دخولها، قسّم محاربيه إلى قسمين: قسم أخفاه، وقسم آخر هاجم به المدينة، وتظاهر بالهزيمة ثمّ الفرار، فلحق بهم الموحّدون، فخرجت الجيوش المخفية وهاجمتهم، انظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص.306.

[3]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص. 306. انظر أيضا:

– أمبروسيو هويثي ميراندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحّدية، تر: عبد الواحد أكمير، النجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 2004، ص. 230.

-M de Marlés :op,cit ,p.54,55.

[4]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص. 311، 312. انظر أيضا:

– سحر عبد العزيز سالم: المرجع السّابق، ص. 218.

– أمبروسيو هويثي ميراندا: المرجع السّابق، ص. 231.

[5]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص. 312–315.

– ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص. 84. انظر أيضا:

– سحر عبد العزيز سالم: المرجع السّابق، ص. 219

سيمبافور[1] .وصلوا إلى المنطقة سنة 1170م/566هـ، فوجد **أبو سعيد** قوات ملك ليون فرديناند الثّاني شرق بطليوس قرب نهر يانة يراقب تطوّر الأحداث خوفا من استيلاء البرتغاليين على بطليوس، فأرسل الموحدون إليه وفدا لمعرفة نواياه، فأقنعهم بأنّه يريد حمايتها ومنع استيلاء البرتغال عليها، هنا عرضوا عليه تجديد الصّلح معهم فقبِل بذلك، أمّا أبو سعيد فقد انتهز هذه الفرصة وخرج إلى حصن جلمانية، قاعدة خيرالدو سيمبافور ، وقام بالاستيلاء عليها ثمّ تخريبها[2]، وقفل راجعا إلى إشبيلية.[3]

بعد فشل البرتغال أمام الجيش الموحدي في الاستيلاء على بطليوس ، وجّه هنريكز أنظاره إلى مدينة **باجة** التي كان يحكمها **عمر بن سحنون**، وقد كان سيّء السّيرة[4] بين سكّان باجة . فاعتبر ملك البرتغال ذلك فرصة للاستيلاء على المنطقة، خاصّة وأنّ ابن

---

[1]– وقد تحدّث ابن صاحب الصّلاة عن كيفية الهجومات التي يقوم بها خيرالدو سيمبافور قائلا: ".. **فكان الكلب يتسلّل في اللّيالي الممطرة الحالكة المظلمة الشّديدة الرّيح والثّلج إلى البلاد، وقد أعدّ آلات من السّلالم من أطول العيدان تعلو سور المدينة التي يؤم ويروم، فإذا نام السامر المسلم في برج المدينة، ألقى تلك السّلالم إلى جانب البرج ورقي عليها بنفسه أولا إلى البرج وتقبض على السّامر**". انظر: ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص. 288.

[2] – عمل أبو سعيد بعدها على تعزيز الدّفاع عن بطليوس وزوّدها بكلّ ما تحتاجه من عدّة ومؤونة، وعمل على تطهير المناطق المحيطة بها من البرتغاليين، وبالأخصّ "**حصن ليبون**" **(Libion)** الواقع شرقها والذي كان لا يزال تحت سيطرة أتباع خيرالدو سيمبافور، وتمكّن الموحّدون من التغلّب على من كان به من البرتغاليين، لتفاصيل أكثر راجع: محمد محمود النشار: المرجع السّابق، ص. 184؛ سحر عبد العزيز سالم: المرجع السّابق، ص. 222.

[3]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص. 315

– ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص. 86. راجع أيضا:

– محمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال، المرجع السّابق، ص. 183، 184.

[4]– ذكره ابن عذارى بقوله: "وولِي عليهم طالب بربريّ سخيف العقل اسمه عمر بن سحنون، وكان قصير القامة، صغير الهامة. أعرج، لا يَفهم ولا يُفهم، فدخلها في أشأم طالع وأعظم محنة لسامع، واتّصل به سِفالُها فقرّبهم لنفسه وأدناهم من محلّ أُنسه، فنزا التّباغض بين عامّتها وخاصّتها بذلك السّبب، وتقاطعوا في المواصلة والنّسب...". انظر:

– ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص. 229.

سحنون حرم كذلك الحرّاس من رواتبهم، ممّا جعلهم يتهاونون في الحراسة الجيّدة للمدينة، إذ كان أحد أبراجها خاليا من الحراسة ليلا. فاستغلّ خيرالدو سيمبافور الفرصة ، وقام بتنفيذ هجومه على المدينة سنة 1172م/568هـ ونجح في دخولها.[1]

عرفت أوضاع الموحدين تحسّنا ملحوظا بعد نجاحهم أخيرا في بسط سيطرتهم على كامل الأندلس. ما جعلهم يكثّفون هجماتهم على المسيحيين لاسترجاع ما تمّ فقده من أراضي أثناء انشغالهم في فرض الانضباط داخل الأراضي الإسلامية، وكانت قشتالة والبرتغال من أولى الممالك التي وجّه إليها الجيش الموحدي هجوماته، الأمر الذي جعل هؤلاء يعجزون عن صدّهم، ومع ازدياد تخوّفهم من فقدان ما حقّقوه خلال الفترة السابقة، عمدت كلّ من مملكة قشتالة والبرتغال إلى طلب الهدنة من الموحدين.

دامت المفاوضات بينهم شهرين كاملين في إشبيلية انتهت بتوقيع صلح في أكتوبر 1173 م /568 م نصّ: على إيقاف القتال بين المسلمين والمسيحيين في قشتالة والبرتغال مدة خمس سنوات[2] ، إلّا أنّ ملك البرتغال سرعان ما نقض المعاهدة الموقّعة مع

---

[1]– لمّا علم ابن سحنون لاذ بالفرار دون الاكتراث لأهل **باجة**، فتعرض العديد منهم للسّبي. وقد بقي البرتغاليون في باجة مدة من الزمن ثم تركوها بعد أن هدموا أسوارها وحرقوا مزارعها لمّا أدرك ملك البرتغال تطلبها لعتاد كبير. انظر:

– ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص. 229–231. وكذلك:

– أمبروسيو هويثي ميراندا: المرجع السّابق، ص. 256، 257.

– محمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال، المرجع السّابق، ص. 184، 185.

-H. V. Livermore: op. cit. p.64

[2]– أمبروسيو هويثي ميراندا: المرجع السّابق، ص. 262.

الموحّدين وجدّد هجوماته ضدّهم سنة 1177م/573هـ[1]. فهاجم **باجة** ثمّ **إشبيلية**، ولمّا وجد صعوبة في اقتحامها عاود الرجوع إلى باجة سنة 1178م/574هـ، مستغلّا خروج واليها عمر بن تمصيلت ومعه علي بن وزير حاكم حصن شيربة **(Serpa)** للإغارة على قصر ابن أبي دانس. فنشبت بينهم وبين البرتغاليين معركة قويّة، بدا فيها تفوّق ملحوظ للموحدين إلّا أنّ وصول نجدة برتغالية من **شنترين** قلبت موازين القوى لصالح البرتغال. فانهزم الموحدون وأسر ابن تمصيلت وابن وزير[2]. عند وصول خبر ذلك إلى أهالي باجة، لاذوا بالفرار إلى مدينة مرتلة ، ويقول ابن عذارى في ذلك: "... **ووصل الخبر إلى أهل باجة، ففرّوا أجمعين...**"[3].

عزم الموحدون على إيقاف هجومات مملكة البرتغال المتكرّرة على غرب الأندلس ومواجهتها بقوة ، فوجّه الخليفة الموحدي أوامره إلى "**غانم بن مردنيش**" أمير البحر لتكثيف هجوماته على السّاحل البرتغالي[4]. فهاجموا شواطئ لشبونة واستولوا على بعض سفن الأسطول البرتغالي ، فردّ البرتغاليين بالإغارة على جزيرة شلطيش القريبة من ولبة،

---

[1]– بينما البعض الآخر يقول أنّ ألفونسو هنريكز كلّف وليّ عهده سانشو الأول باستئناف القتال ضدّ الموحّدين بعد انتهاء الهدنة مع الموحّدين . انظر: أمبروسيو هويثي ميراندا: المرجع السّابق، ص. 269.
-Herculano : op, cit , p.445 .

[2]–بعدها تمّ قتل ابن تمصيلت في قلمرية، بينما افتَدي ابن وزير نفسه بالمال. ابن عذاري: المصدر السابق، ج.3، ص.235، 236. راجع كذلك:

_ أحمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال، المرجع السابق، ص. 187.

[3]– ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص. 236.

[4] - Schaffer : op , cit , p.47 .
-Herculano : op,cit p.447

وأسر عددا كبيرا من سكّانها[1]. إلّا أنّ ذلك لم يوقف قوّات الموحدين البحرية في ردع مملكة البرتغال ، فاتّجهوا إلى سان مارتين دي بورتو Saint Martin de Porto البرتغالية سنة 1180م ، وحاولوا مهاجمتها ، لكنّ عامل المدينة استنجد بقوات شنترين، ممّا أدى إلى هزيمة الموحّدين وأسر عددٍ كبيرٍ منهم.[2]

عمل الموحدون على تكثيف هجماتهم ضدّ البرتغال، بعد أن قامت هي الأخرى بالرد في كلّ مرّة على تحركاتهم، الأمر الذي جعل السلطة الموحدية تشدّد بضرورة القضاء على مملكة البرتغال التي باتت تشكّل خطرا حقيقيّا على أراضي المسلمين غرب الأندلس. ففي سنة 1181م/577هـ، خرجت حملة من إشبيلية بقيادة "أبو عبد الله محمد بن وانودين الهنتاتي" متّجهة نحو يابرة فنجح الموحدون في حصارها دون أن يتمكّن البرتغاليون من فكّه. ورغم محاولات أهالي المدينة من البرتغاليين الاشتباك مع الموحّدين واسترجاع المدينة إلّا أنّهم انهزموا. لم يستسلم البرتغاليون لفشلهم السّابق بل أعادوا تنظيم صفوفهم، وقاموا بعدّة حملات من شنترين إلى أراضي المسلمين ورغم أنّها باءت هي

[1]– ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص. 242. راجع:
– أمبروسو هويثي: المرجع السّابق، ص. 270.
– محمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال، المرجع السّابق، ص. 189.
[2]– ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص. 242. اطلع أيضا على:
– أمبروسو هويثي: المرجع السّابق، ص. 270.
-Schaffer : op , cit ,p.47 , 48
-M de Marlés : op ,cit, p.58.

الأخرى بالفشل إلّا أنّهم سرعان ما أعدّوا كمينا للمسلمين أدّى إلى قتل البعض منهم[1]،هذا إلى جانب قيامهم بحملة أخرى سنة1182م/578هـ من لشبونة[2].

مع تواصل هجمات البرتغال على أراضي المسلمين أصبحت تشكّل خطرا كبيرا عليهم سواءً برّا أو بحرا، فازدادت طلبات النجدة إلى الخليفة الموحدي لإيقاف هذه التّحرشات المتكرّرة سواء من مملكة قشتالة أو البرتغال[3] ، لذلك قرّر الخليفة الموحّدي توجيه حملة ضخمة ضدّ المملكتين[4]، وحاول التّركيز على تحطيم شنترين التّابعة لمملكة البرتغال لأنّها مركز انطلاق عملياتهم العسكرية ضدّ المسلمين[5]. فجمع الخليفة الموحّدي قوّاته وخرج من مراكش في 15 ديسمبر 1183م حتّى وصل إشبيلية أين عمد إلى إعادة

[1]– ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص. 246. انظر:
– محمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال، المرجع السّابق، ص. 191.
– أمبروسو هويثي: المرجع السّابق، ص. 275 .
– Schaffer : op , cit ,p. 48

[2]– ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص. 247. راجع كذلك:
– أمبروسو هويثي: المرجع السّابق، ص. 275–277.

[3]–علينا أن نفهم أنّ الأمور قد تغيّرت في المنطقة عمّا كانت عليه سابقا، فالحلف الذي ربط ملك ليون فرديناند الثّاني بالمسلمين لم يدم طويلا، حيث تعهّد هذا الأخير بإلغاء تحالفه مع المسلمين إثر توقيعه لمعاهدة **(فريسينو لاباندير)**Fresno Lavandera السّلمية مع قشتالة في 1 جوان 1183م، وفي المقابل تعهد، ألفونسو الثامن ملك قشتالة بنفس الشيء ، مع سرية الاتّفاق بينهما لمدّة سبعة أشهرلذا فإنّ ليون تحرّرت مع قشتالة من قيودهما مع المسلمين وبدأوا يُغيرون على أراضيهم .للمزيد حول الموضوع انظر: أمبروسو هويثي: المرجع السّابق، ص. 283.

[4]–المقصود :قشتالة والبرتغال .

[5]– ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص. 263 .
- M de Marlés : op,cit,p.58,59

تنظيم جيشه، معتمدا في خطّته على جمع أكبر عدد ممكن من المقاتلين من جميع أنحاء الأندلس وبلاد المغرب، واتّفقوا على أن يكون الحصار برّا وبحرا.[1]

ورغم اختلاف الرّوايات في ذكر تفاصيل هذه الحادثة[2]، إلّا أنّ جميعها ركّزت على الحشود الكبيرة التي جمعها الخليفة في هذه الحملة ، ممّا أعاق سرعة وصولهم إلى الهدف المنشود وهو "**شنترين**"، وفتح المجال أمام ملك البرتغال لإمداد المنطقة بالعتاد والمؤونة اللاّزمين.

التقى الطّرفان في معركة حاسمة دامت أربعة أيام، لكنّ الخليفة الموحّدي أمر قوّاته بالانسحاب فجأة، والمرجح أنّه قد وصله نبأ انضمام ملك ليون فرديناند الثّاني إلى البرتغاليّين، لذا قرّر الخليفة الانسحاب في 2 جويلية 1183م، فتسابق الجنود للعبور تاركين الخليفة في الوراء. ممّا خلق فوضى انتبه لها البرتغاليون وشرعوا في مهاجمة الجيش الموحدي ، وعلى إثر ذلك جُرح الخليفة ، فأسرع ابنه "**يعقوب المنصور**" وأنهى عملية الانسحاب ، واجتازوا جميعا نهر تاجة وصولا إلى إشبيلية ثم ما لبث أن توفّي[3] الخليفة الموحّدي[4]،

[1]– محمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال، المرجع السّابق، ص. 192.
– أمبروسو هويثي: المرجع السّابق، ص. 284.
[2]– راجع تحليل أمبروسو للرّوايات العربيّة والمسيحيّة للحادثة . أمبروسو هويثي: المرجع السّابق، ص. 285–294.
[3]–لمزيد من التفاصيل عن وفاته، انظر:
– ابن عذاري: المصدر السابق، ج.3 ، ص. 266 ، 267
[4]– ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص. 263–265.
– المراكشي : المصدر السابق ، ص . 257 _ 260.

وتولّى ابنه **أبو يوسف يعقوب المنصور**[1] الخلافةَ الموحّدية سنة 1184م/580هـ[2]. أمّا ألفونسو هنريكز فتوفّي هو الآخر بعده بعام واحد في 6 ديسمبر 1185م/582هـ بعد توسّعات كبيرة في أراضي المسلمين (انظر الخريطة المرافقة) ، وتولّى ابنه سانشو (1185-1211م) الحكم خلفا له[3].

- ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص.214 ، 215 .
- الحميري : المصدر السابق ، ص.114 . انظر كذلك:
- محمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال، المرجع السّابق، ص. 192-197.
- أمبروسو هويثي: المرجع السّابق، ص. 297، 298.

-Auguste Bouchot : op,cit,p.28
-M de Marlés : op, cit ,p.59
-Schaffer : op,cit,p.49,50

[1]- هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ويكنى بأبي يوسف بويع له بالحكم في حياة والده، تولى الحكم وعمره 32 سنة. المراكشي: المصدر السابق، ص.262،261، وانظر كذلك:

- ابن عذاري: المصدر السابق، ج.3، ص.270

[2]- ابن عذاري: المصدر نفسه، ج.3، ص.272.

-المراكشي: المصدر السابق، ص .265، وكذلك:

- محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص. 131.

[3]Fortia D'orban : op.cit. p. 116.
- H. V. Livermore : op. cit. p. 66 .
-Parisot : op.cit. p. 21.
- Ferdinand Denis : op.cit. p. 12.

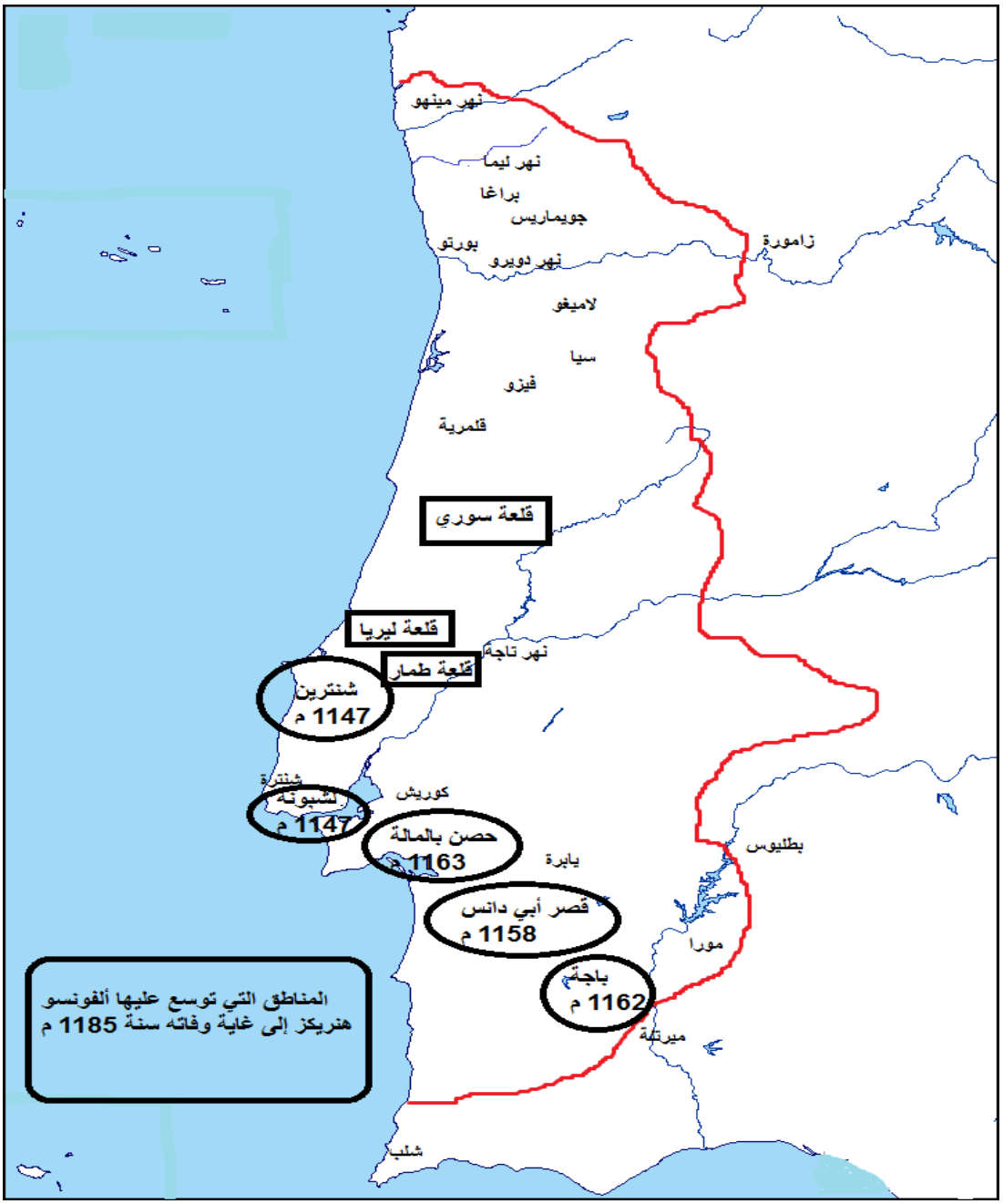

خريطة تبين المناطق التي توسع عليها ألفونسو هنريكز إلى غاية وفاته سنة 1185م

سار ملك البرتغال سانشو على نفس سيرة والده في التوسّع على أراضي غرب الأندلس. فعمِل في البداية على تحصين منطقته وإعادة بناء ما تمّ تخريبه أثناء حروبهم ضدّ المسلمين[1]. ومن جهته شرع الخليفة الموحّدي الجديد "**يعقوب المنصور**" في عمليات

[1]– لذلك لُقّب بالمعمر (Povoador). انظر:
.Ferdinand Denis : op.cit. p. 13

التّشييد والتّرميم والتّحصين ، لكن ما لبث أن بدأت عواصف الثّورات الدّاخلية في الاندلاع بالأندلس من جديد، حيث لم تمهل الخليفة الوقت اللاّزم للإصلاح، إذ توجّب عليه إخمادها أوّلا مثل ثورة بني غانية.[1] فاستغلّ ملك البرتغال الفرصة ليبدأ هجوماته على مسلمي غرب الأندلس ، خاصّة أنّ عدد القوات الموحدية بالمنطقة قليل مقابل زيادة في عدد القوات الصّليبية القادمة من المشرق التي كانت سواحل البرتغال قاعدة لنزولها[2].

ففي سنة 1189م/585هـ وصل أسطول صليبي من الإنجليز والفلندر إلى لشبونة، عرض عليهم ملك البرتغال مساعدته في حصار مدينة "**شلب**"، فاستجابوا لذلك مقابل الحصول على الغنائم. ويرجع السّبب في التّركيز على شلب لأنّها قاعدة انطلاق المسلمين في غزواتهم نحو المحيط[3]، كما اشتهرت بحصانتها إذ تُعدّ من أمنع مناطق غرب الأندلس، يقول فيها الحميري : "**.. عليها سور حصين ولها غلاّت وجنّات..**"[4].

بعد أن تمّ الاتّفاق بين المسيحيين ، انطلقت القوات الصليبية يوم 16 جويلية 1189م/585هـ لتصل إلى خليج بورتيماو" (Portimao) بعد أربعة أيام فقط ، وهو يبعد

---

[1]– لمزيد من التّفاصيل حولها انظر:

– ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص. 276–281.

– ابن خلدون: المصدر السّابق، ج6، ص. 325–329.

[2]– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص. 170.

–Parisot : op.cit. p. 22

[3]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص. 280, انظر كذلك التفاصيل في:

-Hugh Kennedy : Muslim spain andPortugal (a political History of Al-Andalus), Routledge, 1st published, 1996, p. 241

- H. V. Livermore : op. cit. p. 70.

[4]– الحميري: المصدر السابق، ص. 106.

عن شلب بـ: 12 كلم، للالتقاء بالقوات البرتغالية البرية[1] ثمّ زحفت القوّات الصّليبية على شلب وهاجموها ، وعمدوا إلى نهب الغنائم وحملها إلى سفنهم[2]. أمّا قائد الجيش البرتغالي سانشو فقد لجأ إلى حصار المدينة[3]، الذي طال أمده ممّا خلق مشكلا لدى ملك البرتغال، وكاد أن ينسحب الصّليبيون لولا وصولهم خبر اشتداد الأمر على سكّان شلب. فواصلوا حصارهم حتى خرج وفد عرض عليهم الاستسلام مقابل السّماح لهم بمغادرة المدينة مع ممتلكاتهم غير أن الصّليبيين والبرتغاليين أصرّوا على الاحتفاظ بالممتلكات[4]. وهكذا استولت البرتغال على شلب[5] في 3 سبتمبر 1189م/رجب 585هـ.[6]

لمّا وصل إلى الخليفة الموحّدي خبر الكارثة التي تعرّضت لها شلب قرّر الخروج بنفسه على رأس حملة إلى الأندلس. فغادر المغرب في 23 جانفي1190م/585هـ متوجّها نحو قرطبة كما أعطى الأوامر لابن عمّه **يعقوب بن أبي حفص** عامل إشبيلية

[1]– أمبروسو هويثي: المرجع السّابق، ص. 331.

–Ferdinand Denis : op.cit. p. 13

[2]– المراكشي : المصدر السابق ، ص. 280 .

– ابن عذاري : المصدر السابق ، ج.3 ، ص.305 . وكذلك :

– أمبروسو هويثي ميراندا: المرجع السّابق، ص. 331.

[3] – أمبروسو هويثي ميراندا: المرجع السّابق، ص. 332.

[4]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السّابق، ص. 280.

– أمبروسو هويثي ميراندا: المرجع السّابق، ص. 332.

[5] – انظر الخريطة رقم 7

[6]– ابن عذاري: المصدر السابق، ج.3، ص.305.

– ابن خلدون: المصدر السّابق، ج6، ص. 329.

-Hugh Kennedy : op.cit. p. 214

- Livermore : op. cit. p. 70

– محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية، المرجع السّابق، ص. 138، 139؛

– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص. 172–174.

للخروج بجيشه من أجل محاصرة "شلب"، وبالفعل خرج يعقوب وأقام مخيّمه بجوارها، ثمّ لحقت به سفن الأسطول الموحّدي إلى مياه البرتغال الجنوبية حتّى اقتربوا من شلب فحاصروها ثم أقاموا على أسوارها المجانيق.[1]

أمّا الخليفة الموحّدي **المنصور** فبعد أن حطّ رحاله في قرطبة وصلته رسالة من قشتالة وليون يطلبان فيها الهدنة، فقبل الخليفة بذلك. ثمّ توجّه الجيش الموحدي نحو الشّمال الغربي لنهر تاجة وحاصروا قلعة **طرش**«Torres» حتى طلب حاكمها الأمان، فغادرها النّصارى ثمّ دمّرها الموحّدون. ليسيروا نحو "**طمار**"[2] وحاصروها وقتا من الزّمن، غير أنّ الخليفة الموحّدي أمر بإنهاء الحملة العسكرية بسب مرضه ، يقول ابن عذاري: **"وكان المنصور عزم في هذه الغزوة أن يدوخ بلاد ابن الرنك وينتهي فيها إلى أقطار قلمرية، فوعك ..، ورأى أنّ جيشه قد أثّر فيه الغلاء ونهكه، فأخذ إلى إشبيلية قافلا،..."**[3]

بعد عودة الخليفة إلى إشبيلية، بدأ في إصلاح شؤونها، كما جمع العدد والعدّة اللاّزمة لتحقيق هدفه الذي عبَر من أجله إلى الأندلس. فلمّا أنهى استعداداته، خرج من

---

[1]– عبد الواحد المراكشي: المصدر السّابق، ص. 280.

– ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص. 307–310. انظر أيضا:

– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص. 175، 176.

– أمبروسو هويثي ميراندا: المرجع السّابق، ص. 333، 334.

[2]– ابن خلدون: المصدر السّابق، ج6، ص. 329 .

-Hugh Kennedy : op.cit. p. 243

[3]– ابن عذارى: المصدر السّابق، ج3 ص. 310.

إشبيلية في أفريل 1191م/ربيع الآخر 587هـ وعبَر نهر وادي يانة مخترقا أراضي البرتغال قاصدا "**قصر أبي دانس**" فنجح في استرجاعها[1]. ثم توجّه الموحّدون إلى حصن **بلمالة**، وعند وصولهم أدرك البرتغاليون استحالة مواجهتهم، فعرضوا على الموحدين تسليمهم الحصن والخروج منه. استجاب الخليفة لرغبتهم وأخذ ما فيه من غنائم ثمّ أمر المنصور بهدمه[2]، كما استولوا على **حصن المعدن** Almada[3] . بعد ذلك اتّجه الخليفة إلى هدفه المنشود مدينة "**شلب**" التي حطّ رحاله بها في 27 جوان 1191م فحاصرها الموحّدون ونصبوا المجانيق حول أسوارها، ثمّ شرعوا في توجيه ضرباتهم نحوها حتى نجحوا في اقتحامها. وهكذا خرج النّصارى من شلب في 23 جويلية 1191م/25 جمادى

[1]–لتفاصيل أكثر انظر:

– ابن عذارى: المصدر السّابق، ج3 ص. 314، 315.

– ابن أبي زرع: المصدر السّابق، ص. 219 . وكذلك راجع :

– محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السّابق، ص. 74.

– محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية، المرجع السّابق، ص. 147، 148.

–أمبروسو هويثي ميراندا: المرجع السّابق، ص. 343–345

- Hugh Kennedy : op.cit. p. 242،

–H. V. Livermore : op.cit. p. 70

[2]– ابن عذارى: المصدر السّابق، ج3 ص. 315، 316 .

-Schaffer : op,cit,p.57

[3]– في حين روايات أخرى ذكرت أنّ تلك الحصون لمّا علمت بسقوط قصر أبي دانس، استسلمت وخرج منها سكّانُها، فاستولى عليها الموحّدون. انظر: أمبروسو هويثي ميراندا: المرجع السّابق، ص. 346

-Schaffer :op,cit,p.57

الثّانية 587هـ، لتعود إلى المسلمين مرّة أخرى بعد أن استولى عليها المسيحيون مدّة عامين.[1]

خلاصة القول أنّ منطقة غرب الأندلس أثناء حكم الموحدين غلب عليها الصّراع والحروب وقد حاول فيها البرتغاليون استغلال الوضع المضطرب في الأندلس لتوسيع رقعتهم الجغرافيّة في الجهة الغربيّة، خاصّة بعد تخلّص ملك البرتغال من مشاكله، وبالفعل تمكّن من الحصول على العديد من المناطق الإسلاميّة، وبوفاته عمل ابنه سانشو على التّوسع أكثر بالمنطقة متبعا سيرة والده ، لكنّ وصول الخليفة يعقوب المنصور أواخر القرن الثّاني عشر ميلادي قلب موازين القوى في المنطقة [2]، فتمكّن من استرجاع بعض المناطق التي استولى عليها البرتغاليون سابقا.

فهل سيتمكن الموحدون من الاحتفاظ بتلك المناطق وإيقاف الزّحف البرتغاليّ على الأراضي الإسلاميّة غرب الأندلس؟

[1]– مجهول: الحلل الموشية: المصدر السّابق، ص. 159.
– ابن عذارى: المصدر السّابق، ج3 ص. 316. راجع أيضا:
– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص. 187، 188.
– محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية، المرجع السّابق، ص. 151.
– أمبروسو هويثي ميراندا: المرجع السّابق، ص. 346، 347.
-H. V. Livermore: op.cit. p.70

[2] – انظر الملحق رقم 8

الفصل الثالث

الفصل الثّالث:

" ميلاد مملكة البرتغال وأثرها على الوجود الإسلاميّ غرب الأندلس "

1. الأوضاع التي مهّدت لميلاد مملكة البرتغال.
2. استفحال حركة الاسترداد وأثرها في تأسيس مملكة البرتغال.
3. حروب مملكة البرتغال ضدّ المسلمين في غرب الأندلس.
4. مساهمة مملكة البرتغال في العدوان الصّليبي على الأندلس.

الفصل الثالث: ميلاد مملكة البرتغال وأثرها على الوجود الإسلامي غرب الأندلس

بعد أن توقفت عمليّة الفتح الإسلامي في الأندلس بسبب مغادرة موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى المشرق استغلّ سكّان الأقاليم الواقعة في أقصى الشّمال الغربي لشبه الجزيرة الإيبيرية – التي بقيت دون فتح – هذا الوضع وقاموا بتأسيس ممالك مسيحية في هذه الرّبوع. وما يهمنا هنا، بالدّرجة الأولى ، هو كونتيّة البرتغال التي رأت النّور مع منتصف القرن التّاسع ميلادي في المنطقة الغربيّة المطلّة على ساحل المحيط الأطلسيّ أطلق عليها اسم Portucale[1].

كانت هذه الكونتية في بداية ظهورها محصورة بين نهري مينهو ودويرو(أنظر الخريطة) ، لتتوسّع رقعتها منتصف القرن الحادي عشر ميلادي لأوّل مرّة على أراضي المسلمين جنوب نهر دويرة في عهد الملك فرديناند الأوّل[2]. ومنذ ذلك الوقت بدأت المواجهات بين كونتيّة البرتغال والمسلمين.

[1] :H.V. Livermore : op , cit , p.36
[2] :Ibid, p.36,37.
Emmanuel Raymond : L'Espagne et le Portugal, imprimerie de dubuisson , Paris , p.57,58 .

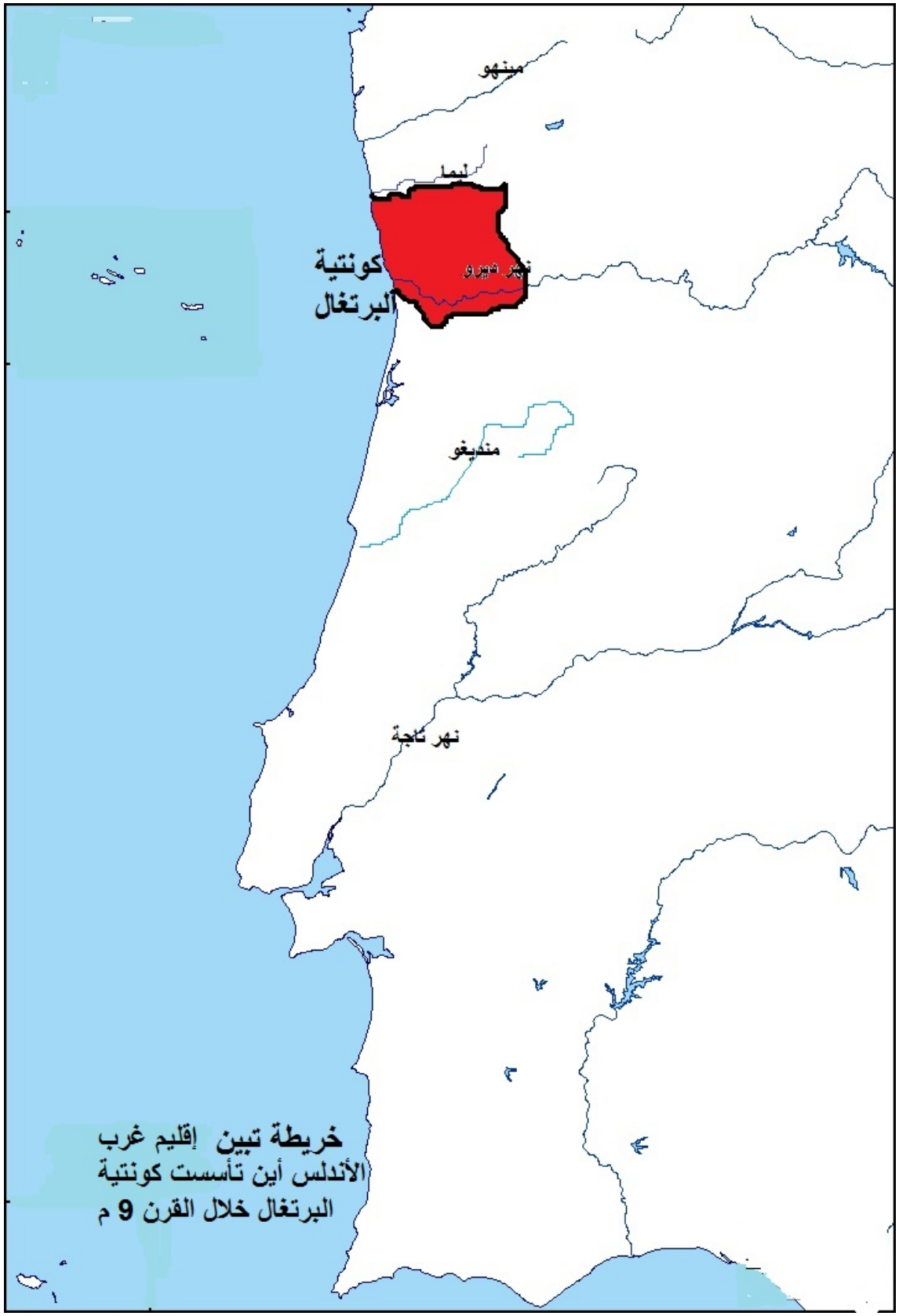

خريطة تبين إقليم غرب الأندلس أين تأسست كونتية البرتغال خلال القرن 9م.

1. الأوضاع التي مهّدت لميلاد مملكة البرتغال

نظرا للضّعف الذي عرفه المسلمون بداية من القرن 11 م، وما ترتّب عنه من انقسامات وخصومات على الجبهة الإسلاميّة في الأندلس منذ أن آلت الأمور فيها إلى ملوك الطّوائف، استغلّ الملك القشتاليّ فرديناند الأول الفرصة للتوسّع على أراضيهم بما فيها الجهة الغربيّة ونجح في الاستيلاء على بازو Viseu ولاميغو Lamego ووصل حتى قلمرية (لاحظ الخريطة المرافقة). وقبيل وفاته قام بتقسيم مملكته بين أبنائه فكانت كونتية البرتغال من نصيب أصغر أبنائه غارسية Garciaكإقليم تابع لقشتالة. فيما اقتسم الإخوة الآخرون ما تبقّى من أملاك قشتالة[1] .

ظلّ السّلام ساريا بين الإخوة مدّة عامين في ظلّ حكم والدتهم سانشا Sansha إلّا أنّ وفاتها عجّلت بقيام خصومات بينهم ، سرعان ما تطوّرت إلى حرب أهليّة[2]، انتهت في الأخير بتعيين أخيهم **ألفونسو السّادس**، صاحب ليون،(1065-1109م-457-

[1] – أعطى ابنه الأكبر سانشو مملكة قشتالة، ومنح ألفونسو مملكة ليون، أمّا ابنتاه أوراكا وإلبيرة فمنحهما حقّ الإشراف على الأدْيِرة في المملكة، كما منح "سمورة" لأوراكا، و"تورو" لإلبيرة مع بعض المناطق على نهر دويرة، انظر:
-William c.Pearce : History of Spain and Portugal ,London and Glasgow,1878,p.51

[2]–أشارت حولية بلايو لقيام هذه الحرب بين الإخوة بعد عام واحد من وفاة الملكة الأم، لتفاصيل أكثر حول الحرب الأهلية بين أبناء الملك فرديناند الأول راجع:

- Don Pelayo : op , cit , p.76,77
- M de Marlés : op , cit , p.25 _ 28 .
-William c.Pearce : op ,cit , p.51 ،

502هـ)[1]ملكا لقشتالة وليون وجليقية والبرتغال. فعادت الوحدة السّياسيّة لإسبانيا المسيحيّة كما كانت من قبل في عهد والدهم فرديناند الأوّل.

خريطة تبين كونتية البرتغال بعد توسعات الملك فرديناند الأول خلال القرن 11م

[1]–استدعاه الأشراف للاجتماع في برغش وهناك أقسم لهم بعدم تدبيره لمقتل أخيه سانشو بحسب طلبهم، فعينوه ملكا، راجع:

M de Marlés : op,cit , p.25 .

تفرّغ الملك الجديد ألفونسو السّادس، الذي يلقّبه المسلمون بالأدفونش، للتوسّع على أراضي المسلمين فاعتدى ، بادئ ذي بدء ، على طليطلة سنة 1078م، وأجبر حاكمها **القادر**[1] على التّنازل له عن بعض الحصون ، زيادة على إجباره على دفع جزية سنوية . تسبّب رضوخ حاكم طليطلة (القادر) لمطالب ألفونسو السّادس في تذمّر أهالي طليطلة فقاموا بالانتفاضة على الأمير القادر وعزلوه فما كان من هذا الأمير المعزول إلّا أن استنجد بالملك ألفونسو السّادس الذي لبّى النّداء وأرجعه إلى عرش طليطلة مرة أخرى، وبذلك تمكّن ألفونسو من السّيطرة عليها نهائيا سنة 1085م/478هـ.[2]

نتيجة لسقوط طليطلة خاف ملوك الطوائف من فقدان الأندلس ، لذلك اجتمع رأيهم على الاستنجاد بإخوانهم في العدوة المغربيّة ، ومن دون تردد لبّى يوسف بن تاشفين نداء الواجب للدّفاع عن الملّة وحماية إخوته في العقيدة ، فأعدّ جيشا كبيرا وعبر به جبل طارق ، واستطاع في ظرف وجيز أن يوقف هجمات ألفونسو السّادس ، وألحق به الهزيمة سنة 1086م/479هـ.[3]

---

[1]– هو حفيد المأمون، وقد كان ضعيف الإرادة وقليل المعرفة. انظر:
– ابن الخطيب: أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص. 178، 179.

[2]– رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص. 377.
– رينهرت دوزي: المرجع السّابق، ج3، ص. 125، 126.

[3]– مؤلّف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السّابق، ص. 58–62 .
– مذكّرات الأمير عبد الله، المصدر السّابق، ص. 309، 310. انظر أيضا:

أمّا ألفونسو السادس، فبعد تلك الهزيمة المذلّة اتّجه إلى الممالك المسيحيّة الأوروبيّة يطلب الإغاثة منها ، ووجد استجابة فوريّة من فرسان مقاطعتي نورماندیا وبرجوندیا اللّتين كان من بين أبرز فرسانها الكونت **ريموند وهنري البورجونيان**[1] اللّذان لعبا دورا هامّا في مساعدة ألفونسو السّادس[2] في حروبه ضدّ المسلمين[3]، وكمكافأة لهما ضمّهما ألفونسو إلى أسرته، فزوّج **الكونت ريموند** بابنته الشرعية أوراكا[4] سنة 1093م/486هـ، بينما زوّج **الكونت**

– يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ص. 249.

[1]– من بين الأسباب التي أدت إلى مجيئهما إلى إسبانيا هو الرغبة في تكوين إقطاعية خاصة هنري الذي لم يكن يملك أي أرض، إضافة إلى الحماس الدّيني لمقاتلة المسلمين التي نادى بها الرهبان الكلونيون. انظر:

– محمد محمود أحمد النشار: علاقة مملكتي قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك (1260–1341م/658–741هـ)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1997، مصر، ص. 36.

[2] – للإشارة فإن الكونتيان ريموند وهنري البرجونيان ينتميان إلى أسرة آل كابيه ملوك فرنسا، وهي أسرة حكمت فرنسا لعدّة قرون، وقد نشأت تلك الأسرة الحاكمة من أسرة إقطاعية تمتّعت بحصانة قوية استمدّتها من ملوك الدولة الكارولنجية، وكانت تمتلك الثروة، كما استمدّت شهرتها من مقاومتها للنورمان، ويعدّ هوف كابيه أول ملوكها حيث ورث عن أبيه اقتطاعات وأراضي شملت كلّ فرنسا ما عدا بريتاني وأكويتاني. انتخب من طرف اللوردات لذلك كانت سلطتهم مقبولة في فرنسا؛ لمزيد من التفاصيل، انظر:

– نيفين ظافر حسيب الكردي: الأوضاع الدّينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوروبي من القرن التاسع حتّى القرن الحادي عشر، قدّمت الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف: رياض مصطفى أحمد شاهين، قسم التاريخ و الآثار، غزة، فلسطين، 2011 م ، ص. 61، 62 ،

-M. de Marlès : op. Cit, p. 33,

- Auguste Bouchot : op ,cit , p.17

[3] -Olievera Marques : Histoire de Portugal et de son empire colonial, traduitdu portugais par: Marie Hélène Boudrillart, édition Karthala, 2ème ed, 1998, p. 29

[4]– ابنة ألفونسو السادس من زوجته كونستانس البورجونية الفرنسية، ولهذا كانت له علاقة وطيدة بالفرنسيين تولت حكم ليون وقشتالة بعد وفاة والدها، وبعد وفاة زوجها الأول تزوجت بألفونسو المحارب سنة1109 م .

- M. de Marlès : op. Cit, p. 33.

Jennifer Lawler : Encyclopedia of women in the middle Ages , British Library cataloguing , 2001 p.156

هنري بابنته غير الشرعية[1]تيريزا سنة 1094م/487هـ[2] .فكان لهذين الشخصين دور هامّ فيما ستعرفه البرتغال من أحداث بعد ذلك.

في سنة 1094م/487هـ قرّر الملك ألفونسو السّادس فصل كونتيّة البرتغال عن جليقية وأسند حكمها إلى **هنري البرجونيّ** كهديّة لزواجه من ابنته تيريزا على أساس هبة إقطاعيّة[3]. ولقد اعتبر المؤرخون هذا التّاريخ بمثابة الميلاد الثاني لكونتية البرتغال، التي

---

[1]– كان لألفونسو السادس عدّة زوجات ومحظيات، فزواجه الأول كان من أجنس دي أكويتينInes De Aquitaineابنة وليام الثامن (1025–1086م/416–478هـ) حاكم اكويني في عام 1069م/461هـ، وطلقها عام 1077م/469هـ دون أن يكون له منها أولاد، وزواجه الثاني من كونستانس أرملة كونت دي شالون وابنة روبرت حاكم برجنديا وابنة أخ روبرت الصالح Robert la Pieux ملك فرنسا (996–1031م/386–422هـ) سنة 1080م أنجبت منه وريثته الشرعية أوراكا، وكان عدد زوجاته أربعة. أمّا المحظيّات فمنهن خمينا مونيث من إحدى عائلات قشتالة النبيلة أنجبت تيريزا التي تزوجت الكونت هنري البورجوني، وإليزابيت التي تزوجت الكونت رامون دو تولوز.

A.Celliez : les reines d'Espagne suivies des reines de Portugal ,Lehuby Libraire – Editeur , Paris , p.130,131 .

[2] - Pierre David : Le Pacte successoral entre Raymond de Galice et Henri de Portugal, Bulletin Hispanique, tome 50 , n3-4 , 1948 ,p.275 , article www.persee.fr

-Christian Rudel : Le Portugal, édition Karthala, Paris, p. 18.

-Olivera marques : op. cit, p. 30.

[3]– **<u>الإقطاع:</u>** هو نظام سياسي واجتماعي واقتصادي أوجدته الحاجة وفرضته الظروف في غرب أوروبا، وقد كان هذا النظام يتناسب وحاجات الناس في تلك العصور، عناصره هي: السيد، التابع، الإقطاع، والتابع يرتبط بالسيد بعلاقة شخصية وثيقة، ويحلف له يمين الإخلاص ويبذل له الولاء، وهو بالمقابل يحصل من السيد على إقطاع من الإقطاعات، وهو عادة عبارة عن أرض؛ انظر:

– أحمد إبراهيم الشعراوي: الإقطاع وأوروبا في العصور الوسطى، المطبعة العالمية، القاهرة، مصر، 1970م، ص. 12.

أما منح البرتغال على أساس **هبة إقطاعية** فمعنى هذا الكلام أنها لم تكن مستقلة، فهنري يلتزم كغيره بدفع مبلغ ماليّ إلى ملك ليون كلّ سنة ويمدّه بفرسان في حالة الحرب مع المسلمين، أي أنها منحت له على أساس خضوعها لقشتالة لا على أساس آخر .

– يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص. 250.

-M. de Marlès : op. cit, p. 34.

شملت مدنا منها :**بورتو Porto، لاميغو Lamigo، بازو Viseu، براغا Braga، قلمرية Coimbra،شنترين Samtaren، شنترة Cintra**،فيما ظلّت حدودها الجنوبيّة في تغيّر مستمر بسبب مقاومة المسلمين[1].

بعد استلام هنري البورجوني حكم كونتيّة البرتغال، شرع مباشرة في تنظيمها والحفاظ على أراضيها. فاتخذ من مدينة جويمارس Guimaraes[2] العاصمة الإداريّة للكونتية لحصانتها وبعدها عن بؤر الصّدام مع الجيوش الإسلامية، ثمّ عمل على كسب ودّ بارونات وأعيان المنطقة بأن عيّنهم في الوظائف الرئيسيّة، وأظهر اهتماما خاصا لجماعة الرّهبان الكلونيّين الفرنسيّين[3]، فعيّن بعضهم أساقفة على المراكز الأسقفية الهامّة في البرتغال مثل: بازو Viseu، لاميغو Lamigo، براغا Braga، قلمرية، وأنشأ العديد من الأديرة الكلونية[4].

---

[1]- M . Val Parisot : op , cit , p.18
- A.Celliez : op , cit , p.140 ,
-Emmanuel Raymond : op , cit , p. 58 .

[2]– تقع على بعد 12كلم من مدينة براغا. Auguste Bouchot : op , cit , p.18

[3]– تأسس دير كلوني في برجنديا سنة 910م على يد دوق أكويتاني يدعى ويليام William فبنى ديرا ضخما أسماه كلوني كان غرضه الإصلاح والسير على نهج البندكتية، وانتشرت بعدها الأديرة على نفس النهج في عدة مناطق، لكن دير كلوني ظلّ مستقلا عن باقي الأديرة، وعمل ويليام على إصدار ميثاق يقضي بتوظيف رئيس للدّير يعمل تحت يديه اثنا عشر راهبا يقوم بانتخاب رئيس الرهبان لذي يعقب السابق على أن يشارك العامّة في انتخاب ذلك الرئيس وأن يتولى البابا رعايته لتأثيره على الوسط المسيحي. والفرق بين الدير الكلوني والدير البندكتي هو أنّ الدير الكلوني صار خاضعا لرئيس الدير الكلوني نفسه، بينما الأديرة البندكتية كانت مستقلة؛ انظر:

نيفين حسيب الكردي: المرجع السابق، ص. 17، 18 ، وانظر أيضا :

Alston George Cyprien : Condrégation de Cluny, l'Encyclopedia catholique ,New York, Robert Appelton Company, article , www.newadvent.org

[4]– محمد أحمد محمود النشار: المرجع السابق، ص. 38، 39؛

-Harold Victor Livermore : op,cit , p. 44.

ظلّت الأمور في البرتغال ، أثناء حكم هنري البورجوني لها ، تسير بشكل عاديّ إلى أن طرأ أمر جعل هنري يتخوّف على إمارته البرتغال، وهو ميلاد **الأمير سانشو** كابن غير شرعيّ للملك ألفونسو السّادس من محظيّته زايدة Zaïda[1] ذات الأصول العربيّة .إذ شعر كلّ من هنري وريموند بالخوف من أن ينافسهما الوافد الجديد على أملاكهما في إسبانيا والبرتغال، لذلك توافق رأيهما على الاتّحاد والتآزر لدرء أيّ خطر يهدّد مصالحهما، وتمّ إبرام اتفاق سريّ بينهما نصّ على: مساعدة هنري لريموند البورجوني في اعتلاء عرش قشتالة وليون بعد وفاة ألفونسو السادس مقابل إعطاء ريموند لهنري حكم طليطلة والبرتغال ، واقتسام كنوز طليطلة بينهما ، الثلث لريموند والثلثين لهنري ، وفي حالة تعذّر تحقيق الاتّفاق يحصل هنري على حكم جليقية كتعويض.[2]

على كلّ حال، فإنّ هنري تخوّف من تطوّرات الأحداث خاصّة بعدما تمّ الإعلان رسميّا عن أحقيّة **الأمير سانشو** في وراثة العرش، وازداد الأمر سوءا عندما مرض ألفونسو السادس، وآلت مقاليد الحكم في قشتالة إلى **ريموند البورجوني** بسبب صغر سنّ الأمير

[1]– يذكر أنها ابنة المعتمد ملك إشبيلية الذي أهداها إلى ألفونسو السادس، ولكنها في الحقيقة زوجة ابن المعتمد، وكانت أسيرة عند ألفونسو السادس، وفي رواية أخرى أنها فرّت من قرطبة بعد مقتل زوجها المأمون بن المعتمد إلى ألفونسو.
أحمد محمود محمد النشار: المرجع السابق، هامش 50، ص. 68 ، وانظر أيضا :
A.Celliez : op , cit , p.135

[2]– أحمد محمود محمد النشار: المرجع السابق، ص. 39.

–Olievera Marques : op. cit, p. 30

– Herculano : op , cit , p .196

سانشو. إلا أنّ الحظّ كان إلى جانب حاكم البرتغال حيث شهد بنفسه وفاة ريموند البورجوني الوصيّ على العرش سنة 1107م/500هـ، ثمّ لحقه بعد مرور سنة وليّ العهد الأمير سانشو[1].

ازدادت الأوضاع في القصر الملكيّ تعقيدا[2] عندما توفي الملك ألفونسو السّادس سنة 1109م / 502 هـ[3]، ممّا مهّد الطريق أمام إمارة البرتغال للانفصال عن مملكة قشتالة. ومنذ ذلك الوقت أخذت هذه الإمارة الفتيّة تضطلع لوحدها بمسؤولية الدّفاع عن حدودها ومصالحها.

[1]– وكان ذلك في موقعة أقليش ضد المرابطين أين تمت هزيمة ألفونسو السادس وقتل سانشو ولي عهده وهو في الحادي عشر من عمره ، لتفاصيل أكثر عن الحادثة اطلع على :

– ابن القطان المراكشي : المصدر السابق ، ص. 63 _ 67 .

[2] – ساءت الحالة الصحية للملك ألفونسو السادس ، فأحس بدنو أجله ، لذلك قرر أن يجتمع مع نوابه ورجال الدّين والأشراف والفرسان ليقسم مملكته على ورثته أفضى هذا الاجتماع إلى منح ابنته **أوراكا Urraca**حكم قشتالة وليون، وابنها **ألفونسو (ريموند السابع)** جليقية ، بينما ترك للكونت هنري حكم البرتغال كإمارة تابعة لقشتالة ؛ انظر :

– أحمد محمد محمود النشار : علاقة مملكة قشتالة وأراغون بالمماليك، المرجع السابق، ص. 36.

-Enciclopedia Aragonesa , www.enciclopedia-aragonesa .comAlfonson 1 : grand

-William Pearce : op , cit , p.54 ،

[3] – دخلت قشتالة وليون في حرب أهلية بين الملكة أورواكا وزوجها ألفونسو المحارب حاكم أراغون (1104 – 1134 م) ، أما إمارة البرتغال فكانت تراقب تطورات الأحداث باهتمام بالغ وتحالف الطرف الذي يضمن لها مصالحها ، والحفاظ على حدودها . ولتفاصيل أكثر حول الحرب الأهلية بين أورواكا وألفونسو المحارب راجع :

−Cronicas Anonimas de Sahagun, Nueva Edition, precedida de un Estudiocritico por D. Julio Puyol y Alonso, Madrid, 1920, p. 35, 36.

كانت أوّل عقبة واجهها أمير البرتغال ، هنري البورجوني ، الطّموح إلى توسيع حدود إمارته تتمثّل في طرد المسلمين من الأراضي التي استقرّوا بها في غرب الأندلس ، فدخل في حرب معهم لإجلائهم من المنطقة حتّى وفاته سنة 1112م/506هـ[1].

استمرّت الحرب بين المسلمين والبرتغاليين في غرب الأندلس بعد وفاة هنري[2]، حيث عرفت هذه الفترة تنامي هجمات المرابطين وتفوّقهم على الجيوش البرتغاليّة ، ممّا دفع بأرملته تيريزا Teresa[3]إلى طلب النّجدة من التّنظيمات الصّليبية العسكرية لإبعاد خطر المرابطين[4]. ومنذ هذا التّاريخ سوف يكون لهذه الإمارة دور فعّال على السّاحة السّياسية والعسكرية في شبه الجزيرة الإيبيرية.

---

[1] - Henri Schaffer : op, cit , p. 11 ,12

[2] – ترك ابنا صغيرا غير قادر على تولّي الحكم لم يتجاوز الثّلاث سنوات يُدعى ألفونسو هنريكز(ابن الرنك)، فتولّت زوجته تيريزا Teresaتسيير شئون البرتغال و الوصاية على ابنها .

–محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، عصر المرابطين والموحدين ، ص. 483

[3] – كانت امرأة طموحة، ذكية وشجاعة في ميادين الحروب، واجهت المخاطر التي أحدقت بإمارتها بكلّ قوة وثقة، خاصة ضد المسلمين و كذلك من أختها أوراكا – المسؤولة عن قشتالة وليون – بسبب رفضها التبعية لأختها أوراكا الأمر الذي أدى إلى صدامات عنيفة بين الأختين تخللتها تحالفات تيريزا مع أعداء أختها في جليقية ، للمزيد حول الموضوع راجع:

–محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، عصر المرابطين والموحدين ، ص . 483 ، وكذلك :

-schaffer : op , cit , p. 14 – 17

- Angel G Gordo Molina : Urraca Ide Leon Y Teresa de Portugal Las relaciones de fronteras y el Ejercicio de la potestad feminina en la primera mitad del siglo 12 , Intus – Legere Historia , ano 2008 , vol2 , n1, p.18

[4] – بعد زوال خطر المرابطين، أحكمت تيريزا قبضتها على جميع الأقاليم التابعة لكونتية البرتغال. إلّا أنّه وفي هذه الأثناء بدأ نجم ابنها يسطع على السّاحة ويتلقّى التأييد والمناصرة من الرّعية، ويرجع ذلك لدخول تيريزا في علاقة مشبوهة مع الكونت **فرديناند بيريز**، فقد كسبت بفعلها عداء نبلاء وفرسان المنطقة وسخط رجال الدّين، فقام أسقف براغا بمظاهرة كبيرة وانضمّ إليه كلّ الرافضين لفعلها ذلك وطالبوها بإنهاء علاقتها فورا، لكنّ تيريزا رفضت واحتجزت الأسقف، ممّا زاد من تأزم الأوضاع. لتفاصيل أكثر، انظر:

-Henri Schaffer : op,cit, p 14 _17

من خلال عرضنا للأحداث السّابقة نلاحظ أنّ إمارة البرتغال التي تأسّست أواخر القرن الحادي عشر ميلادي كهبة إقطاعية تابعة لمملكة ليون بعد أن حكمها هنري البورجوني ركّز اهتمامه في الحفاظ على أراضيها وردّ كل اعتداء خارجيّ ضدّها إلّا أنّ هذه الإمارة بدأت تلعب دورا هامّا في أحداث المنطقة السّياسية بعد وفاة ألفونسو السّادس، وهذا ما بدا جليّا أكثر عند حكم تيريزا، والأهمّ من كلّ هذا أنّه بدأت تظهر ملامح الرغبة في استقلال البرتغال عن قشتالة وليون، وهو ما سيشكّل خطرا كبيرا على أراضي المسلمين الواقعة جنوب البرتغال.

2.استفحال حركة الاسترداد وأثرها في تأسيس مملكة البرتغال:

بعدما تولّى ألفونسو هنريكز [1] الحكم الفعليّ على البرتغال سنة 1128 م/ 522 هـ[2]لُقّب بالأمير، حاول الانفصال عن قشتالة وليون ، غير أنّه واجه مخاطر عديدة وصعوبات جمّة من جانب ملك قشتالة ألفونسو السّابع (ريموندیز)Alfonso Raimundezالذي اعتبره خارجا عن طاعة مملكة قشتالة ، فكانت الحرب بينهما سجالا إلى أن أرغمتهم الظّروف على الجنوح للسّلم، بسبب خوفهم من استفحال الخطر الإسلاميّ على أراضيهما. عندئذ قرّرا اللّجوء إلى الصّلح بمباركة من البابويّة، التي بذلت جهدا لإخماد نار الحرب بينهما، ولتدفع

[1]– من خلال قيامه بحرب ضدّ والدته تيريزا في قلعة ساو مامدي Sao Mamedeالقريبة من مدينة جويمارس Guimaraes، التقى الجيشان يوم 22 جوان 1128م/522هـ في معركة قوية انتهت بفوز ألفونسو هنريكز على أمّه وقام بأسرها ، ثم نقلها إلى أحد الأديرة بجليقية إلى أن توفيت سنة 1130 م / 524 هـ .

-Livermore : op , cit , p.59 , 60

[2]- Auguste Bouchot : op,cit, p.20

بالمسيحيّين نحو عدوّ واحد وهو المسلمون. انتهت تلك الجهود بتوقيع الطّرفين على **اتّفاقية توى**Toyفي 4 جويلية 1137م/شعبان 531هـ[1] ، التي جعلت البرتغال تحت حماية قشتالة[2]مع السّماح لألفونسو هنريكز أن يتولّى بمفرده حماية حدود كونتيّته .

منذ ذلك الوقت عمل حاكم البرتغال على تقوية كونتيّته من خلال العمل على تحصين القلاع الواقعة على الحدود الجنوبيّة للبرتغال التي كانت قد تعرّضت للتّهديم جرّاء الغارات الإسلاميّة المتتالية كما عمل على تقوية جيشه من خلال تزويده بالعدّة والعتاد اللّازمين. وما إن اكتملت الاستعدادات والتّدريبات حتّى انطلق الجيش البرتغالي في حملات عسكرية على المراكز التي كان يشغلها المسلمون بغرب الأندلس.

ونظرا لانتصاراته على المسلمين[3]، تأكّد أهالي البرتغال أنّ أميرهم ألفونسو هنريكز قد أصبح ناضجا وقويّا ، فأجمعوا رأيهم على تقليده تاج الملكيّة و إعلانه **ملكا** على البرتغال،

[1] - Livermore : op , cit , p.63 , Callaghan : op , cit , p.226

- يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص. 255.

[2] – وهنا يمكننا التّساؤل عن كيفية رضوخ ألفونسو هنريكز لذلك وهو الذي أصرّ في كلّ مرّة على استقلال كونتيته، والظّاهر أنّه قبل بذلك نظرا للظّروف التي وقع فيها، فهي التي جعلته يقبل بتلك الاتّفاقية كحلّ مؤقّت، فمحاصرة المسلمين وألفونسو ريموندیز جعلته يقف موقف حيرة، فتلك الاتّفاقية كانت بمثابة المنقذ بالنّسبة إليه، ففي رأينا أنّ توقيعه لمعاهدة توى لم تكن سوى خطّة استراتيجية اتّبعها هذا الحاكم لفكّ الضّغوطات على كونتيته، وهذا ما يفسّر عودة النّزاع بينه وبين ألفونسو ريموندیز بعدها كما سنرى ذلك.

[3] – M De Marlès : Op. cit, p. 41

– James Maxwell Anderson : Op. cit, p. 27,

– Forria D'Orban : Histoire Générale du Portugal depuis l'origine des Lusitaniens jusqu'à la régence de Dom Miguel, T3, chez Gauthier Frères Librairie, p. 72,73.

كإشارة منهم إلى استعداد البرتغال لإعلان الانفصال النّهائي عن التبعية لقشتالة[1].

كان من الطّبيعي أن يشعر ملك قشتالة بالغضب والاستياء من هذا التّصرف الأحادي الجانب، من طرف هنريكز، ممّا أدى إلى عودة الخصام والنزاع بين الطّرفين، وتطلّب لمنع المواجهات بينهما تدخل المؤسسة الدّينية البابوية، بزعامة البابا أنوسنت الثّاني (1130-1143م/524-538هـ)، الذي نجح في اقناع الطّرفين على الرّضوخ للسّلم والمصالحة، وتوقيع **معاهدة سمورة**Zamora[2] سنة 1143م/538هـ، أين تمّ بموجبها منح ألفونسو هنريكز ، حاكم البرتغال ، لقب "**الملك**"[3]، بشرط أن يبقى مواليا لملك قشتالة.[1]

---

[1]- Adulphus Louis Keppen : World in the middle ages an historical geography, Appleton and Company, London, p. 190

- Chaumeil De Stella : Essai sur l'histoire du Portugal depuis la fondation de la monarchie jusqu'à la mort de D. Pedre IV (1080-1834) , T1, Bruxelles, 1841, p. 15, Callaghan : op , cit , p.226

[2] - أرسل البابا أنوسنت الثّاني الكاردينال (هيو) أو (جيدو) لتنفيذ مهمّة الإصلاح بين الطّرفين، واقترح الكاردينال على ألفونسو ريموندیز أن يعترف بالبرتغال كمملكة على أن يعترف ألفونسو هنريكز بخضوعه لقشتالة أي كتابعٍ لها، وقد قبل ألفونسو هنريكز هذا العرض حتّى لا يكسب عداء البابوية فقط، وليتفرّغ لحروب المسلمين.

-يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص. 259، 260.

-John Doran and Damian J.Smith : Pope Innocent 2 (1130 – 1143), ,Routledge , 2016 , p.191

-Livermore : op ,cit , p.68

[3]- ملك البرتغال لم يهتمَّ بالقرارات السّابقة في معاهدة سمورة، وأصرّ على تأكيد استقلاله الفعلي عن قشتالة فقام في نفس السّنة بعقد مجلسٍ محليٍّ سُمّي بمجلس "**لاميجو**"**Lamigo**الذي أكد فيه الأشراف والنبلاء البرتغاليون على استقلال مملكتهم ووضعوا قوانين لها ،ومن بينها موافقتهم على أن يكون المُلكُ متوارثا في أعقابه من الذّكور.. عزل كل ملك يقبل بالتبعية لقشتالة وغيرها. ثمّ قام مطران مدينة براغا بوضع التاج الذهبيّ على رأس ألفونسو هنريكز، وصادق الملك بعدها على القوانين التي قدّمها ممثّلو الطّبقات، وقد كانت هذه القوانين تحتوي على ثلاثة محاور كبرى، للمزيد من التفاصيل حول الموضوع راجع:

-Chaumeil De Stella : Op. cit, p. 16 , 17

لقد ساهمت هذه المعاهدة في عودة العلاقات بين مملكتي البرتغال وقشتالة إلى طبيعتها الوديّة، وممّا ترتب عنها الاتفاق بينهما على توحيد جهودهما لقتال المسلمين. استمرّ الأمر على حاله إلى غاية وفاة ملك قشتالة ألفونسو ريموندیز سنة 1157م/552هـ. هناحدث أمرٌ عكّر صفو العلاقات من جديد مع البرتغال، حين قسّم الملك قبل وفاته المملكة بين ولديه، ومنح فرديناند الثّاني ليون وجليقية والسّيادة على البرتغال[2] .

وما زاد الأوضاع توتّرا هو قيام الأخَوين في 23 ماي 1158م بعقد **اتّفاقية ساهاجونSahagun**، تفاهما بموجبها على تقسيم أملاك قشتالة بينهما. يكون من نصيب ملك ليون فرديناند الثاني الأقاليم الممتدّة من لشبونة حتّى لبلة وماردة وبطليوس ويابرة وشلب ومرتلة ونصف من إشبيلية، أي أراضي غرب الأندلس، في حين يأخذ ملك قشتالة ما تبقّى من الأراضي، كما اتّفقا على عدم التّعامل والحذر من ملك البرتغال. اعتبر ألفونسو هنريكز

- Adulphus Louis Keppen : Op. cit, p. 190
- Henri Shaffer : Op. cit, p. 27,28.
-Auguste Bouchot : op , cit , p.22 _24
[1] - Michael Gerli :op , cit , p.59
-James Maxwell: Op. cit, p. 27
- A. R. Disney : A History of Portugal and Portuguese Empire, V1, University of Cambridge, 2009, p. 45
- Morse Stephens : op , cit , p.28

[2]- ومنح ابنه الأكبر سانشو الثّالث عرش قشتالة والأراضي التّابعة لها وعاصمتها طليطلة، مع الحقّ في أخذ الجزية من نافار واراغون. ولهذا انقسمت قشتالة وليون بين ولديه بعدما كانتا مملكة واحدة تحت حكم القيصر ألفونسو، على الرّغم من أنّ هذا الأخير بتقسيمه هذا لم يكن ينوي فصلهما وإنّما تكون السيادة لقشتالة وليون تابعة لها كالسّابق، وتدفع الجزية مثل نافار وأراغون .

-Livermore : op, cit ,p.63

اتفاقية ساهاجون بمثابة إعلان للحرب عليه ، لذلك بادر بتسيير حملة على جليقية ، استطاع من خلالها أن يربك خصومه في قشتالة ، وأرغمهم على الجنوح للسّلم والمهادنة في 24 أوت 1158م[1] .

بعد أن ضمن حاكم البرتغال جانب قشتالة بموجب هدنة 1158م تفرّغ بعدها لمحاربة المسلمين فتوجه نحو بطليوس [2]، إلا أنّ ملك ليون منعه لأنّه اعتبرها من أملاكه الخاصّة بموجب اتّفاق ساهاجون فتحالف مع الموحّدين ، وكانت النّتيجة أن انهزم ملك البرتغال[3] ووقع في الأسر[4].

خلاصة القول: أنّ ألفونسو هنريكز استطاع أن يفرض هيبته ووجوده في غرب الأندلس بعد موت ألفونسو ريموندیز، كما تمكّن من الحفاظ على خصوصيّة البرتغال دون أن يستسلم لقشتالة وليون، وقد أثبت بانتصاراته المتتالية وحروبه التي لا تنتهي أنّه كان من

---

[1]– أحمد محمود النشّار: المرجع السابق، ص. 101 ، 102 .

–Livremore : Op. cit, p. 63

[2] – يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص. 29.

[3] - James Mawwell : op , cit, p.29.
- Chaumeil De Stella : op , cit , p.19 .

– أحمد محمود النشار : المرجع السابق ، ص.106 .

[4]– اعتنى فرديناند الثّاني به عناية خاصّة حتّى شُفي الملك تماما ثم أطلق سراحه. فتحوّلت العلاقات بينهما إلى الهدوء والتحالف ضد الموحدين حفاظا على أراضيهما. فلما جهز الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف جيشا لاسترجاع شنترين، تحالفت البرتغال وليون ضد المسلمين، وبعد زوال ذلك الخطر حافظا على العلاقة الطيّبة بينهما. أحمد محمود النشّار: المرجع السابق، ص. 108، 109.

.Parisot: Op. cit, p. 20

أبرز فرسان وملوك أوروبا في العصر الوسيط، كما استطاع أن يكسب رجال الدّين والبابوية لتنفيذه شروط السّلم وحقن دماء المسيحيين مع ملك ليون في كلّ مرّة تناديه البابوية لذلك، فقد تمكّن بسياسته تلك أن يجعل كيانا للبرتغال مغايرا تماما للمناطق المسيحيّة الأخرى.

- **تأسيس مملكة البرتغال منتصف القرن 12 م:**

من خلال تتبُّعنا للأحداث التي عرفتها البرتغال على عهد ألفونسو هنريكز، رأينا أنّ رجال الدين في البرتغال لعبوا دورا هامّا في توجيه سير أحداث المنطقة. ومن المؤكد أنّ العلاقة الطيبة بين الطّرفين تعود إلى عهد هنري البورجوني الذي عمل منذ تولّيه حكم البرتغال على توطيد علاقاته بأسقفيّة براغا، هذه الأسقفية التي كانت مستقلّة عن باقي أسقفيات شبه الجزيرة الإيبيرية منذ عهد قسطنطين الإمبراطور الروماني الذي اعترف بالمسيحيّة كديانة رسميّة للإمبراطورية الرومانية سنة 325 م، وعند مجيء المسلمين إلى شبه الجزيرة الإيبيرية بقيت على حالها مستقلّة إلى أن أصدر البابا أوربان الثّاني عام 1088م/481هـ مرسوما يمنح بموجبه أسقفية طليطلة الأولوية في إدارة باقي أسقفيات شبه الجزيرة الإيبيرية فرفض أساقفة أسقفية براغا ذلك[1]. منذ ذلك الوقت صارت هناك علاقة وديّة بين رجال الدّين في أسقفية براغا والسّلطة السياسية في البرتغال، فالأساقفة كانوا بحاجة

[1]– أحمد محمود النشار: المرجع السّابق، ص. 110، 111.

لهنري البورجوني ليساعدهم في الانفصال عن التّبعية لأسقفية طليطلة، وهنري من جهته اعتبرهم خيرَ مُعين له لتحقيق استقلال إمارته.

استمرت تلك العلاقة على عهد الأم تيريزا ثمّ ابنهما ألفونسو هنريكز، الذي عمِل هو الآخر على كسب ودّ رجال الدّين داخل البرتغال وكذلك البابوية. فكان في كلّ مرّة تنادي فيها البابوية بإيقاف القتال بينه وبين ألفونسو السّابع ملك قشتالة من أجل حقن الدّماء يستجيب للأمر ، كما فعل في معاهدتي توي سنة 1137م، وسمورة سنة 1143م اللّتين قبِل ألفونسو هنريكز بما نصّتا عليه من بنود ، بالرغم من عدم الإشارة صراحة إلى إمكانية استقلال كونتية البرتغال عن مملكة قشتالة ، كما حرص ، في كلّ مرّة ، على دفع ما تطلب منه البابوية من إعانات ماليّة كعربون حماية[1] .

واظب هنريكز على إرضاء المؤسسة الدّينية في الفاتيكان لكسب ودّ مسؤوليها، وكان غرضه من ذلك انتزاع موافقة البابوية على منح مملكة البرتغال حقّ الانفصال عن التبعية لقشتالة ونيل استقلالها التّام. وقد اتّبع هنريكز لتحقيق هذا الطّموح طريقتين:

الأولى: تقديم طلبات للبابويّة من أجل الحصول على قرار بابويّ يضمن من خلاله الاستقلال الفعلي والرّسمي للبرتغال عن قشتالة تحت حماية البابويّة، وفي المقابل يتعهد ملك البرتغال بالتّبعية لهم.

[1]- H. V. Livermore : Op, Cit, p. 68

الثانية: تنفيذ أوامر البابوية فيما يتعلق بحقن دماء المسيحيين والمشاركة بقوة في الحركة الاستردادية التي كانت البابوية مؤيّدة وداعمة لها بشدّة وتوسيعا لأراضي مملكته.

عمل ألفونسو هنريكز بجهد للحصول على قرار بابويّ صريح لاستقلال البرتغال رسميّا عن قشتالة. ففي 13 ديسمبر 1143م/538هـ أرسل رسالة إلى البابا إنوسنت الثّاني يعرض عليه فيها التّبعيّة الإقطاعيّة للبابويّة مع دفع الجزية[1]. وبذلك يكون قد قطع صِلاته نهائيّا بألفونسو السّابع ، لكن ما لبث أن توفّي البابا إنوسنت الثّاني دون أن تتمّ الموافقة على طلب ألفونسو هنريكز ، كما لم يتمكّن خليفة إنوسنت الثاني، البابا كلستين الثاني Celestine (1143-1144م/538-539هـ) ، من إبداء موقفه من طلب ألفونسو هنريكز بسبب انشغالاته الكثيرة ، وقصر مدّة توليه كرسي البابويّة ، ليبقى هذا الأمر مؤجّلا إلى أن جاء البابا لوكيوس الثّاني Lucius2 (1144-1145م/539-540هـ) فوافق على إلحاق البرتغال مباشرة تحت الحماية البابوية دون أن يمنحها الاستقلال التامّ الذي كانت تطمح له.[2]

[1]- John Doran and Damian J.Smith : op , cit , p.191 , 192

[2]- أحمد محمود النشار، المرجع السابق، ص. 113.

- John Doran and Damian J.Smith : op ,cit, p.192

واصل ملك البرتغال الإلحاح على طلب موافقة رؤساء مؤسّسة الفاتيكان على مشروعه[1] إلى أن تحقّق أخيرا على يد البابا ألكسندر الثّالثAlexandre3(1159-1181م/554-577هـ) الذي صادف تاريخ 23 ماي 1179 م[2].

وفيه منح البابا لقب الملك لألفونسو هنريكز واستهلّه بقوله: "**من الأسقف إسكندر خادم خُدّام الله إلى حبيبه في المسيح الابن ألفونسو الملك السّامي للبرتغاليين وخلفائه إلى الأبد..**".[3]

وبهذا يكون ألفونسو هنريكز قد حقّق أخيرا حلمه وحلم والده هنري البورجوني بعد عناء طويل، وضمِن بذلك حماية البابويّة وأنهى الصّراع بينه وبين بقيّة الممالك حول أراضي مملكته. وقد أقرّ البابا ذلك في خطابه قائلا: "**نمنحكم كلّ الأماكن التي نجحتَ في انتزاعها.. من أيدي المسلمين ملكا خالصا لك، ولا يحقّ للأمراء المسيحيين المجاورين المطالبة بأيّ حقوق فيها..**"[4]. في المقابل تدفع البرتغال إلى البابوية قطعتين من الذّهب

[1] – حيث وجه هنريكز طلبه إلى عدة باباوات نذكر منهم: إيوجنيوس الثّالث وأدريان الرّابع(1153-1154م/548-549هـ) لكن دون جدوى.

Livermore : op , cit , p .68-.

[2]- Cardinal Hergenrether : Histoire de L'Eglise ;t4 ,Librairie Victor Palmé , Paris , p.107.

– يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج.2، ص.31.

[3]– أحمد محمود النشار: المرجع السّابق، ص. 114، 115.

[4]– نفسه، ص. 116.

سنويا[1]. وبذلك يعتبر هذا القرار البابويّ نصرا حقيقيّا للبرتغال طال أمده وضمانا هامّا للاستقلال عن الممالك المسيحيّة الأخرى.

أمّا عن أسباب قبول البابويّة أخيرا بمطالب ألفونسو هنريكز الاستقلاليّة رغم رفضها المتكرّر سابقا لرسائله. فيمكن تلخيصها فيما يلي:

أوّلا: انتصارات ألفونسو هنريكز المتكرّرة على المسلمين واستيلائه على العديد من المناطق الإسلاميّة في إطار ما يسمّى بالحركة الاستردايّة . فقد استولى على العديد من مناطق المسلمين في الثغر الغربي مثل: شنترين سنة 1147م، لشبونة 1147م، قصر أبي دانس سنة 1158م.إذ اعتبرت البابويّة تلك الانتصارات دعما لحركتها الصّليبية والاسترداية. وهذا ما اعتبره بعض المؤرخين من الأسباب الأساسية في منح البابوية دعمها للبرتغال. بدليل أنّ البابا أشار في خطابه قائلا: "**وبرهانا على نشاطه الواضح في الحرب والكفاح العسكريّ من أجل استئصاله الجسور لأعداء المسيح**[2] "

ثانيا: رغبته المتواصلة والملحّة في الاستقلال، فقد كان في كلّ مرّة يدعو البابوية إلى الانفصال عن قشتالة، أضف إلى ذلك ما خلّفه طلبه هذا من صراع في المنطقة، مع قشتالة

[1]– وممّا جاء فيه: "المملكة المذكورة تنتمي إلى القدّيس بطرس فقد قررت كدليل على تقديس كبير، تسليم علامتين من الذهب كل عام...". انظر الملاحق، جزء الوثائق.

[2] – انظر الملاحق، جزء الوثائق.

وليون، ممّا أثّر على محاربتهم للمسلمين وجعْل البابوية تتدخّل في كلّ مرّة لحقن دماء المسيحيين.

ثالثا: ومن العوامل التي ساهمت في استقلال البرتغال، وفاة الإمبراطور ألفونسو السابع سنة 1157 م / 522 هـ الذي كان أقوى ملوك المسيحيين ويطمح إلى توحيد كامل أقاليم إسبانيا تحت نفوذه. وهو العمل الذي كان يخيف البابويّة من أن يصبح ألفونسو قوّة ضاربة في أوروبا وبالتّالي قد يجنح إلى التّطاول على البابوية نفسها، ويرفض الخضوع لقراراتها. لذلك كانت البابوية تتفادى إعطاء ألفونسو هنريكز استقلالا تامّا لإمارته حتى تتجنب الصّدام بين المسيحيّين.

ومهما يكن، فإنّ تحقيق ألفونسو هنريكز لطموحه في الاستقلال اعتبره البعض مستحَقّا لما بذله هذا الأخير من جهود في ذلك، فقد وسّع مملكته واستطاع مواجهة المخاطر التي أحدقت بها من كلّ جانب، كما تمكّن من كسب احترام وودّ رجال الدّين، واستمال سكّان المنطقة إلى جانبه بإصداره لدستور حقّق فيه العدالة والحريّة وجنّب حدوث مناوشات على العرش مستقبلا، لذا يُعدّ بالفعل من أهمّ شخصيّات تلك الفترة والمؤسّس الحقيقيّ للبرتغال.

3. حروب مملكة البرتغال ضدّ المسلمين في غرب الأندلس

تحدّثنا في الفصل السّابق عن كيفية استغلال ألفونسو هنريكز حاكم البرتغال وجود صراع بين المرابطين والموحّدين للتّوسع في الجهة الغربيّة من الأندلس التي تمتدّ على طول حدود مملكته الجنوبيّة، أين تمكّن من النجاح في بسط سيطرته على العديد من مناطقها، وأصبح يشكّل خطرا كبيرا على المسلمين. بدليل أنّ البابوية قد أشادت بتلك الانتصارات ومنحته الاستقلال الكلّي عن قشتالة.

واصل ابنه سانشو التّوسع على حساب الأقاليم الإسلاميّة بغرب الأندلس، ممّا أثار انزعاج حاكم الدّولة الموحدية **يعقوب المنصور** فتدخّل بقوّاته لوقف الزّحف البرتغاليّ، بل وأمكنه الحال من استرجاع أجزاء من الأراضي التي استولت عليها القوّات البرتغاليّة التّوسعية.

بعد الانتصارات التي حقّقها الموحدون ضدّ الملك سانشو الأول، توقّفت حملات البرتغال على الأراضي الإسلاميّة غرب الأندلس، بسبب دخول هذا الملك في مشاكل داخليّة، إضافة إلى صراعه مع البابويّة[1]، وتعرّضه للحرمان الكنسي[2] . لمّا توفي سانشو الأول خلفه ابنه **ألفونسو الثّاني**[3] (1211-1223م) الذي شهد هو الآخر العديد من المشاكل جعلت علاقته متوتّرة مع البابوية[4]. لكن بمجرد ما هدأت الأوضاع في البرتغال[5]،

[1]- كان له مشكل مع أسقف قلمرية وأسقف بورتو وكلاهما أعلن قرار الحرمان الكنسي ضدّه، انظر:
يوسف أشباخ: المرجع السّابق، ص. 202، 203؛
.Parisot : op. cit. p. 22

[2]- اعتمدت الكنيسة عدّة وسائل لمحاربة الفكر المخالف لها، ومن بينها الحرمان الذي كان يعدّ شيئا رهيبا لأهالي العصور الوسطى، وكانت الكنيسة تحذّر من مخالطة المحرومين كنسيا وعدم التعامل معهم، وفي مناطق أخرى يعدّ خارجا عن القانون؛ انظر:
- أحمد علي عجيبة: البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، مكتبة المهتدين الإسلامية، ط1، 1991، ص. 61، 62. وهناك من يضيف درجة ثالثة للحرمان وهي اللعنة التي اعتبرت مميتة لأنّه لا وجود لأمل المصالحة بعدها كالحرمان؛ انظر:
- عادل عبد الحافظ حمزة: الحرمان الكنسي في العصور الوسطى حتّى نهاية النّصف الأول من القرن 13م، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر، العدد 5، يناير 1999، ص. 426.

[3]- وُلد ألفونسو الثّاني في قلمرية (23 أفريل 1185م)، وتولّى العرش وعمره 26 سنة في 27 مارس 1211م. تزوّج من دونيا أوراكا ابنة ألفونسو التّاسع، ملك ليون، ممّا خلق مشكلا مع أسقف بورتو الذي عارض زواجه. انظر:
.Ferdinand Denis : op. cit. p. 14

[4]-بدأت المشاكل مع أخواته الأميرات بسبب الأراضي التي منحها **سانشو الأول** لبناته فرفضن الاعتراف بسيطرة أخيهنّ الذي أصبح ملكا على البرتغال بعد وفاة والدهن، وتوّجهن إلى البابا أنوسنت الثّالث لحمايتهنّ، هنا تدخّلت البابوية وأعلن أنوسنت الثّالث حمايته للأميرات وتم عقابه بالحرمان الكنسي . يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص . 204.

[5]-ألغت البابوية قرار الحرمان الكنسي في 7 أفريل 1216م ، ومنحت تلك الأراضي المتنازع عليها إلى فرسان الداوية على أن تكون خاضعة لسيادة الملك ألفونسو الثّاني، مع إعطاء الأميرات عائدات تلك الأراضي فقبِل الجميع بهذا الحلّ.
-H. V. Livermore: op. cit. p. 72, 73
-Parisot : op. cit. p. 23

واصل ألفونسو الثاني السّياسة التوسّعية ضدّ المسلمين حيث وجّه أنظاره تجاه **قصر أبي دانس**Al cacer do salالذي استرجعه الموحّدون سابقا[1]. ثم في سنة 1217م دعا البابا **أنوسنت الثّالث** إلى الحملة الصليبية الخامسة نحو مصر، فاستجابت لها فرقة من غرب أوروبا توجّهت إلى ميناء **لشبونة** عند مصبّ نهر تاجة في جويلية 1217م لتنتظر بقية السّفن كي تلتحق بها. وبوصول هذه الفرقة الصّليبية عرض عليها ملك البرتغال مساعدته في استرجاع بعض الأراضي من المسلمين[2] . قبل الصّليبيّون العرض الذي تقدّم به ألفونسو الثاني ، و توجّهوا جنوبا إلى مصبّ نهر **شطوير** SadoSatubal ، وتوغّلوا فيه حتّى وصلوا قرب مدينة القصر[3]، ثمّ انتظروا وصول البرتغاليين . بعد مرور أربعة أيّام كانت كلّ القوات البرتغالية والصّليبية أمام قصر أبي دانس، فبدأوا حصارا طال أمده بسبب حصانة

انظر كذلك:

– يوسف أشباخ: المرجع السّابق، ص. 204، 205؛ محمد عبد الله عنان: المرجع السّابق، ص. 611؛ محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية، المرجع السّابق، ص. 78.

[1] - Hugh Kennedy : op ,cit , p.259

[2]– استعان ملك البرتغال لإقناعهم بأسقف لشبونة "سويرو" « Soeiro »، وأسقف يابرة، وقائد بلمالة "مارتينو" « Martino »، وبعض من فرسان الداوية بقيادة "بيدرو ألبيتيز" « Pedro Alvitiz » لاستقبالهم والتفاوض معهم لمساعدة البرتغال ، للمزيد من التفاصيل ، راجع :

– محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السّابق ، ص . 80، 81، انظر أيضا:

-Hugh Kennedy : op ,cit , p.259.

- Ferdinand Denis : op. cit. p. 15

-Joseph Callaghan : op. cit. p. 336, 337

[3] -M. de Marlès : op. cit. p. 69, 70

- schaffer : op ,cit ,p.71,72

المدينة وشجاعة أهاليها في الدّفاع عنها[1].ونظرا لاشتداد الوضع على المسلمين المحاصرين، طلب حاكم المدينة "عبد الله بن وزير" النّجدة من ولاّة الأندلس[2]، فأرسلوا أسطولا مكوّنا من 12 سفينة وجيشا لمساعدتهم، خيّموا أمام القصر ثم واجهوا البرتغاليين، وتمكّنوا من تحقيق تقدُّمٍ عليهم لكن في اليوم الموالي، استطاع المسيحيون مهاجمة مخيّمهم[3]، وهزموهم[4].

كما أُرسلت حملة أخرى لمساعدة المحاصرين في قصر أبي دانس مكوّنة من ثلاثين سفينة إلاّ أنّها لم تتمكّن من تحقيق هدفها المنشود وذلك لمواجهة الصّليبيين لهم.[5]

[1]– ابن أبي زرع: المصدر السّابق، ص. 242. اطلع أيضا على :

– محمد عبد الله عنان: المرجع السّابق، ص. 338، أمبروسو هويثي ميراندا: المرجع السّابق، ص. 436

-Callaghan : op , cit , p.336.

-Hugh Kennedy : op ,cit , p.259 ،

[2]– وهم: بطليوس وقرطبة وجيان وإشبيلية. انظر:

– ابن أبي زرع: المصدر السّابق، ص. 242؛ الحميري: المصدر السّابق، ص. 162. وكذلك:

- Hugh Kennedy: op ,cit , p.259

– محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السّابق، ص. 85

[3]– وذلك بسبب النّجدات التي لحقت بالصّليبيين، وتتمثّل في خمسين فارسا أرسلهم ملك البرتغال ألفونسو الثّاني، ومعظمهم من الداوية والأسبتارية، إضافة إلى 300 فارس من خارج البرتغال. انظر:

– محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السّابق، ص. 87.

[4]– ابن أبي زرع: المصدر السابق ، ص .242 ، 243 .

– الحميري: المصدر السّابق، ص. 162؛ انظر أيضا:

– أمبروسو هويثي ميراندا: المرجع السّابق، ص. 436؛ محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السّابق، ص.88

-Hugh Kennedy: op ,cit , p.25

[5]– محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السّابق، ص. 91.

ونظرا لطول الحصار، قبل ملك البرتغال بنصيحة أحد قادة الأسطول الصّليبي الذي أشار عليه بإنشاء برجين لهما نفس علوّ أبراج القلعة، وأوصاه بوضع منجنيق وجنود مسلّحين في كلّ منهما، ثم الزّحف بهما إلى القلعة لبدء الهجوم[1].وبالفعل نفّذ الهجوم حسب الخطّة العسكرية المقترحة ، فاضطر حاكم المدينة إلى طلب الاستسلام[2] في **18 أكتوبر 1217م/14 رجب 614هـ** بعد حصار دام شهرين ونصف[3] .

بعد هذه الهزيمة التي مُني بها المسلمون، فقدوا قاعدة هامّة من قواعد الغرب الأندلسيّ، كما كان سقوط مدينة قصر أبي دانس بداية لانهيار المدن الأخرى في المنطقة، خاصّة وأنّ ظروف المسلمين كانت جدّ مضطربة، ولا تسمح بصدّ الهجمات البرتغالية في تلك الفترة. ورغم الانتصارات الباهرة التي حقّقها ملك البرتغال ، لم يواصل مسيرته التّوسعية، وفضّل أن

[1]– أمبروسو هويثي ميراندا: المرجع السّابق، ص. 436؛
– محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السّابق، ص. 92.

[2]– أمبرويو هويثي ميراندا : المرجع السابق ، ص.437
– محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السّابق، ص. 92. انظر كذلك:
-Parisot : op. cit. p. 23
-M. de Marlès : op. cit. p. 68-70

[3] – ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص.242 ، 243 .
– محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص . 340 ،
-Schaffer : op , cit , p.72
-Callaghan : op , cit ,p.336 .

يوجّه جهوده لتعمير هذه المناطق التي هجرها المسلمون وتركوها شاغرة ، حتّى لا يترك الأمر للمسلمين للعودة إليها لاحقا .[1]

بعد وفاة ألفونسو الثّاني في 25 مارس 1223م، خلفه على عرش المملكة ابنه **سانشو الثّاني (1223-1248م)** الملقّب بذي الثّوب الكهنوتي[2](Capello)،الذي وجّه جلّ اهتمامه لإصلاح الأوضاع الدّاخلية لمملكته التي تضرّرت كثيرا بسبب سياسة والده المعادية لرجال الدين . حيث عمل سانشو الثاني على إعادة الصّلات الوديّة مع رجال الدين وحصل بالمقابل على إلغاء قرار الحرمان الكنسيّ الذي فرض على والده من قبل ؛ كما تصالح مع أفراد العائلة الملكيّة ، واستطاع أن يكسب ودّهم واعترافهم بسلطته[3] .

وبهذا تمكّن سانشو الثّاني من تسوية نزاعات الأسرة الملكيّة التي طال أمدها.[4] بفضل هذه الإصلاحات الدّاخليّة الهامّة التي قام بها ملك البرتغال سانشو الثاني استقرّت الأوضاع

---

[1]– أمبروسو هويثي ميراندا: المرجع السّابق، ص. 348.

– محمد عبد الله عنان: المرجع السّابق، ص. 340.

[2]– وُلد سانشو الثّاني في قلمرية في 8 سبتمبر 1202م، وقد كان في صغره ضعيف البنية، ويُقال أنّه لذلك السّبب كانت أمّه تلبسه ثوبا يشبه ثياب رجال الدّين حتّى يعيش، ولذلك لُقِّب بذي الثّوب الكهنوتي. لمزيد من التفاصيل ، انظر:
-Ferdinand Denis : op. cit. p. 15

[3]–في سنة 1223موضع اتّفاقا نصّ على حماية حقوق رجال الدّين ، وتعهّد بدفع ستّة آلاف قطعة ذهبية لمطران براغا، تعويضا لنزاعه السّابق مع والده ألفونسو الثاني .وعلى ذلك الأساس ، ألغى مطران براغا قرار الحرمان الكنسي .كما عمِل **سانشو الثّاني** كذلك على حلّ الخلاف الذي كان بين والده وعمّاته الأميرات وأعطاهنّ راتبا سنويا قدره أربعة آلاف قطعة ذهبية .

– يوسف أشباخ: المرجع السّابق، ص. 207.

[4]– محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السّابق، ص. 104 . وكذلك

داخل مملكته ، الأمر الذي جعله يوجّه أنظاره لاستكمال حركة الاسترداد في غرب الأندلس، خاصّة وأنّ المسلمين ساءت أوضاعهم بسبب وفاة الخليفة الموحّدي الحكم المستنصر [1] في 13 ذي الحجة 620هـ/6 جانفي 1224م دون أن يترك خليفة معيّنا من بعده، ممّا فتح المجال للتّنافس على الحكم ، وبهذا اختلّت أوضاع الخلافة [2]، وأصبح الوضع شبيها بعهد ملوك الطّوائف، إذ عادت الصّراعات الدّاخليّة على السّلطة[3]. فوجد البرتغاليون فيما آلت إليه أوضاع المسلمين في الأندلس فرصة لهم للانقضاض على ما تبقّى من أملاك في أيديهم.

استغلّ سانشو الثّاني هذه الظّروف وقام بتأسيس حلف صليبيّ يضمّ الممالك المسيحيّة الإسبانيّة(قشتالة وليون)،تحت إشراف البابا هونوريوس الثّالث (1216-1227م) حيث أرسلت البابويّة مبعوثا توجّه إلى شانت ياقب ثمّ إلى براغا، أين تقابل مع ملك قشتالة

-Joseph Callaghan : op. cit. p. 337

-M. de Marlès : op. cit. p. 74, 75

-Ferdinand Denis : op. cit. p. 15

[1]- ابن أبي زرع: المصدر السّابق، ص. 243، 244.

[2]- المصدر نفسه.

[3] _ عيّنوا "**أبو مالك عبد الواحد" على مراكش**، وقد كان شيخا في السّتّين من عمره، أمّا بالأندلس فقد قام ابن أخيه "**عبد الله أبو محمّد**" وهو ابن يعقوب المنصور بتعيين نفسه أميرا على "مرسية"، وأطلق على نفسه اسم (العادل بالله)، لكن سرعان ما بدأ العادل بالتّحريض والثّورة على أبي مالك عبد الواحد الذي لم يلبث أن تمّ خلعه تمّ قتله ، ولم يهنأ العادل بحكم المنطقة بطُمأنينة، حيث انقلب عليه من ساندوه في البداية لأنّه حاول أن يحُدَّ من أطماعهم ويقيم النّظام .أرسل العادل جيشه لتأديبهم فاستنجدوا بالقشتاليين ضدّه وهو كذلك اتبع نفس السياسة واستنجد بالقشتاليين مقابل منحهم مناطق في الأندلس . لتفاصيل أكثر. انظر:

- ابن عذاري : المصدر السابق ، ص. 387 ، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص. 243، 244 ، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص. 334.

(فرديناند الثّالث) في 1226م، ثمّ زار ملك ليون (ألفونسو التّاسع)،وذلك من أجل التّنسيق مع سانشو الثّاني ملك البرتغال لتوحيد هجماتهم والتّعاون ضدّ المسلمين. ولقد أفضى هذا التّحالف الصّليبي إلى توزيع الأدوار حيث عهد لملك البرتغال بالهجوم على مدينة إلباس **(Elvas)**، بينما طلب من ملك ليون الهجوم على بطليوس. وكان واضحا أنّ هذه الخطة تهدف إلى إرباك القوات الإسلاميّة وتشتيت وحدتها ، وقطع سبل التّواصل بينها .[1]

على هذا الأساس، جهّز سانشو الثّاني جيشه، وكان برفقته أسقف براغا والعديد من الفرسان والنّبلاء، توجّهوا إلى قلعة **إلباس** في جويلية 1226م/623هـ، فحاصروها حصارا قويا، ورغم شجاعة أهاليها في الدّفاع عنها ، إلاّ أنّها سقطت في يد سانشو الثّاني.[2]

لم يتوقّف ملك البرتغال عند هذا الحدّ بل واصل توسّعاته فاستولى على **جلمانية** سنة 1230م، وقد كانت توسّعاته تلك متزامنة مع هجومات الممالك الأخرى، كما تمّ الاتّفاق

[1]– محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السّابق، ص. 107 ،
–M. de Marlès : op. cit. p. 75, 76.
–Joseph Callaghan : op. cit. p. 340
-Parisot : op. cit. p. 23
– Schaffer ; op ,cit , p.90.

[2]– يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص . 208 ، محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السّابق، ص. 107، 108 ،
-M. de Marlès : op. cit. p. 76
-Callaghan : op , cit , p.340

بينهم. ففي الوقت الذي استولى فيه ملك البرتغال على **جلمانية**، نجد أنّ ملك قشتالة قد استولى هو الآخر على **ماردة**.[1]

واضح من أنّ نجاح الغزو المسيحيّ المكثّف لبلاد المسلمين لم يكن إلاّ نتيجة حتميّة لاختلال موازين القوى بين الطّرفين، حيث عجز الموحدون تماما عن الصّمود أمام تحالف القوى المسيحية بسبب المشاكل والصّراع على السّلطة [2]. وهو الأمر الذي كان المسيحيون على علم به ويتابعونه باهتمام شديد، حيث استغلّوه لفائدتهم لتحقيق المزيد من الانتصارات والتّوسعات. فملك قشتالة الجديد فرديناند الثّالث، الذي خلف والده ألفونسو التّاسع، استولى على **قاصرش** سنة 1227م/622هـ، ثمّ ماردة و بطليوس سنة 1230م. كما واصل ملك البرتغال توسّعاته على حساب أراضي المسلمين في غرب الأندلس ، فاستولى على قلعة

[1] -Juan Carlos Lopez Diaz, Javier Jimenez Avila, Félix Palma Garcia : Historia de Mérida, Tomo1, de los antecedentes de Sugusta Emerita al fin de medievo, consorcio de la Gudad Monumental Historico – Artistica y Arqueologica de Mérida, Mérida, 2018, p. 651 ;
- Joseph Callaghan : op. cit. p. 339.

[2]– بعد استيلاء العادل بالله على الحكم ثار أخوه والي إشبيلية ضده بتحريض من أشياخ الموحّدين، وأعلن الدّعوة لنفسه سنة 1227م/624هـ، فبايعه وُلاّة الأندلس، ولُقّب بالمأمون، وعمِل أتباعه على خلع "العادل"، ثمّ قاموا بقتله. فصارت ظاهرة الاغتيالات من أجل السّلطة منتشرة بين الموحّدين في الأندلس. وما زاد الأمور سوءًا، مبايعة الأشياخ لشخص آخر يحكم بلاد المغرب، وهو "**يحي بن النّاصر**" الذي لُقّب بالمعتصم، ممّا أدّى إلى صراع بين الطّرفين انتهى في الأخير بفوز المأمون.ابن عذارى: المصدر السّابق، ج3، ص. 391، 392، ابن أبي زرع: المصدر السّابق، ص. 248، 249.

« **Serpa** » (شربة) وقلعة (**Moura**) (مورا)، الواقعتين في الجهة الشّرقية لنهر وادي يانة بالقرب من جيان، ثمّ ترك مهمّة الدّفاع عنهما لجماعة الفرسان الأسبتارية.[1]

أشادت البابويّة بالانتصارات التي حقّقها المسيحيون ، وهو ما جعل البابا غريغوري التّاسع (1227-1241م) يسمح للصّليبيين بمساعدة ملك البرتغال مدّة أربع سنوات ومنحه مطلق الحماية والرّعاية[2] ، وهذا يدلّ على الصّبغة الدّينية التي طالت تلك التوسّعات المسيحية.

واصل سانشو الثّاني توسعاته على أراضي المسلمين، ففي سنة 1238م هجم على قلعة مرتلة سنة 1238م ومنحها لجماعة شانت ياقب[3]، وهو ما جعل تلك الجماعة تكثّف

---

[1]- محمد محمود النشار: خاتمة الوجود الإسلامي في غرب الأندلس، مقال بمجلّة المؤرّخ العربي، العدد9، مارس 2001، ص. 373. انظر أيضا:

-Joseph Callaghan : op. cit. p. 344

-Parisot : op. cit. p. 23

-Schaffer ; op , cit , p.90

-H V Livermore : op ,cit , p.122

[2]- يوسف أشباخ: المرجع السّابق، ص. 208.

- محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السّابق، ص. 110؛ وانظر كذلك: المرجع نفسه، هامش رقم: 28، ص. 110، 111، يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص.209 . راجع كذلك :

-Shaffer : op , cit , p.92

[3]- يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص.209 .

-Joseph Callaghan : op. cit. p. 349

-M. de Marlès : op. cit. p. 76

- Schaffer : op , cit , p .90

أنشطتها أكثر. فاستولى زعيمها على عدّة قلاع وحصون مثل قلعة "إلبور"[1](**Elvor**)، وميناء "**كاسيلا** Cacellaسنة 1240م، ومدينة **طبيرة**Tavira سنة 1242م[2]. وقد كانت "**شلب**" آخر المناطق التي توسّع عليها البرتغاليّون في عهد سانشو الثّاني، حيث استولى عليها زعيم جماعة شانت ياقب "بايو بيريز" بعد أن فشل حاكمها "ابن عفّان" في الاحتفاظ بها[3].

ولحسن حظّ المسلمين في الجهة الغربيّة من الأندلس أنّ توسّعات الملك البرتغالي سانشو الثّاني قد توقّفت بسبب الصّراع الدّاخلي في مملكته مع رجال الدّين و البابوية ، ممّا حال دون إكمال مشروعه التوسّعي[4]. تلا ذلك دخول مملكة البرتغال في دوّامة من الصّراعات على من يتولّى كرسيّ الحكم بين أخوي سانشو الثاني بسبب انعدام وريث شرعي

[1]– تقع على بُعد 16 كلم من شلب. انظر: محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السّابق، هامش ص. 114.

[2]– محمد محمود النشار: خاتمة الوجود الإسلامي في غرب الأندلس، المرجع السّابق، ص. 376، 377.

–M. de Marlès : op. cit. p. 76

–Joseph Callaghan : op. cit. p. 349

-Shaffer: op , cit , p.91

-HV Livermore : op , cit , p.122

[3] – محمد محمود النشار: خاتمة الوجود الإسلامي في غرب الأندلس، المرجع السّابق، ص. 379.

–M. de Marlès : op. cit. p. 76

-HV Livermore : op , cit , p.122.

[4] ظهر النّزاع مرّة أخرى مع رجال الدّين والنّبلاء، وكذا مع أخويه ألفونسو الثالث وفرناندو الذين أرادوا خلعه عن العرش. لم يستطع سانشو الثّاني إيقاف المشكل فانتهى بإسقاطه عن العرش. لتفاصيل أكثر حول الموضوع ، انظر:

-Shaffer : op , cit , p. 93-95

- Callaghan : op , cit , p.349,350

- Ferdinand Denis : op , cit , p.15,16

-HV Livermore : op , cit , p.126 .

له[1]. انتهى الصراع بتدخل البابوية التي عزلت سانشو الثاني[2]، وعيّنت على عرش المملكة أخاه ألفونسو الثّالث[3]، بعد أن وعد رجال الدّين باحترام امتيازاتهم .[4]

بعد أن ثبّت ألفونسو الثّالث[5] حكمه على عرش مملكة البرتغال (1248-1279م)، وهدأت الأوضاع الدّاخلية، قرّر مباشرة استئناف القتال ضدّ المسلمين للاستيلاء على ما تبقّى من الأراضي في غرب الأندلس . فاستعان هو الآخر بفرسان الأسبتارية وفرسان شانت ياقب وجماعة "أفيس" (Avis) البرتغالية[6]، وتوجّه سنة 1249م/647هـ إلى **شنتمرية الغرب**

---

[1] - Schaffer : op , cit , p.96
- Callaghan : op , cit , p.350
- H.V. Livermore : op ,cit , p.127

[2] – قرر البابا أنوسنت الرّابع معاقبة ملك البرتغال وعزله عن العرش في 24 جويلية 1245م بحجّة اغتصابه لأملاك الكنيسة وإهمال بلاده.Ibid

[3] – لمزيد من التفاصيل عن كيفية خلع سانشو الثاني عن العرش انظر:
-Joseph Callaghan : op , cit , p. 350,351
-H.V.Livermore : op , cit , p.127-131
-Schaffer : op , cit , p.103
- Ferdinand Denis : op ,cit , p.16

[4] - Parisot : op , cit , p.24
- Ferdinand Denis : op , cit , p.15
- M. de Marlés : op , cit , p.77,78
- Schaffer : op , cit , p.99
- Callaghan : op , cit , p.350

5- هو الابن الثاني لألفونسو الثاني ملك البرتغال، تزوج من MathildedeBoulogne سنة 1238 م فأصبح كونت Boulogne ، وهو الذي أكمل الحركة الاستردادية في غرب الأندلس وحوّل العاصمة البرتغالية من قلمرية إلى لشبونة .
-Douglas L Wheeler , Walter C.Opello : Historical Dictionary of Portugal , The Scareow Press , Lanham , Toronto , Plymouth , UK, 2010 , p.31

[6] – هي جماعة دينية عسكرية تأسست بالبرتغال عرفت في البداية باسم الجماعة المحاربة الجديدة Nova Militiaولما استولوا على يابرة Evoraعرفوا باسم فرسان يابرة ، ثم تغير اسمهم إلى جماعة آفيس Avis نسبة إلى القلعة التي منحهم إياها ألفونسو الثاني سنة 1211 م . للمزيد حول الجماعة الدينية راجع :
-Nicholas Marton : The Medieval Military Orders (1120 – 1314) , Routledge , London , 2013 , p.40

(فارو)[1] التي كانت تابعة للخليفة الموحّدي، ويدير شؤونها "**ابن هارون**"، وهي تُعدّ من أهمّ المدن في القوّة والحصانة، اشتهرت بالتّجارة وصناعة السّفن[2]، وكانت ملاذا للهاربين سواء المسلمين أو البرتغاليين[3].

لقي ملك البرتغال ألفونسو الثالث صعوبة كبيرة في الاستيلاء عليها بسبب استماتة أهلها في الدّفاع عنها. وبعد حصارها برّا وبحرا لمدّة طويلة ، تمكّن الغزاة من اختراق أحد أبوابها، ثم هاجموا أبراجها ليسهل عليهم دخولها، خاصة أنّ معظم السّفن الإسلاميّة قد تراجعت لكثرة السّفن المسيحيّة.[4]

عرض ملك البرتغال على سكان المدينة الاستسلام مقابل حريّتهم، لكنّ حاكم المدينة ابن هارون رفض ممّا اضطر الملك البرتغالي تشديد الحصار عليها لبضعة أيام أخرى، وفي أثناء ذلك، يئس حاكم شنتمرية من وصول الإمدادات والمساعدة من المناطق المجاورة، وكان

---

[1] -M. de Marlès : op. cit. p. 90
- Parisot : op. cit. p. 24,
- Schaffer : op , cit , p.108

[2]- "**وشنتمرية على معظم البحر الأعظم، سورها يصمد ماء البحر فيه إذا كان فيه المدّ، وهي مدينة حسنة التّربة، ... وبها دار صناعة الأساطيل..**». الحميري: المصدر السّابق، ص. 115.

[3]- محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السّابق، هامش ص. 125.

[4]- محمد محمود النشار: خاتمة الوجود الإسلامي في غرب الأندلس، المرجع السابق، ص.383.
- V. Livermore : op. cit. p. 135
-M. de Marlès : op. cit. p. 90

الحصار قد أثقل كاهل السكّان، فاضطرّ في الأخير إلى تسليم المدينة.[1] وفي أثناء ذلك وقع تمرّد داخل المدينة قادته جماعة من السّكان الرّافضين لدخول البرتغال، ممّا دفع بالملك البرتغالي إلى اكتساح المدينة وقتل من فيها في مارس 1249م/647هـ. ثم عيَّن عليها أحد النّبلاء البرتغاليين لتسيير شؤونها.[2]

وبسقوط شنتمرية الغرب في أيدي البرتغاليين، انفتح الطّريق للانتقال إلى المناطق المجاورة لها، فقسّم ألفونسو الثّالث جيشه إلى ثلاث أقسام، وبدأوا في الإغارة على تلك المناطق، وبفضل هذه الخطة استولوا على مدينة ألبوفيرة **(Albuferia)**التي تمّ منحها لجماعة آفيز (Avis) الدّينية العسكرية في مارس سنة 1249م[3]، ومدينة سيلير **(Selir)**من طرف جماعة شانت ياقب، ثمّ توسّعوا على منطقة لولي **(Loulé)** والعديد من المناطق القريبة منها إضافة إلى مدينة الفجر **(Alfaghar)**. وبوصول البرتغاليين إلى هذه الأقاليم، تكون مملكة البرتغال قد مدّت حدودها إلى شواطئ المحيط سنة 1250م/648هـ[4].

[1]– محمد محمود النشار: خاتمة الوجود الإسلامي في غرب الأندلس، المرجع السّابق، ص. 384.

[2]– يوسف أشباخ: المرجع السّابق، ص. 215؛ محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السّابق، ص. 126.

[3] - Schaffer : op ,cit , p .108

[4]- H.Livermore : op ,cit , p.135

-Ferdinand Denis : op ,cit , p.18,19

- Parisot : op ,cit , p.24

- M. de Marlés : op , cit , p.90

- Schaffer : op , cit , p.108

تبعا لذلك ، استطاعت مملكة البرتغال توسيع حدودها إلى أقصى حدّ لها وشملت معظم البرتغال الحالية، خاصّة بعد استيلائها على القلاع[1] الواقعة شرق وادي يانة[2].

والذي يمكن استنتاجه من وراء نجاح البرتغال في تحقيق كل هذه الانتصارات هو ضعف وتفكّك الجبهة الإسلامية غرب الأندلس، في مقابل وحدة الصّليبيين واستماتتهم في نصرة مشروعهم الذي خرجوا من أجله وهو طرد المسلمين واسترداد كل الأقاليم التي أخذوها من قبل.

[1] مثل أروطة (Arode) سنة 1252م، وأروسينة(Arocena) .

–محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السّابق، ص. 128.

–محمد محمود النشار: خاتمة الوجود الإسلامي في غرب الأندلس، المرجع السّابق، ص. 385.؛

-Schaffer : op , cit , p.108

- M. de Marlès : op. cit. p. 90, 91

–H. V. Livermore: op. cit. p. 135

[2] – وتجدر بنا الإشارة إلى نقطة جدّ هامّة، وهي أنّ تلك التوسّعات السّابقة للبرتغال خاصّة شرق وادي يانة أدّت إلى حدوث نزاع مع مملكة قشتالة التي رأت أنّ البرتغاليين استولوا على بعض المناطق التي تُعدّ مجالا لتوسّعاتها، في حين أن ملك البرتغال كان يرى أنّها امتدادٌ طبيعيٌّ لأملاكه، ممّا أدّى إلى نشوب نزاع جديد بينهما، انظر:

–M. de Marlès : op. cit. p. 91,

–Schaffer : op , cit , p.109

– H. V. Livermore : op. cit. p. 135_137

4. مساهمة مملكة البرتغال في العدوان الصّليبيّ على مسلمي الأندلس

من المعروف تاريخيّا أنّ الحروب الصّليبية هي تلك المواجهات التي دارت بين المسلمين والمسيحيين في المشرق والتي دعا إليها البابا أوربان الثّاني في مؤتمر كليرمونت 1095م واستمرّت إلى غاية 1291م/690هـ.

لكنّ وجود المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية قد دفع العديد من المسيحيين للمطالبة بضرورة توجيه حملات صليبيّة على بلاد الأندلس لاستردادها من أيدي المسلمين. ففي مجمّع كليرمونت الذي أُعلنت فيه الحرب الصّليبية على المشرق لاسترجاع الأراضي المسيحيّة المقدّسة في فلسطين أراد المطران برنارد وعدد من القساوسة الإسبان المشاركة في تلك الحروب، إلاّ أنّ البابا **أوربان الثّاني** منعهم من ذلك بسبب احتلال المسلمين لأراضي إسبانيا ، ومن ثمّة أولويّة مسيحيّي إسبانيا بتحرير أراضيهم ، فأصدر مرسوما حرّم فيه على رجال الدّين الإسبان والفرسان المشاركة في حروب المشرق لأنّ حروبهم في إسبانيا ضدّ المسلمين لا تقلّ أهمية عن الحروب الصّليبية في المشرق.[1]

على أنّ المتتبّع لمجريات الحركة الصّليبية في شبه الجزيرة الإيبيرية يلاحظ أنّ بداية الحروب الصّليبية تعود إلى سنة 1063م/455هـ عندما دعا البابا إسكندر الثّاني (1061-

[1]- محمّد العروسي المطوي: الحروب الصّليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982م، ص. 190، 191، أحمد محمود النشار: المرجع السّابق، ص. 37.

1073م) إلى نجدة إخوانهم المسيحيّين في أراغونة. وقتها تشكّلت أوّل حملة صليبية لمساعدة أراغون في حروبها ضد المسلمين [1]، شاركت فيها فِرقٌ من جنوب إيطاليا وقوّات من بواتييه (Poitier) وأكويتانيا.[2]

كانت أوّل هجمة صليبيّة وقعت في بلاد الأندلس قد استهدفت بلدة بربشتر[3] سنة 1064م/456هـ، عاث فيها الصّليبيون فسادا وقتلا وهتكا للأعراض، وحقّقت أهدافها بالاستيلاء على المنطقة[4]. ونظرا للغنائم الكثيرة التي غنمها الصّليبيون من الحروب ضدّ المسلمين في الأندلس ، تشجّع العديد من المتطوّعين المسيحيين على حمل الصّليب والذّهاب إلى إسبانيا للمشاركة في هذه الحرب الصليبيّة ، خاصّة من فرنسا والأراضي

[1]– خاصّة وأنّ ملك الأراغون راميرو الأوّل كان أوّل الملوك المسيحيين الذين اعترفوا بالبابا وكنيسته، وكانت المملكة تتبع البابوية إقطاعيا، فتشجّع البابا على مساعدتهم وأعلن عن منح الغفران لكلّ مشارك في الحملة . محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية في الأندلس، المرجع السابق ، ص. 17، 18 ، محمد عبدو حتاملة: الاعتداءات الإفرنجية (الصّليبية) على ديار العرب في الأندلس والمشرق (حرب متواصلة على الإسلام)، عمان، الأردن، 2001، ص. 14.

[2]– محمد محمود النشار: ، نفسه ، ص. 19 .

– محمد عبدو حتاملة: الاعتداءات الإفرنجية (الصّليبية) على ديار العرب في الأندلس والمشرق، المرجع السّابق، ص. 14.

[3] – **بربشتر :** مدينة تقع شرق الأندلس تمتاز بالحصانة ، وهي من أعمال بريطانية ، غزاها المسيحيون على حين غرة لكن أحمد بن سليمان بن هود تمكن من استرجاعها ، للمزيد حولها راجع : ياقوت الحموي : المصدر السابق ، م1 ، ص.370، الحميري : المصدر السابق ، ص . 39 _ 41 .

[4]– الحميري: المصدر السّابق، ص. 39، 40، 41 .

– مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرّشاد الحديثة، الدّار البيضاء، ط1، 1979م، ص. 76 . انظر أيضا:

– محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية في الأندلس، المرجع السّابق، ص. 26.

المجاورة [1]. كما لفتت أيضا أنظار الممالك المسيحية إلى أهمّية الاستعانة بالصّليبيين ، فتعزّزت العلاقات بين البابويّة وملوك إسبانيا وبالأخصّ مملكة أراغونة[2]. لذلك اعتُبرت المواجهات في هذه المنطقة امتداد للحروب الصّليبية في المشرق، ولم تشمل مملكة أراغونة لوحدها وإنّما انتقلت إلى باقي الممالك المسيحيّة.

وعندما تولّى البابا غريغوري السّابع[3] منصب البابوية سنة 1073م/465هـ اتّسعت الحملات الصّليبية على الأراضي التّابعة للمسلمين في الأندلس ، خاصّة بعد أن نجح في إقناع ملك قشتالة ، ألفونسو السّادس، بالانضمام إلى هذه الحركة الصّليبية .

قام ألفونسو وبمؤازرة من جنود فرنسيّين بتوجيه حملة على مدينة طليطلة سنة 1085م/478هـ ،وهي الحملة التي باركها البابا غريغوري السّابع [4].

---

[1]– محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية في الأندلس، المرجع السّابق، ص. 28.

[2]– المرجع نفسه، ص. 30.

[3]– هو الكاردينال ها براند، اعتلى كرسي البابوية في 22 أفريل 1073م تحت اسم غريغوري السّابع، وقد عُرف بشدّته وصرامته في تطبيق تعاليم الدّين، وكان قد أوصى به البابا إسكندر الثّاني كخليفة له. اختُلِف في أصله إلاّ أنّه يُعدُّ من أعظم المصلحين من سنة 1045م إلى 1073م، وقد كان بالغ الصّلابة في تنفيذ الإصلاحات مثل: إنكار زواج القساوسة واعتبر أشراف العلمانيين أصل كلّ شرّ، لذلك كان ضدّ التّقليد العلماني للكنسيين، بل أصرّ على أنّ اختيارهم يكون وفقا للقانون الكنسي. انظر: الباز العريني: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النّهضة العربية، بيروت، لبنان، 1976م، ص. 309، 453 ، عادل سعيد بشتاوي: المرجع السّابق، ص. 95.

[4]– عبد الرحمان بن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمّى: المصدر السّابق، ج6،ص. 146 انظر أيضا:

– محمد عبدو حتاملة: الاعتداءات الإفرنجية (الصّليبية) على ديار العرب في الأندلس والمشرق، المرجع السّابق، ص. 16؛ محمد العروسي المطوي: المرجع السّابق، ص. 132؛ محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية في الأندلس، المرجع السّابق، ص. 34.

بعدها توالت هجمات ألفونسو السّادس ضدّ الوجود الإسلامي بالأندلس ، بأن غزا مدينة سرقسطة التي حاصرتها القوات الصّليبية المشكّلة من عدة فرق جاءت من مناطق مختلفة في أوروبا [1]، ومن حسن حظّ المسلمين أنّ وصول جيش المرابطين من بلاد المغرب ، مكّنهم من التفوّق على جيوش ألفونسو ، وقد اعتُبِرت هذه الموقعة كذلك امتدادا للحروب الصّليبية.[2]

أمّا مملكة البرتغال فقد استجابت، هي الأخرى، لنداء البابوية، وساهمت بنصيبها في الحملات التي استهدفت ديار المسلمين. إلّا أنّ المشروع الصّليبي بها كان أكثر وضوحا في عهد **ألفونسو هنريكز** خلال القرن 12 الميلادي. ففي هذه الفترة دعا البابا أوجينيوس الثّالث "Eugenius 3" (1145-1153) المسيحيّين في إسبانيا سنة 1145م لتحرير المسيحيين من مضايقة المسلمين، وقد رأى في ألفونسو هنريكز أداة هامّة لتحقيق المشروع الصّليبي[3]، خاصّة وأنّ هنريكز عُرف باحترامه الشّديد للبابوية فاعترف بسلطانها على مملكته

[1]- ابن الأثير الجزري: المصدر السابق، مجلد 8، ص. 111.

[2]- مذكّرات الأمير عبد الله: التّبيان، المصدر السابق، ص. 104 – 106.

- محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية في الأندلس، المرجع السّابق، ص. 35، محمد عبدو حتاملة: الاعتداءات الإفرنجية (الصّليبية) على ديار العرب في الأندلس والمشرق، المرجع السّابق، ص. 16.

[3]- عبد العزيز بوكنة: المواجهة بين الصّليبيين (البرتغاليين) والمرابطين في الأندلس وسواحل المغرب، مقال نُشر بالمجلّة الجزائرية للبحوث والدّراسات التّاريخية المتوسّطية، العدد الثّالث، جوان (رمضان) 2016م/1437هـ، ص. 42.

سنة1144م/539هـ ، واستدعى فرقتي الدّاوية[1] والاسبتارية[2]التي تمكّن بمساعدتهما من الاستيلاء على شنترين وانتزاعها من الموحّدين[3]، كما استولى على لشبونة في أكتوبر سنة 1147م بمساعدة الحملة الصّليبية التي كانت متّجهة إلى المشرق، وقد كانت مكوّنة من الإنجليز والفلمنك (الهولنديين) والفريزيين (الألمان) والنّورمانديين . فكافأهم نظير مساعدتهم بتعيين الإنجليزي "**جيلبرت هاستينجر**"Gilberto de hasting أسقفا لكنيسة لشبونة مع الإشراف على الكنائس المجاورة للمدينة، ثم جعل لشبونة عاصمة للبرتغال، ورغم انتهاء الحملة فإنّ ألفونسو هنريكز شجّع الكثير منهم للاستقرار في البرتغال[4].لذا فإنّ منح البابا إسكندر الثّالث الاستقلال التامّ للبرتغال كان للجهد الذي بذله هنريكز في قتال المسلمين من جهة، وخدمته للمشروع الصّليبي من جهة أخرى، لأنّ البرتغال بعد تلك الحملة على لشبونة

---

[1]– **الداوية:** تأسّست في بلاد الشام لحماية طريق الحجاج ومعبد سليمان للمزيد انظر:

– محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية في الأندلس، المرجع السّابق، ص. 48، وكذلك:

–Jeffrey M.Shaw and Timothy J.Demy :War and Religion (an Encyclopedia of faith and conflict) , volume2 ,ABC-CLIO,Santa Barbara, California , p.462.

[2]– تعرف باسم "فرسان المستشفى" « Hospitaller » وعُرفت بالعربية باسم "الاستبارية"، انظر لمزيد من التّفاصيل:

– جوناتان رايلي سميث: الاسبتارية (فرسان القدّيس يوحنّا في بيت المقدي وقبرص، 1050م–1310م)، ترجمة: العميد الرّكن صبحي الجابي، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، ط1، 1989م، ص. 40 – 45 ؛

Helen J. Nicholson : The knights hospitaller, the Boydel press, 2001, p. 2–4.

[3]– عبد العزيز بوكنة: المرجع السّابق، ص. 42.

[4]– المرجع نفسه، ص. 43.

– محمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال، المرجع السّابق، ص. 167 .

– سعيد عبد الفتّاح عاشور: المرجع السّابق، ص. 64، 65 ؛

–Forria D'Orban : Op. cit, p. 84-86

– Ferdinand Denis : Op. cit, p. 9.

تحوّلت إلى محطّة رئيسية تعبُر منها سفن الصّليبيين نحو المشرق الإسلامي، كما أصبحت لشبونة قاعدة للأساطيل الصّليبية القادمة من الشّمال للاستراحة بها والتزوُّد بالمؤونة.[1]

تواصل الدّور الذي لعبته البرتغال في العدوان الصّليبيّ على المسلمين بعد وفاة ألفونسو هنريكز. لعلّ من أبرز الأمثلة الدّالة على ذلك معركة حصن العقاب (Las Navas de Tolosa)سنة 1212م تلك المعركة التي وحّدت صفوف الممالك المسيحية ضدّ المسلمين انتقاما للهزيمة السّاحقة التي تعرّضوا لها سابقا في معركة الأرك سنة1195م.فتحالف ألفونسو الثّاني ملك البرتغال مع ألفونسو الثّامن ملك قشتالة وسانشو السّابع ملك نافار إضافة إلى بيدرو الثّاني ملك أراغون ، واتفقوا على إحلال السّلام بينهم وقتال المسلمين بزعامة الخليفة الموحدي محمد الناصر[2] ، هذا الأخير الذي أعلن الجهاد ضدّهم وهاجم وسط الأندلس ، بعد أن نقض ملك قشتالة الهدنة مع الموحدين سنة 1209م[3]، فتمكن الخليفة الموحدي من هزيمتهم .هنا استغل ألفونسو الثامن ملك قشتالة الفرصة وبعث استغاثة إلى البابوية وطالب بضرورة حرب صليبيّة في كامل أنحاء أوروبا ضدّ المسلمين فاستجاب له البابا إنوسنت الثالث[4].توافدت جيوش جرّارة من ألمانيا وفرنسا وإيطاليا لنصرة الصّليب وتنفيذ أوامر البابويّة ، دون أن ننسى الجيوش المحلّية للممالك

[1]– عبد العزيز بوكنة: المرجع السّابق، ص. 44.

[2]– Callaghan : Ahistory of Medieval Spain , op ,cit , p.248 ,249

[3]-Michael Gerli : op , cit , p.611

[4] – Thomas Frederick : The empire and papacy(918 – 1273) , Indlana University Library ,London , 1906 , p .472

المسيحيّة وعلى رأسها البرتغال ، ورغم الاستعدادات الجيّدة للموحدين الذين جمعوا كذلك جيشا قويّا أدخل الرّعب في نفوس المسيحيين ، إلّا أنهم هزموا في هذه المعركة التي اعتبرت بداية النّهاية والضّعف للمسلمين في الأندلس ، وبداية لتقدّم الحركة الاستردادية في أراضيهم[1].

ومن الأمثلة التي تبيّن مساهمة البرتغال في العدوان الصّليبي نداء البابا هونوريوس الثّالث (1216-1227م) الممالك المسيحيّة الثّلاث (قشتالة، ليون والبرتغال) من أجل الحروب ضدّ المسلمين[2].

ونتيجة الانتصارات التي حقّقتها البرتغال على المسلمين سمح البابا غريغوري التّاسع (1227-1241م)للصّليبيين بمساعدة ملك البرتغال سانشو الثاني مدّة أربع سنوات ومنحه مطلق الحماية والرّعاية في قتاله للمسلمين[3]، وبفضل تلك المساعدات الصّليبية تمكّنت البرتغال من التّوسع بشكل لافت في الغرب الأندلسي في الفترة من 1232 م إلى 1234 م

[1] – لمزيد من التفاصيل حول المعركة انظر:

–ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص.234 – 240 ،الحميري : المصدر السابق ، ص.137 ، 138

[2] - Schaffer: op , cit , p.90 .

[3] – Joseph F O'Callaghan: Reconquest and crusade in Medieval Spain, university of Pennsylvania press, 2003, p.108.

-Schafer: op , cit , p. 91

أين توسّعوا على Serpa و باجة أي على حوالي ستّين إلى سبعين ميلا جنوب غرب بطليوس ، وبعدها تمكّنوا من الاستيلاء على ميرتلة والفجر[1].

وفي نفس الوقت قام أخو الملك سانشو الثاني، فرناندوFernando،المسؤول عن منطقة Serpa،بإطلاق حملة صليبيّة ضدّ المسلمين للتّكفير عن خطاياه بمساعدة ابن ملك ليون ألفونسو التاسع، فاتّخدوا من serpa المنطلق لحملتهم، ووضعوا الصّليب كشارة على ملابسهم ممّا جعل البابا غريغوري التّاسع يضعهم تحت الحماية البابويّة وذلك في 25 نوفمبر 1239 م. كما دعا الأساقفة عامّة المسيحيين إلى الانخراط في مشروع الاسترداد الذي دعا له البابا ، ووعدوهم بغفران ذنوبهم إن هم لبّوا النّداء وشاركوا في الحروب الصّليبية ضدّ المسلمين ، وقاموا بالتّبرع لمساعدة فيرناندو في مهمّته تلك ، وبذلك تمّ التكفير عن كلّ ذنوبه تجاه رجال الدين من البابوية لمحاربته للمسلمين [2].

وبعدها بعامين قدّمت البابوية كلّ التّسهيلات لسانشو الثاني لمواصلة توسّعاته في غرب الأندلس، وقد تحدثنا عن المناطق التي نجح في الاستيلاء عليها مثل: قلعة الفور Elvor وميناء "**كاسيلا**، ومدينة **طبيرة**Tavira سنة 1242م.

[1] - Joseph F O'Callaghan: Reconquest and crusade in Medieval Spain : op ,cit , p.108

[2] -Ibid , p.109.

لمّا سمع ألفونسو الثّالث ، كونت Boulogneوشقيق الملك البرتغالي سانشو الثاني ، الذي كان قد غادر البرتغال قبل سنوات ، مناداة البابا إنوسنت الرابع في جانفي 1245 م بقتال المسلمين لبّى النداء مسرعا ، ونظير تلك المساعدة كافأته البابوية بمنحه العفو، وساعدته في الوصول إلى العرش بعد أن اضطربت الأوضاع في البرتغال،وتمّ خلع أخيه الملك سانشو الثاني [1].فحقّق ألفونسو الثالث نجاحا باهرا في التقدم على أراضي المسلمين في الجهة الغربية بمساعدة البابوية والفرق الدّينية.

فالبرتغال ساهمت مساهمة كبيرة في نجاح الحركة الصّليبية التي استهدفت المسلمين في الأندلس سواء بالتّحالف مع الممالك المسيحيّة ، أو بطلب عون البابويّة(الصّليبيين) لتوسيع أراضيها على حساب غرب الأندلس، أو من خلال الاستعانة بالداوية والاسبتارية والفِرق العسكرية الدّينية المحلية [2]، خاصة في عهد الملك ألفونسو هنريكز الذي منحهم امتيازات كبيرة من أجل الاستفادة من خدماتهم العسكرية حيث كان لتلك الفرق الدينية وخاصّة البرتغالية دور كبير في نجاح الحركة الاسترادادية وخدمة المشروع الصليبي في

[1] -Ibid, p.109,110.

[2]– اعتمدت البرتغال في البداية على الجماعات الدينية التي انتشرت بكثرة في شبه الجزيرة الايبيرية وعلى رأسها الداوية والاسبتارية ، وتعد تيريزا أول من استعان بهم خلال القرن 12 م ، وفيما بعد شكلت البرتغال جماعات دينية عسكرية خاصة بها ومنها نذكر : (Nova Militia) أي الجماعة **المحاربة الجديدة** التي عرفت فيما بعد بجماعة آفيس، للمزيد حول هذا الموضوع انظر :

–أحمد محمود النشار : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في المشرق ، المرجع السابق ، ص.59 ، 60

المنطقة ، وقد رأينا في الفصول السابقة العديد من الأمثلة التي توضّح اعتماد ملوك البرتغال على تلك الفرق[1] في حروبها مع المسلمين وإعطائهم امتيازات كثيرة نظير تلك المساعدات [2].

تواصلت بعد القرن الثاني عشر ميلادي تشجيعات البابوية لقتال المسلمين، فنجحت في توسيع مشروعها الصّليبي بالأندلس وقد لعبت البرتغال، كما رأينا، الدّور الفعّال في خدمة ذلك المشروع، بدليل تمكّنها من التوسع على كامل غرب الأندلس وضمّ معظم المناطق الإسلامية فيه لتبلغ مملكة البرتغال أقصى توسع لها منتصف القرن 13 م.

على الرّغم من إنهاء مملكة البرتغال الحكم الإسلاميّ بإقليم غرب الأندلس، من خلال استرجاع جميع الأراضي التي كانت بأيدي المسلمين، إلّا أنّ ذلك لم يمنع من بقاء جاليات إسلاميّة متمركزة في المنطقة، ناهيك عن الحضارة التي خلّفها المسلمون في غرب الأندلس

[1]– علينا الإشارة إلى أنّ محاولة كسب الجماعات الدّينية أدّى فيما بعد إلى صراع آخر بين البرتغال وقشتالة حول من يكسب هذه الجماعات إليه، فمثلا في عام 1384م مقدّم جماعة أفيس كان الأمير البرتغالي يوحنا الذي توج ملكا في نفس العام ممّا أدّى إلى غضب ملك قشتالة يوحنا الأول (1379–1390م)، وذلك لجمع ملك البرتغال بين سلطة البرتغال وسلطة جماعة أفيس فتحوّلت إلى حرب بينهما، وفي الأخير انفصلت هذه الجماعة نهائيا وأصبحت برتغالية حتّى سنة 1578م؛ انظر:

-Jean Denis: Op. cit, p. 188.

[2] –مثل ألفونسو الثّاني (1211–1223م/608–620هـ) ملك البرتغال الذي منح مدينة (Avis) "أفيس" لفرسان يابرة، فأصبح يُطلق عليهم "فرسان أفيس" نسبة إليها سنة 1211م/614هـ.

– عبد العزيز بوكنة: المرجع السّابق، ص. 44.

–محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص. 92، 93.

-M. de Marlès : op. cit, p. 54

لمدة فاقت الخمسة قرون، لازالت معالمها شاهدة على وجودها إلى وقتنا الحالي. وهذا ما ستركز عليه دراستنا في الفصل الرّابع.

الفصل الرابع

الفصل الرّابع:

" الحضور الإسلامي في غرب الأندلس بعد الرّوكنكيستا "

1. المجال الجغرافي لاستيطان المسلمين غرب الأندلس.
2. شبكة الطّرق والمسالك الرّابطة بين مواقع استقرار المسلمين.
3. المراكز الحضارية في غرب الأندلس.
4. حياة المسلمين الصعبة في مملكة البرتغال بعد الروكنكيستا.
5. أثر الثّقافة الإسلامية في المجتمع البرتغالي.

الفصل الرابع: الحضور الإسلامي في غرب الأندلس قبل وبعد الرّوكنكيستا.

على الرّغم من خسارة المسلمين لإقليم غرب الأندلس في وقت مبكّر مقارنة بباقي المناطق، إلّا أنّ الكثير من الجاليات المسلمة ظلّت موجودة ومستقرّة في هذه المناطق كما خلّفت آثارا حضاريّة هامّة لازالت معالمها دالّة على تطوّرها إلى وقتنا هذا، وبيّنت أنّ تاريخ غرب الأندلس لم يقتصر دوره على الجانب السّياسي والعسكريّ، وإنّما تعدّاه للجوانب الحياتيّة الأخرى. لذا سنحاول في هذا الفصل التّطرّق لحياة أهالي الجهة الغربيّة أثناء الحكم الإسلاميّ وبعده مع إبراز أهمّ تطوّراتهم العلميّة والفكريّة.

1. المجال الجغرافيّ لانتشار المسلمين في غرب الأندلس

عندما سيطر المسلمون على إقليم غرب الأندلس وقضوا على التّمرّدات التي كانت معارضة للحكم الأمويّ بها، انتشر الأمن في ربوع الجهة الغربيّة، وبدأت تلك الجهة تعرف تعميرا تدريجيّا بالسّكان حيث بدأ هؤلاء يشكّلون تجمّعات سكّانية ويتوزّعون في غرب الأندلس حسب الأقاليم الإداريّة التي عرفتها المنطقة، إلّا أنّ توزيعهم واستقرارهم بها لم يكن متكافئا وإنّما متباينا تحكّمت فيه مجموعة من العوامل والظّروف.

- **الكور Kuwar:**

ما إن استقرّ المسلمون بأرض الأندلس حتّى شرعوا في تنظيم المجال الجغرافيّ إلى مقاطعات إداريّة لتسهيل تسيير شؤونها وضبط الأمن في ربوعها حيث جزأوا هذه المجالات

إلى ثغور وكور فكانت كلّ كورة تتكون من مجموعة من المدن [1]، والمدينة الواحدة تتبعها أقاليم [2]، وكلّ إقليم تمّ تقسيمه إلى مجموعة من الأرياف [3]. وتعود بداية العمل بهذا التّنظيم الجغرافيّ إلى العهد الأمويّ عندما تمّ تقسيم الأندلس إلى خمس ولايات[4]، تمّ تعيين وال على رأس كلّ ولاية يتولّى تسيير شؤونها وهو المسؤول عنها[5].

ظهر بها نظام الكور المجنّدة ، وهي مناطق استقرّ بها الجنود أو ما يشبه الولايات العسكريّة [6].من أمثلة الكور المجنّدة في غرب الأندلس باجة التي نزل بها جند مصر[7]،تتبعها مدينة يابرة وشنترين [8]، وقد تحوّلت فيما بعد إلى منطقة ثغريّة لمواجهة المسيحيّين خلال القرن الحادي عشر الميلاديّ[9].

على أنّ ما يجب التّنويه إليه ، أنّ الوالي الحكم أبا الخطّار حسام بن ضرار الكلبيّ هو من قام بتوزيع جند من الشّام على ستّ كور : إلبيرة ، ريّة ، شذونة ، إشبيلية ، جيان ،

[1] – حسين مؤنس: فجر التّاريخ: المرجع السّابق، ص.561 .

[2] – ياقوت الحموي: المصدر السّابق، م1 ، ص.26.

[3] – سالم بن عبد الله الخلف : نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس ، مقال نشر يوم : 4 / 9 / 2016 ، في الموقع: www.islamstory.com .

[4] – تتوزّع كالتالي: باطقة، طليطلة، سرقسطة، أربونة، إلى جهة الشرق، أمّا في الغرب ماردة تمتد من وادي يانة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، من أشهر مدنها: ماردة، باجة، أشبونة، إسترقة.
خليل إبراهيم السّامرائي وآخرون: المرجع السّابق، ص.374.

[5] – حسين مؤنس: المرجع السّابق، ص.555.

[6] – نفس المرجع.

[7]– الحميري: المصدر السّابق، ص. 36.

[8]– المصدر نفسه، ص. 113 و ص. 197.

[9]–Cristophe Picard: op , cit , p.139

باجة[1]. تقع معظم تلك الكور المجنّدة بالجهة الغربيّة، وبالضّبط في الجهة الجنوبيّة والجنوبيّة الغربيّة من هذه المنطقة، ممّا يدلّ على وجود استقرار سكانيّ كبير جنوب غرب الأندلس. يتوزّعون توزيعا متباينا كالتّالي:

المدن: من المناطق التي انتشر بها سكّان الجهة الغربيّة المدنُ، وقد ورد هذا المصطلح بكثرة في المصادر العربيّة، وهو عادة ما يشير إلى وجود استقرار سكّانيّ كبير. ومع ذلك، فالمؤلّفون العرب لم يطلقوا على مكان ما اسم مدينة إلّا وفق معايير محدّدة بحيث يتمّ من خلالها التّفريق بين المدينة والحصن والقلعة وغيرها. من بين تلك المعايير أهمّية المدينة وهيبتها قبل مجيء المسلمين، على أساس أنّ تلك المدن كانت عواصم مقاطعات. ففي غرب الأندلس مثلا نجد: ماردة، بطليوس، قلمرية، شنترين، لشبونة (أشبونة)، شنترة، باجة ، يابرة ، شلب ، قصر أبي دانس ، شنتمريّة الغرب ، ولبة ، نيبلة . قد أشير إليها في المصادر العربيّة على أنّها مدنٌ، لأنّها كانت في أوقات معيّنة، أو بشكل دائم، عواصم مقاطعات، بالإضافة إلى أنّ العديد منها كان لها شأن قبل مجيء المسلمين مثل: ماردة المدينة الرّومانيّة العظيمة. هذا إلى جانب معايير أخرى مثل: وجود القصبة أين يتواجد الحاكم العام، وعادة ما تعرف بكثرة المباني والأحياء، أو بكثرة تعداد السّكان القاطنين بها. فقد أشار مصدر لاتينيّ مجهول أنّ تعداد سكّان مدينة شلب Silves سنة 1189م/ 585هـ

[1] – ابن عذاري: المصدر السّابق، ج.2، ص.33.

كان كبيرا[1].وهو ما أكده المؤرّخون المسلمون ، فالرّازي الذي عاش في القرن العاشر الميلاديّ أشار إلى أنّ مدينة شلب كانت أكبر مدينة في الغرب [2]، وعنه أخذ ياقوت الحمويّ تلك المعلومة مؤكّدا أنّ شلب تعدّ ثاني أكبر مدن الغرب بعد إشبيليّة [3] .

ارتبط نموّ المدن في أذهان مؤلّفي المصادر العربيّة كذلك بما تمتّعت به من ثروة طبيعيّة أو اقتصاديّة ، فمثلا يابرة يصفها الإدريسيّ بأنّ المنطقة المحيطة بها ذات خصوبة فريدة من نوعها، فهي تنتج القمح وجميع أنواع الفواكه والخضروات وبالتّالي فهي مدينة مهمّة في التّجارة [4]. هذا دون أن ننسى الجانب الفكريّ والعلميّ، فمنهم من كان يصف المدن حسب عدد العلماء والطّلبة الذين يفدون إليها للتّدريس ولطلب العلم. ومن هذه المدن التي تميّزت بهذه الميزة مدينة شلب [5] ، إشبيلية وبطليوس[6].

[1]- Cristophe Picard : op , cit , p.148

[2] - Ibid

[3] – المصدر السّابق ، المجلد 3 ، ص.357 .

[4] – راجع : نزهة المشتاق ، المصدر السّابق ، ص.544 ، 545 .

[5]– لما تمتعت به من تطوّر فكريّ فقد كانت مأهولة بالعرب الذين حافظوا على اللّغة العربيّة الفصيحة . انظر :

– الحميريّ : المصدر السّابق ، ص. 106 .

[6]- cristophe picard : op , cit , p.151 .

وفي اعتقادي أنّ هذه المعايير تبقى نسبيّة وليست قاعدة ثابتة في غرب الأندلس[1]، إلّا أنّها تمكّن القارئ من التّمييز بين مدن غرب الأندلس الكبيرة والمدن الأخرى الصّغيرة ، وهو ما يساعد على معرفة التّوزيع السّكانيّ في هذه المدن .

❖ الحصون والقلاع الإسلاميّة في غرب الأندلس:

كان بناء الحصون والقلاع في شبه الجزيرة الأيبيريّة معروفا منذ القديم، وذلك راجع للأخطار التي كانت تتعرّض لها المنطقة في كلّ مرّة، الأمر الذي تطلّب تشييد هذا النّوع من البناء بغرض الحماية. وعند دخول المسلمين في القرن الثّامن الميلاديّ شيّدوا هم كذلك مجموعة كبيرة من الحصون للدّفاع عن أراضيهم، لذلك نجد بغرب الأندلس في العصور الوسطى نوعين من الحصون: حصون قديمة تعود إلى فترة ما قبل الفتح الإسلاميّ كحصن ميرتلة، حصون جديدة تعود إلى الفترة الإسلاميّة مثل : حصن موروش[2].

[1] – أثبتت الأبحاث الأثريّة التي أقيمت على مدينة ميرتلة Mertola تحت إشراف الأستاذ Torres أنّها كانت مدينة حقيقيّة عرفت ازدهرا اقتصاديّا هامّا خلال العصر الموحديّ ، وقد ساعدها موقعها القريب من وادي يانة على تنشيط تجارتها . اطّلع على أبحاثه في :

C. Torres : ceramica islamica de Mertola – propostas de cronologiae funicionalidade , A ceràmica medieval no Mediterraneo Occidental, Mértola, Campo arqueologico de Mértola, 1991, p.497-536 ،

في حين نجد أنّ المصادر العربيّة ذكرتها على أنّها حصن وليست مدينة. انظر:

– الإدريسيّ: المصدر السّابق، ص.542 ، الحميريّ: المصدر السّابق ، ص.175 .

[2]– الحميريّ: المصدر نفسه ، ص.34 .

المعروف عن الحصون أنّها تحتلّ مساحة كبيرة وبالتّالي فقد كانت ملائمة لسكن عامّة النّاس واستيطانهم، كانوا يمارسون بها أنشطتهم بشكل عاديّ[1]. إلّا أنّ هذه الحصون كانت ذات أهميّة أقلّ من المدن، سواء من ناحية العدد السّكانيّ، أو من جانب الدّور السّياسيّ والعلميّ والاقتصاديّ. ولقد ارتبط مصطلح الحصن في المصادر العربيّة بمصطلح آخر قريب منه في المعنى و في عدد السّكان وهو **القلعة أو المعقل** يقابله عند المسيحيّين مصطلح Castrum وأحيانا أخرى Torres[2].

ومهما يكن، فإنّ منطقة غرب الأندلس ظهر بها العديد من الحصون والقلاع استقطبت عددا معتبرا من السّكان، تشهد على ذلك البيانات النّصيّة التي وردت في المصادر العربيّة والمسيحيّة أو من خلال ما كشفت عنه الأبحاث الأثريّة من معلومات. ومن أشهر المدن في غرب الأندلس التي وجدت بها الحصون والقلاع بكثرة مدينة ماردة التي أحاطت بها شبكة واسعة من الحصون والقلاع، منها: حصن قورية [3] ، القنطرة (قنطرة السيف) ، قصر العرش ، حصن موروش ، حصن أم غزالة (Magacel) ، حصن أم جعفر (Majafar) ، حصن لورقوشان (Logrosan) حصن قوروش (Santacruz) ، قلعة الحنش (Alange).(انظر المواقع مبيّنة على الخريطة)

[1] – وفاء بن عبيد الرحيلي: الدور العسكري للحصون الأندلسية في القرنين (3 – 4 هجري / 9 – 10 ميلادي)، مقال نشر بمجلة جامعة الملك عبد العزيز للآداب والعلوم الإنسانية، مجلد 26، العدد 1، 2018، ص.293.

[2]- Cristophe Picard: op, cit , p.153 .

[3] – الإدريسي: المصدر السابق، ص .547.

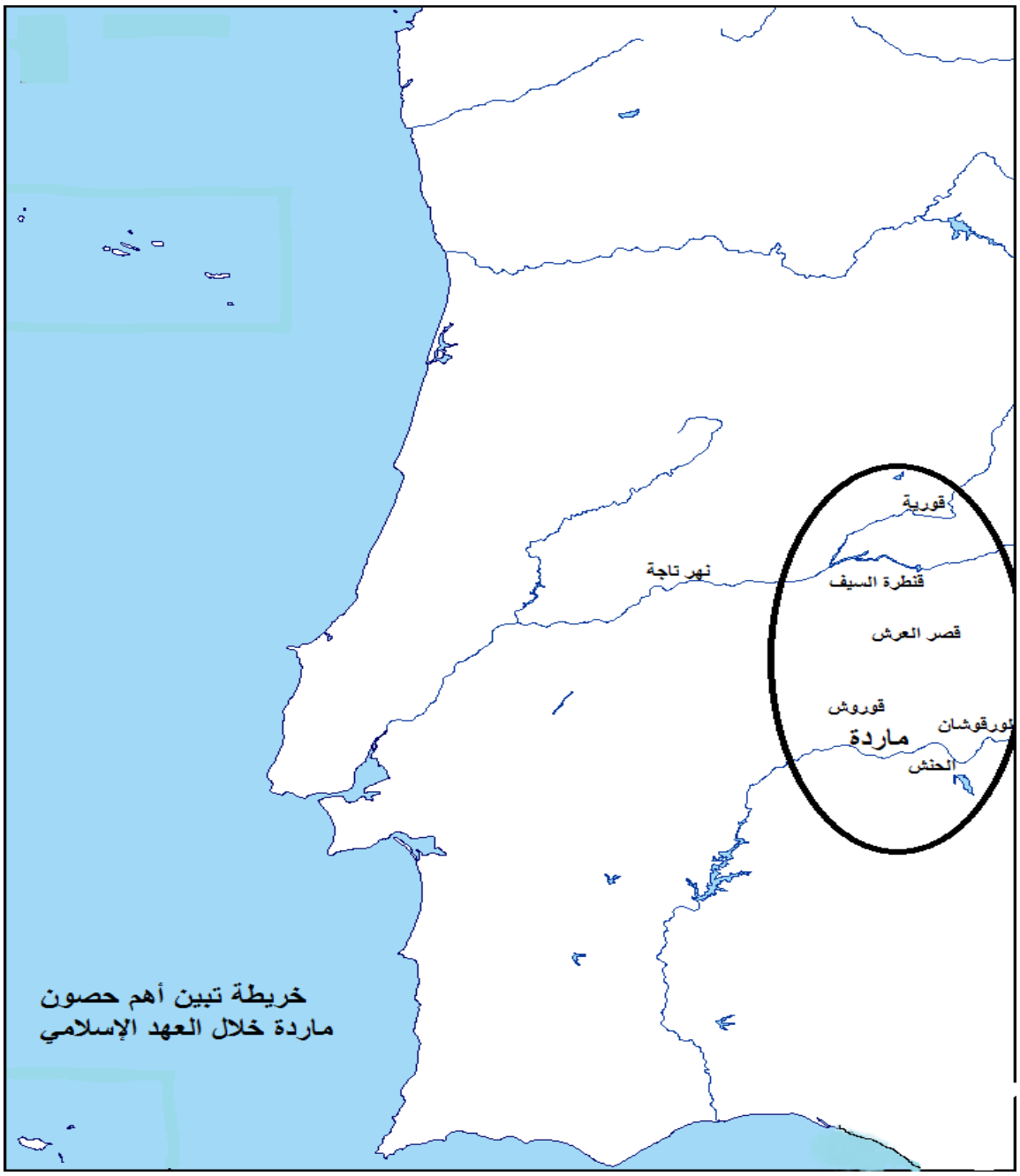

خريطة تبين أهم حصون ماردة خلال العهد الإسلامي

أمّا مدينة بطليوس (Badajoz) فقد زاد نموّها منذ القرن العاشر الميلاديّ وعرفت تشييد العديد من الحصون منها : يلباش (Elvas) ، جلمانية (Juromenha) ، لوبون

(Lobon) إضافة إلى مجموعة كبيرة من القلاع مثل : قاية (Caia) ، أليش (SantoAlixo) ، أفيس (Avis) ، قلعة Alconchel[1] (انظر الخريطة).

خريطة تبين أهم القلاع والحصون المحيطة ببطليوس

[1]Cristophe Picard : op , cit , p.154 .

وهناك حصون وقلاع عدّة أحاطت بمدينة قلمريّة التي عرفت كثافة سكّانيّة قليلة منها: حصن بومبال (Pombal)،حصن سوري (Sourre)، وقلعة سيا(Seia)،وفيسو (Viseu)، اللّتان تقعان بين نهري دويرة ومينهو.

وللإشارة فإنّ المصادر العربيّة أغفلت ذكر بعض الحصون في منطقة غرب الأندلس ومن حسن الحظّ أنّ المصادر اللّاتينيّة ذكرتها. خصوصا تلك التي تقع في الإقليم الممتدّ من شنترين إلى شنترة (حوالي 80 كلم). وهي : قلعةCoruche، طمار Thomar و تانكوسTancos الواقعتان في الشّمال الشّرقيّ لنهر تاجة[1]. (لاحظ الخريطة).

[1]- Cristophe Picard : op , cit , p.155

خريطة تبين أهم قلاع وحصون قلمرية

كما أظهرت الأبحاث الأثريّة التي أجريت في مواقع مختلفة عن وجود قلاع أخرى ذات طابع إسلاميّ، منها : حصن Aljustrel بالقرب من باجة حيث أكّدت أبحاثC .Ramosعلى وجوده وزيادة عدد سكّانه حتّى بعد سقوط باجة في يد المسيحيّين سنة 1172 م [1]، وحصن Evoramonte الواقع على بعد 28 كلم شمال غرب يابرة ، وحصن Portel القريب منه[2]. (لاحظ موقع الحصون على الخريطة).

ولا يفوتنا أن ننوّه أنّ تلك الحصون لم تكن على نفس المقدار من حيث استقرار السّكان، فمنها من كانت ذات كثافة سكانيّة عاليّة مثل: حصنAljustrel، وحصن المعدن. بينما حصون أخرى كانت قليلة السّكان مثل:Sesimbra وجلمانية. وذلك راجع لموقع الحصن ووظيفته التي بني من أجلها. فالحصون ذات الكثافة السّكانيّة القليلة عادة ما يكون موقعها في مناطق نائيّة تستخدم كأماكن للمراقبة أو كملاجئ في حالة الخطر، عكس الحصون الأخرى التي بنيت من أجل الدّفاع عن الأهالي القاطنين داخلها، فاستقرار السّكان بها يكون أكبر[3].

[1]-C ramos : O Castelo de Aljustrel .Campanhas de 1989 a 1992 , Vispaca , Arqueologia e Historia ,2 ,1993 , p 12 et suiv.
[2]-Cristophe Picard : op , cit , p.157
[3] - ibid , p. 159 .

خريطة تبين الحصون الإسلامية التي تم التأكيد على وجودها عند المسيحيين

- **القرى:** تعدّ من المناطق التي عرفت انتشارا واسعا للسّكان بها في غرب الأندلس، وهي عادة ما تكون تابعة للمدن، فنجد المدينة الواحدة يتبعها العديد من القرى. حسبما وضّحته المصادر العربيّة. جاء في مؤلف مجهول أنّ مدينة لبلة " **لها من القرى مايزيد على ألف قرية ، كانت جبايتها في أيّام بني عبد المؤمن ستة عشر ألف دينار**[1]"، وهو نفس العدد الذي ذكره عن القرى التّابعة لشنترين في قوله : " **ولها عمل كثير يزيد على ألف قرية تشرب كلّها بنهر يأتي إليها يسمى نهر آنة يفيض كما يفيض النيل فيحرثون به** [2].كما أشار إلى أنّ ماردة لها من القرى ما يزيد عن **ثلاثة آلاف قرية كلّها متّصلة بعضها ببعض بالغروسات والأشجار والزيتون والعنب وسائر الفواكه."** [3] .

مارس سكّان الأرياف في غرب الأندلس نشاط الزّراعة واستقرّوا حول المناطق الخصبة. لذلك فإنّ القرى تعدّ من المناطق الهامّة التي استوطن بها المسلمون غرب الأندلس، كما بيّنت الأبحاث الأثريّة في ميرتلة بالقرب من وادي يانة أنّ الحصون كانت محاطة بقرى صغيرة كان أهاليها يمارسون إضافة إلى الزّراعة النّشاط التّجاريّ على طول النّهر[4].

[1] : مجهول: ذكر بلاد الأندلس، المصدر السّابق، ص. 60

[2] : نفسه، ص. 53

[3] : نفسه، ص.57.

[4] : Cristophe Picard: op , cit , p .166

ممّا سبق يمكننا القول أنّ سكان غرب الأندلس تباينت درجة استقرارهم وتوزيعهم بالجهة الغربيّة، فغالبيتهم تمركزوا في الكور والمدن بالدّرجة الأولى ثمّ القرى والحصون والقلاع بدرجة أقلّ بسبب عدّة اعتبارات أهمّها النّشاطات الاقتصاديّة وكذا السّياسيّة والفكريّة، كما أنّ هناك مناطق وضعت لأغراض خاصّة كالثّغور. لذلك فإنّ انتشار السّكان وتوزيعهم لم يكن متكافئا وإنّما تباين من منطقة إلى أخرى للأسباب السّابقة.

2.شبكة الطّرق والمسالك الرّابطة بين مواقع استقرار المسلمين

انتشرت في بلاد الأندلس شبكة واسعة من الطّرق والمسالك البرّية والبحريّة والنّهريّة، لربط الصّلة بين المدن والمقاطعات، وقد ورثت الأندلس معظم طرقها الرّئيسيّة من الرّومان الذين عرفوا باهتمامهم الكبير بتشييد الطّرق، ولمّا دخل المسلمون إلى شبه الجزيرة الإيبيريّة رمّموا تلك المسالك القديمة وشيّدوا أخرى نظرا لزيادة عدد السّكان وبناء حواضر إسلاميّة جديدة فكان لزاما عليهم استحداث طرق تربط بين تلك المدن والتّجمّعات السّكانيّة. ومنطقة غرب الأندلس عرفت، هي الأخرى، مثل باقي أنحاء شبه الجزيرة الايبيريّة شبكة واسعة من الطّرق لعبت دورا هامّا في الرّبط بين حواضر المنطقة وسهّلت تنقّل الأشخاص كما ساهمت في تنشيط الحركة التّجارية، ومن أهمّ هذه الطّرق:

- **الطّرق البريّة:**

لعبت الطّرق البريّة دورا كبيرا في ربط مناطق استقرار المسلمين في غرب الأندلس، وممّا شجّع على استخدام هذه الطّرق هو وفرة محطّات الرّاحة والمياه، حيث تحدّث الزّهريّ عن

ذلك بقوله: " **ومن بركتها أنّه لا يمشي الإنسان بها فرسخين دون ماء، ولا يمشي ثلاثة فراسخ إلّا وجد فيها الخبز والزّيت في الحوانيت على طول السّفر.** " [1]. وقد أشار الجغرافيّون إلى عدّة طرق هامّة في غرب الأندلس مع ذكر المسافات بينها، ومن أهمّها:

- **الطّريق الرّابط بين قرطبة وبطليوس** مرورا بحصن الحنش ثمّ ماردة لتكون بطليوس آخر محطّة في هذا الطّريق ، ويذكر ابن حوقل أنّ المسافة بين قرطبة وبطليوس ستّ مراحل [2]. كما ذكر المسافات بين حواضر غرب الأندلس في قوله: " **من أخشنبة إلى شلب ستّة أيّام، ومن شلب إلى قصر بني ورداسن خمسة أيّام. ومنها إلى المعدن ثلاثة أيّام ثمّ إلى لشبونة يوم، ومن لشبونة إلى شنترة يومان، ومن شنترة إلى شنترين يومان.** " [3]. وأضاف أنّ تلك المدن مشهورة بالغلّات والتّجارة وكثرة الأسواق والمساجد حيث لا يوجد بالأندلس مدينة غير معمورة [4]. والملاحظ من ذكره للمسافات بين حواضر غرب الأندلس قربها من بعضها البعض لذلك فقد لعبت الطّرق البريّة دورا هامّا في الرّبط بينها والتّواصل بين قاطنيها.
- **الطّريق جنوب–شمال الرّابط بين ميرتلة جنوبا إلى ماردة شمالا،** هو طريق برّي محاذي لوادي يانة، وتعدّ ميرتلة في هذا المسلك منطقة لتفريغ حمولَة السّفن القادمة

[1] - الزهري: المصدر السابق، ص.80

[2] - ابن حوقل أبو القاسم النصيبي: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996، ص. 111.المرحلة هي عشرون ميلا والميل يساوي 1848 م وبذلك فالمرحلة تساوي 36960 م .

[3] – المصدر نفسه، ص. 110.

[4] – نفسه، ص. 111.

عبر النّهر ليتمّ نقلها برّا مرورا بسيربا (Serpa) ، ثمّ مورا (Moura)، ثمّ إلى بطليوس وماردة [1](لاحظ الخريطة). فكان لهذه الطّريق دور مهمّ في إيصال البضائع والسّلع إلى مدن غرب الأندلس وبالتّالي تنشيط تجارتها.

- **الطّريق الرّابط بين بطليوس ولشبونة مرورا بقصر أبي دانس:** اعتبر هذا المسلك شريانا اقتصاديّا هامّا لنقل السّلع إلى السّاحل المحيط ، وقد كانت يابرة محطّة التّوقّف في هذه الطّريق المتّجهة إلى أكبر حواضر وموانئ غرب الأندلس ألا وهما لشبونة وقصر أبي دانس [2].(لاحظ الخريطة) نلمس ذلك من قول الإدريسيّ :

" **يبورة مدينة كبيرة عامرة بالنّاس.. والتّجارات إليها داخلة وخارجة** .."[3]. كما لا ننسى استمرار المسلمين في استعمال الطّرق الرّومانيّة القديمة وهي:

- **الطّريق الرّابط بين إشبيليّة وصولا إلى ماردة ؛ طريق وادي يانا؛** إضافة إلى **المسلك من أكشونبة إلى باجة ثمّ لشبونة وصولا إلى شنترين ثمّ قلمرية،** مع إحداثِ تغيير فقط في الاتّجاهات؛ بِحيث صارت الطُّرُق تمُرُّ عبر القلاع الرّئيسيّة في المنطقة مثل

[1] - Cristophe Picard: op , cit , p. 175.

[2] – لقد اعتبر ميناء قصر أبي دانس من أكبر الموانئ المنشطة للاقتصاد في المنطقة نظرا لاشتهاره ببناء السّفن وتصديره لمنتجات الصّيد ومادّة الملح منذ القديم واستمر نشاطه أكثر خلال العهد الإسلاميّ، انظر التفاصيل في:
Nicole Danièle : LA MURAILLE ALMOHADE D'ALCÁCER DO SAL AU PORTUGAL. LES GRAFFITES, BIBlID, 19, 2012, p.197

[3] – الإدريسيّ: المصدر السّابق، ص.544، 545.

أوريك (Ourique)، وألجيسترال (Aljustrel)، جنوب باجة ، أو المراكز الجديدة المكتظّة بالسُّكان في سيربا، وموورا، شمال ميرتلة [1].(لاحظ الخريطة).

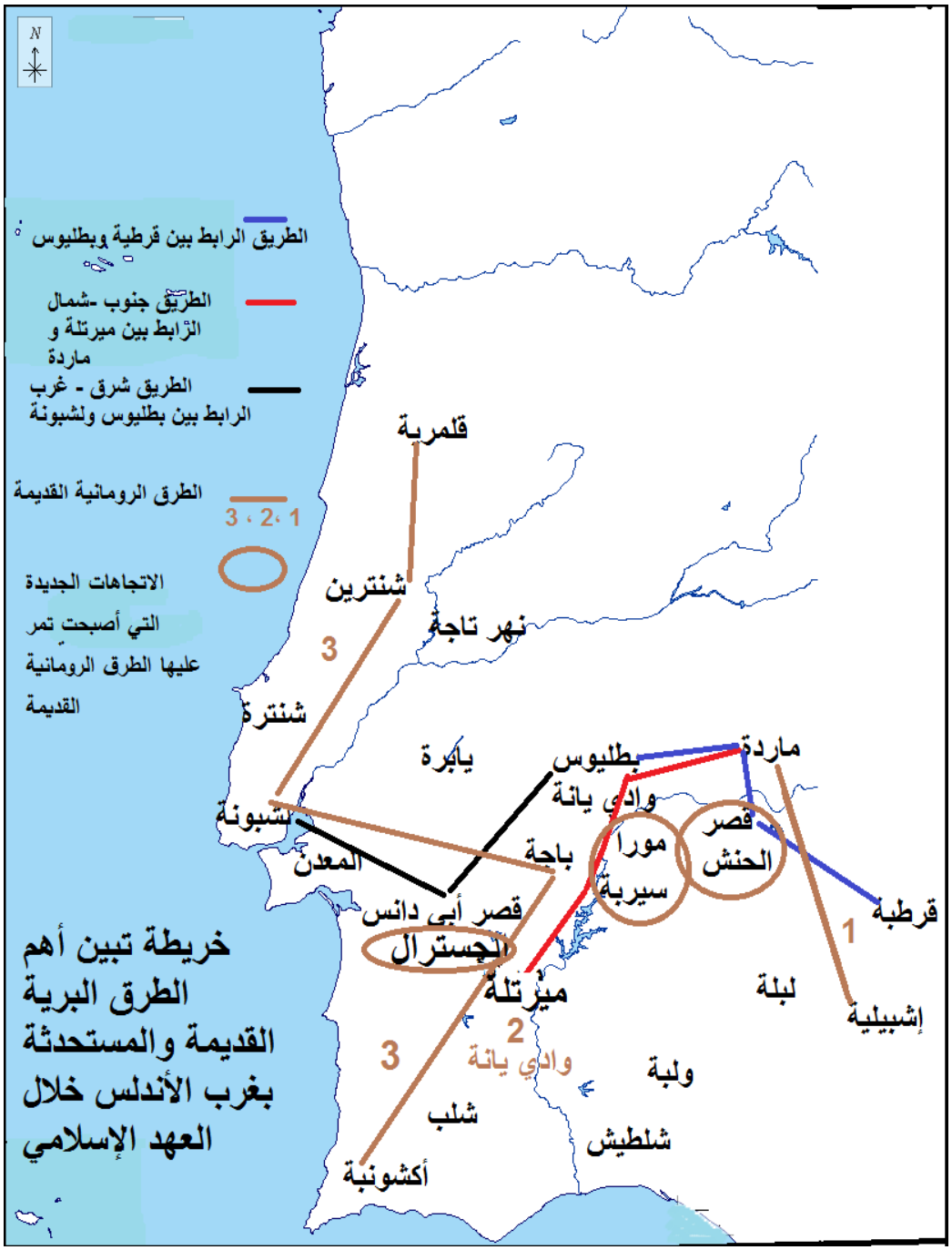

خريطة تبين أهم الطرق البرية القديمة والمستحدثة بغرب الأندلس خلال العهد الإسلامي.

- **الطّرق البحريّة والنّهريّة:**

[1]- cristophe picard : op , cit , p .176

إنّ وقوع الأندلس قرب المسطّحات المائيّة إضافة إلى كثرة الأنهار والأودية بها ساهم في احتوائها على العديد من المسالك النّهريّة والبحريّة لتسهيل المواصلات. والجهة الغربيّة تحتوي هي الأخرى على العديد من الطّرق البحريّة والنّهريّة التي ربطت بين مناطق استقرار المسلمين غرب الأندلس ومن أهمّها:

- **الطّريق السّاحليّ المُمتدّ من اشبيلية إلى رأس القديس فينسون** (Cap Saint-Vincent)، وهي طريق بحريّة وبريّة في الوقت نَفْسِه، استخدم في نقل البضائع، فعرف نشاطا طوال الفترة الإسلاميّة.
- **الطّريق البحريّة الغربيّة** انطلاقا **من رأس القدّيس فينسون ووصولا إلى نهر منديغو**، حيث مع انتهاء تهيئَةِ قصر أبي دانس وتطوّر لشبونة، حَظِيَت هذه الطّريق بأهمّيَةً بالغة ولعبت دورا هامّا في نموّ العلاقات التّجاريّة مع شمال إفريقيا، لاسيما منذ القرن الحادي عشر الميلاديّ. وعلى أيّ حال، يُعَدُّ تطوّر المناطق السّاحِليّة إحدَى الحركات الكبرى التي ميَّزت فترة وجود المسلمين[1].

هذا وعرف غرب الأندلس طرقا نهريّة مثل:

- **طريق نهر يانة:**

نهر يانة هو من الأنهار الصّالحة للملاحة تقع على ضفافه حواضر غرب الأندلس الكبرى ويذكر الإدريسيّ أنّه " **يأتي من مروج فوقها فيمرّ بقرية يانة إلى قلعة رباح**

[1] - Cristophe Picard : op , cit , p.176

ثمّ يصير منها إلى حصن أرندة ومنه إلى ماردة ثمّ يمرّ ببطليوس ثمّ إلى حصن ميرتلة فيصبّ في البحر المظلم " [1] ، وقد ساهم هذا النّهر في نقل البضائع المرسلة من مختلف مناطق الأندلس باتّجاه الجهة الغربيّة ممّا أدّى إلى كثرة حركة السّفن به[2] من داخل وخارج الأندلس ، وقد ذكر ابن سعيد المغربيّ أنّ مراكب الإفرنج الكبار كانت تستخدم هذا النّهر لإيصالها إلى إشبيليّة [3] ، لذلك فإنّ دوره كان تجاريّا بالدّرجة الأولى .(انظر الخريطة المرافقة).

- **طريق نهر تاجة:**

نهر تاجة هو نهر يربط أواسط الأندلس بالسّاحل الأطلسيّ، حيث ينبع من الجبال المتّصلة بقلعة ألبونت مرورا بطليطلة ثمّ طلبيرة ثمّ يتّجه إلى الجهة الغربيّة نحو شنترين ثمّ لشبونة ليصبّ هناك في المحيط، يقول الحميريّ عنه: " **نهر عظيم يشقّ طليطلة. يخرج من بلاد الجلالقة، ويصبّ في البحر الرّوميّ**" [4] . حدّد الإدريسيّ سعته بستّة أميال [5] ، لذلك فإنّه من الطّرق النّهريّة التي ساهمت في نقل الأشخاص

[1] – الإدريسيّ: المصدر السّابق، ص. 550.

[2] – عبّر الإدريسيّ عن ذلك بقوله: " من شاء المسير من قرطبة إلى إشبيلية ركب المراكب وسار صاعدا في النّهر " . انظر : المصدر السّابق ، ص. 574 .

[3] – ابن سعيد المغربيّ : بسط الأرض في الطول والعرض ، تحقيق : خوان قرنيط خينيس ، معهد مولاي الحسن ، تيطوان ، المغرب ، 1958 م ، ص.100 .

[4] – الحميريّ: المصدر السّابق،ص.62.

[5] – الإدريسيّ: المصدر السّابق،ص.547.

والسّلع بواسطة السّفن ذات الحجم المتوسّط وساهم في ربط مناطق الجهة الغربيّة والتّواصل بين مدنها .(لاحظ موقعه على الخريطة المرافقة).

إنَّ الطُّرُقَ التي سبق ذِكْرُها سواء بريّة أو بحريّة كان لها دور فعّال في الرّبط بين معظم الحواضر الغربيّة الكبرى حيث تتفرّع عنها طرق ثانويّة ساهمت بدورها في الوصول إلى المدن الصّغيرة والقرى وحتّى القلاع والحصون، لذلك فقد سهّلت حركة الانتقال بين مختلف المناطق الغربيّة دون عناء. هذا ناهيك عن الدّور التّجاريّ الذي لعبته في الوصل بين شرق الأندلس وغربها كما فتحت المجال لتنشيط التّجارة خارج الأندلس. فبفضلها يتمكّن القارئ من فهم وتفسير تنظيم الاستيطان الإسلاميّ غرب الأندلس؛ أين ساهمت التّغييرات الكبرى التي تمَّ إجراؤُها على الطُّرُق خلال العهد الإسلاميّ في تطوُّرِ كبير للشّبَكَةِ الحضريّة.

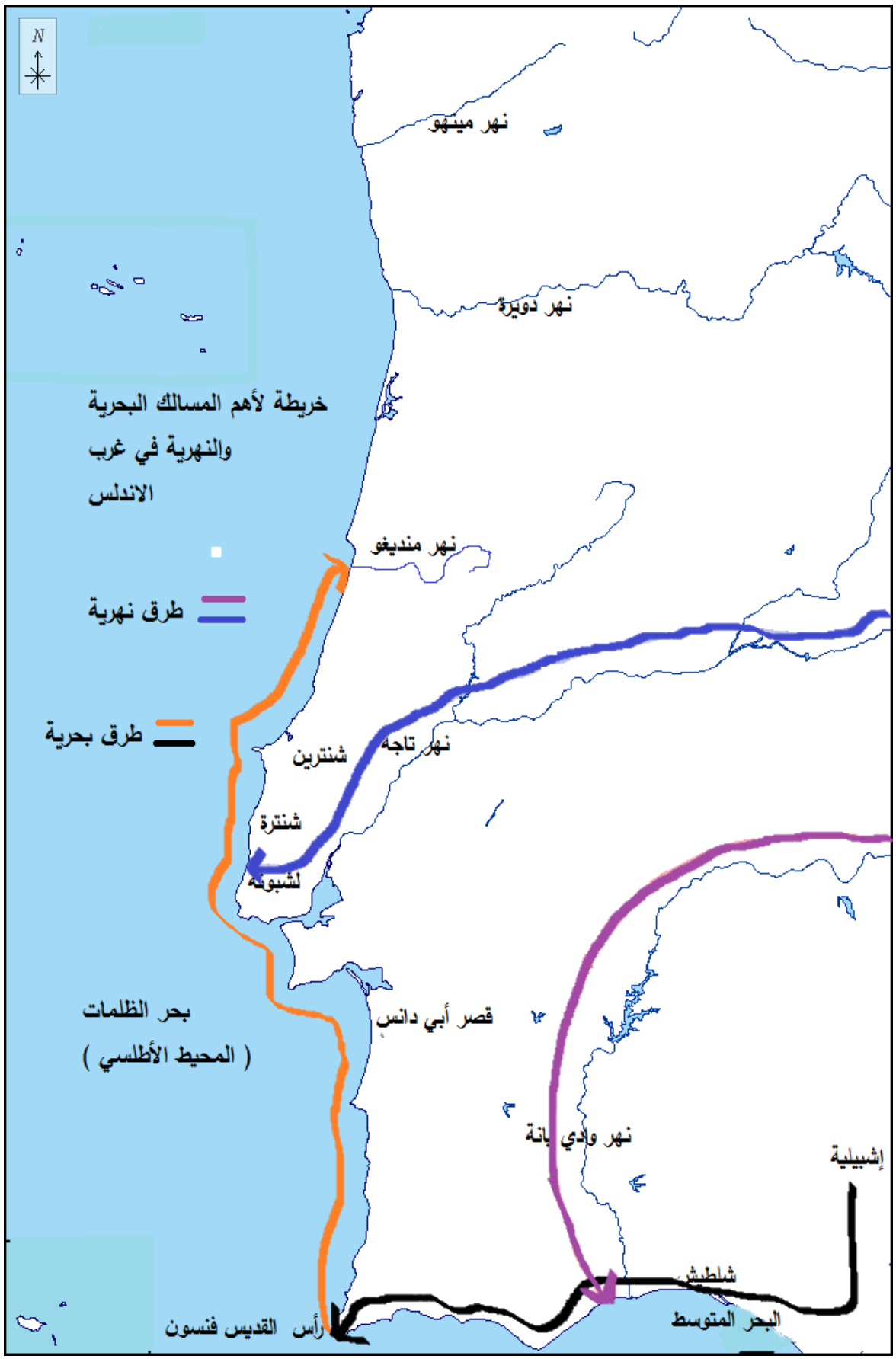

خريطة تبين أهم المسالك البحرية والنهرية في غرب الأندلس

3. المراكز الحضاريّة في غرب الأندلس

تعدّ المراكز الحضاريّة من المعالم الرئيسيّة التي تشهد على تاريخ المناطق التي تنتمي إليها. وقد أولى المؤرّخون المسلمون أهمّية كبيرة لدراستها، بدليل أنّ الإخباريّين العرب استرسلوا في وصف هذه المناطق من كلّ النّواحي أثناء تحدّثهم عن سير الأعلام أو أخبار الملوك. وما يهمّنا في هذا المقام، التّركيز على المراكز الحضاريّة التي اشتهرت في غرب الأندلس خلال العهد الإسلاميّ. حيث أنّ هذه المراكز اختلفت أهمّيتها ومكانتها عند دخول المسلمين، منها من بقيت على حالها، ومنها من ضعف دورها عمّا كان عليه سابقا. هذا إلى جانب بروز أخرى جديدة ساهم المسلمون في تشييدها، فأخذت الرّيادة في أحداث المنطقة. فالشّبكة الحضريّة لغرب الأندلس لم تبق على حالها، عند مجيء المسلمين، وإنّما عرفت تطوّرات منذ دخولهم.

- **ماردة Merida**: لقد كانت ماردة من النّماذج التي تراجع دورها وأهميّتها في غرب الأندلس بعد دخول المسلمين. اشتهرت بقوّتها خلال العصر الرّومانيّ، حيث وصفها الرّحالة الجغرافيّون العرب " **بأمنع المناطق في الغرب، وبكثرة آثار الملوك الذين نزلوا بها** " [1]. ويعود تأسيس هذه المدينة إلى العهد الرّومانيّ أثناء حكم الإمبراطور Octave Augusteسنة 25 ق.م ، حيث أضحت عاصمة لإقليم لوزيتانيا Lusitania، وأطلق عليها

[1] – الحميريّ: المصدر السّابق، ص. 175 .
– أبو عبيد الله البكريّ: المصدر السّابق ، ص. 393 .

اسم Augusta Emrita[1] . ولقد دلّت الآثار الرّومانيّة التي لازالت متواجدة إلى يومنا هذا على أهمّية هذه المدينة خلال العهد الرّومانيّ[2]. كما أصبحت كذلك عاصمة للسّويف Suéve ثمّ القوط الغربيّين Wisigothique[3]، هذا ناهيك عن اتّخاذها مركزا للمقاومة المسيحيّة ضد الآريوسيّة [4] . و لمّا وصل الفتح الإسلاميّ إلى شبه الجزيرة الإيبيريّة ، كانت ماردة من بين المدن الهامّة التي عني المسلمون بفتحها [5]نظرا لمكانتها الهامّة في المنطقة [6]وحسب ما أوردته المصادر التّاريخيّة فإنّ ماردة بدأت تضعف مكانتها تدريجيّا عمّا كانت عليه سابقا خلال العهدين الرّوماني والقوطيّ ، والسّبب راجع إلى هروب معظم سكّانها المسيحيّين بما فيهم رجال الدّين إلى جلّيقيّة [7]بعد أن فتحها المسلمون حتّى أصبحت خاليّة من أيّة أهميّة دينيّة أو ثقافيّة لأنّ أولئك الأساقفة كانوا مصدر أهميّتها [8]. تحوّلت ماردة بعدها إلى ملاذ للثّوّار الذين رفضوا الحكم الأمويّ سواء من المولّدين أو البربر وحتّى من

---

[1]– فرانشيسكو قوديرا : المرجع السّابق ، ص.5

[2] – تضم تلك الآثار جسرا كبيرا يطلّ على وادي يانة، مدرج وكذلك مسرح.. انظر: المقال المنشور من طرق منظمة اليونيسكو:

Ensemble archéologique de Merida , Whc , Unesco .org.

[3] - ibid

[4]- Cristophe Picard: op , cit , p . 184.

[5] – خضعت للمسلمين سنة 94 هـ / 713 م. ابن عذاري: المصدر السّابق، ص. 14، 15.

[6] – مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السّابق، ص. 25، 26.

[7]– حيث أقيم السّلام في ماردة بشرط أن تكون ممتلكات الذين قتلوا وأولئك الذين هربوا إلى جليقيّة للمسلمين وأموال الكنائس لموسى. انظر:

– مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السّابق، ص.26.

[8]- Cristophe Picard: op , cit , p.184 , 185 .

العرب [1]. وما زاد من تراجع مكانة ماردة هو قيام أحد الثّوار المدعو ابن مروان الجلّيقيّ ، الذي كان والده حاكما لماردة[2]، بتأسيس مدينة جديدة هي بطليوس Badajoz الأمر الذي جعل كلّ الأنظار تتّجه إليها . فبقيت ماردة بنفس الوضع حتّى استرجعها المسيحيّون.

- **باجة Beja** :من بين المدن التي عرفت بها الجهة الغربيّة لشبه الجزيرة الأيبيريّة هي باجة التي تعدّ ،هي الأخرى، من المدن القديمة ، فقد ذكر أنّها بنيت " **أيّام الأقاصرة وأنّها من أقدم مدن الأندلس بنيانا ، وأوّلها اختطاطا** ..."[3] . كانت باجة خلال العهد الرّومانيّ تسمّى Pax Julia ثم Pacaخلال العهد القوطيّ[4]. وعند مجيء المسلمين إلى شبه جزيرة إيبيريا، كانت من بين المناطق التّي سيطروا عليها في البداية سنة 94 هـ / 713م.

لم تفقد باجة أهمّيتها بسرعة مثل ماردة، بل استمرّ ذكرها في المصادر الإسلاميّة ولعبت دورا هامّا في أحداث المنطقة. فقد كانت من الكور المجنّدة التّي نزل بها جند مصر في القرن الثّامن الميلاديّ، ومنطلقا لمعارضي الحكم الأمويّ وعلى رأسهم العلاء بن مغيث

---

[1]– ومن الثّورات ثورة أهل ماردة سنة 213هـ/828م، التي بدأها رجل بربريّ يُدعى محمود بن عبد الجبّار بن راحلة، للتّفاصيل، انظر :

– ابن القوطيّة: المصدر السّابق، ص. 67

– ابن عذاري: المصدر السّابق، ص. 126؛

– ابن خلدون : المصدر السّابق، ج4، ص. 165. ، وثورة **عبد الرحمان بن مروان** المعروف **بالجليقيّ** بماردة ، انظر : الفصل الثّاني

[2]– ابن عذاري : المصدر السّابق ، ص . 126 .

– ابن خلدون : المصدر السّابق ، ص.165 .

[3] : الحميريّ : المصدر السّابق ، ص.36 .

[4]- S.Masias , Suzana Gomez y c.Torres : Las Ciudades del Garb al-Andalus , Diputacion de Toledo , 2007 , p.120

اليحصبيّ ، رئيس الجند بباجة، الذي قام بالدّعوة للعباسيّين [1] ، واستطاع عبد الملك بن أبي الجواد الاستقلالَ بها عن الحكم الأمويّ[2] ، ورغم كلّ تلك التّمرّدات تمكّن الأمويّون، بعد محاولات حثيثة ، من تثبيت تواجدهم بها ، خلال عهد عبد الرّحمان الثّالث[3].

لمّا سقط الحكم الأمويّ في الأندلس تراجع ذكر باجة في المصادر العربيّة مقارنة بمدن أخرى قريبة منها مثل : شلب وبطليوس وقصر أبي دانس ، وربّما كانت هذه هي الإشارة الأولى لبداية ضعف هذا المركز الحضريّ[4]. تمّ تأكيد ذلك لمّا ظهرت عواصم ملوك الطّوائف خلال القرن الحادي عشر الميلاديّ، فباجة لم تكن مقرّا لأيّ سلطة مستقلّة. كما يعود تراجعها الكبير إلى ظهور مدن أخرى قريبة من موضعها الحدوديّ بين إشبيليّة، شلب ، بطليوس[5].

سيطر على باجة العبّاديون ، ثمّ المرابطون والموحّدون ، إلّا أنّ المدينة زاد تراجعها عمّا كانت عليه بدليل أنّها لم تذكر إطلاقا خلال الحملات التي قام بها القائد المرابطيّ سير بن أبي بكر على الجهة الغربيّة سنة 487 هـ / 1094 م وبعدها سنة 539 هـ/ 1111 م[6].

[1]– ابن عذاري : المصدر السّابق ، ص.52 ، ابن الخطيب : المصدر السّابق ، ص.9 ، الحميري : المصدر السّابق ، ص.34 .

[2]– ابن عذاري : المصدر السّابق ، ص . 135 .

[3]– المصدر نفسه ، ص.199 – 201 .

[4] - وقد أرجعتها الأبحاث الأثريّة إلى القرن العاشر الميلاديّ , اطلع على:

-S.Masias , Suzana Gomez y c.Torres : op ,it , p .120

[5] - Cristophe Picard : op , cit , p.188

[6] -ibid

وممّا يجب التّنويه إليه ، أنّ باجة عرفت منتصف القرن الثّاني عشر الميلاديّ بروزا من جديد في الجهة الغربيّة عندما خضعت لسيطرة بني قاسي الذين جعلوها مركزا لهم ، إلّا أنّ هذه القوّة لم تدم طويلا فسرعان ما تعرّضت لهجمات خيرالدو سيمبافور وملك البرتغال ألفونسو هنريكز حتّى سقطت في أيديهم سنة 1175 م /570 هـ[1].

رغم أفول نجم باجة إلّا أنّها تعدّ من المدن الهامّة في غرب الأندلس لما اشتهرت به من معالم حضاريّة وفكريّة، ساهمت في إنجازاتها الأسر العربيّة التي أقامت بها وأنجبت شخصيّات هامّة في هذا المجال. من بينهم نذكر : عشيرة المعافريّين التي أقامت بها منذ الفتح ، وقد زوّدت هذه العشيرة قرطبة بالعديد من القضاة أمثال محمد بن بشر الذي يعدّ من ألمع المفكّرين في عصره ، تولّى منصب قاضي قرطبة ، رحل إلى المشرق وأقام مع مالك بن أنس فتأثّر به[2] ، ولماّ عاد إلى الأندلس كان من الأوائل الذين شجّعوا على إدخال المذهب المالكيّ هناك[3]. كما اشتهرت باجة بالفقه ، فهناك من رجّح وجود مدرسة للفقه بها، سيّرها بنو الباجيّ وعلى رأسهم أبو الوليد الباجيّ شارح الموطّأ [4] ، ومن فقهائهم كذلك أبو عمرو يوسف بن جعفر الباجيّ الذي تولّى قضاء مدينة حلب ، ثمّ رجع إلى الأندلس فكان

[1] – ابن عذاري: المصدر السّابق، ص. 128.

[2] – الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ج1 ، دار الكاتب العربي ، 1967 ، ص.62.

[3]- Picard : op , cit , p254

[4] : **أبو الوليد الباجيّ:** هو الإمام العلّامة الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التّجيبيّ، الأندلسيّ، القرطبيّ، الباجيّ، القاضي وصاحب التّصانيف وإمام المالكيّة في عصره، ولد سنة 403 هـ ، أخذ العلم عن يونس بن مغيث ، ومكيّ بن أبي طالب ومحمد بن إسماعيل وعلم الحديث والفقه والكلام عن الحافظ أبي ذر ، من كتبه : المنتقى ، إحكام الفصول في أحكام الفضول . انظر: ابن خلكان: المصدر السّابق ، ج.2 ، ص.408 ، 409

من القضاة المميّزين عند حاكم سرقسطة المقتدر بن هود [1].إلى جانب الفقه اشتهرت باجة بعلوم أخرى وفي مقدّمتها الطّبّ ، وقد اشتهر في هذا المجال عبد العزيز بن مسلمة الباجيّ عرف بابن الحفيد، وخدم الخليفة المستنصر [2]. إلّا أنّ دورها الفكريّ بدأ في التّراجع منذ القرن الحادي عشر الميلاديّ، بسبب جذب إشبيليّة والمراكز الأخرى لرجال العلم والفقه في باجة، ومن الذين رحلوا عن المدينة عائلة بنو الباجيّ وبنو ملّاح الرّائدة في الأدب ليستقرّوا في مدينة شلب. لذلك فإنّ هناك صلة واضحة ومباشرة بين نشاط باجة الفكريّ ودورها السّياسيّ ، فغياب الدور السّياسيّ للمدينة خاصّة خلال القرن الحادي عشر الميلاديّ كان سببا مباشرا لانحدارها في المجال الثّقافيّ والعلميّ [3] .

- **أكشونبة:**

كانت الميناء الأكبر في العهد الرّومانيّ ومن المناطق الهامّة في العهد القوطي [4]، إلّا أنّها خلال الفترة الإسلاميّة شهدت ضعفا نسبيّا مقارنة بالمكانة التي احتلّتها من قبل . لمّا استولى عليها المسلمون خلال القرن العاشر الميلادي حوّلوا اسمها إلى شنتمريّة الغرب [5].حكمها بنو بكر ، وبنو هارون إلى غاية القرن الحادي عشر الميلاديّ، ورغم وفرة مواردها [6] إلّا أنّ مدنا

[1] – ابن سعيد المغربيّ: المغرب في حلى المغرب ، تح. شوقي ضيف، ج1، دار المعارف ،القاهرة ، ط.4 ، ص.405.

[2] – أبو العبّاس ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجيّ موفق الدين): عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، تحقيق: الدّكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص. 535

[3] - Cristophe Picard : op , cit , p.255 , 256 .

[4]- Oliveira Marques: op , cit , p. 84

[5] -S.Masias , Suzana Gomez y c.Torres : op , cit , p.123 .

[6] – انظر: الإدريسيّ: المصدر السّابق، ص. 543.

– ياقوت الحمويّ: المصدر السّابق، مجلد 4،ص.367.

أخرى فاقتها قوّة وأهمّية منها شلب[1]. عندما استولى العبّاديون على معظم أقاليم الغرب الأندلسيّ تراجعت مكانة أكشونبة وأضحت مدينة ثانويّة. بدليل أنّه في فتنة القرن الثّاني عشر الميلاديّ سيطر ابن محفوظ على شلب ونيبلة المجاورين لها، وتلقّب أميرا باسمهما، في حين لم تذكر شنتمريّة الغرب. ممّا يدل على الدّور الهامشيّ للمدينة خلال العهد الإسلاميّ.

- **بطليوس (Badajoz):**

تعدّ بطليوس من المدن المحدثة في شبه الجزيرة الأيبيريّة، على أساس أنّها لم تكن معروفة قبل الفتح الإسلاميّ[2]. اتّفقت المصادر العربيّة على أنّ عبد الرّحمان بن مروان، المعروف بالجلّيقيّ، هو الذي مصّرها[3].حيث شرع في تشييد المدينة الجديدة بعد أن تفاوض مع الأمير محمد بن عبد الرّحمان الأوسط على إنشائها ، ولمّا تولّى الحكم الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرّحمان الأوسط راسله لترسيم حدود بطليوس بشكل قانونيّ فقبل بذلك ، ثمّ طالب بإرسال عمّال لبناء المسجد والحمّامات بها حتى تتمكّن من منافسة المدن الكبرى الأخرى فقبل الأمير كلّ مطالبه [4].

[1] -Cristophe Picard : op , cit , p. 191 .

[2] – أشارت الأبحاث الأثريّة إلى وجود المنطقة منذ العصور القديمة وعاش فيها بعض الأهالي إلّا أنّها لم تكن مركزا حضريّا أو مدينة كبيرة كما في العهد الإسلاميّ،

International Dictionary of historic places , southern Europe , op , cit , p .72 .

راجع كذلك بحث الدكتورة : سحر عبد العزيز سالم : تاريخ بطليوس الإسلاميّة ، المرجع السّابق ، ص.138 _ 142 .

[3] – البكريّ: المصدر السّابق ، ص.393 .

– الحميريّ: المصدر السّابق، ص. 46 .

[4] – نفسه .

الملاحظ أنّ المباني التي طالب ابن مروان إنشائها (قصر، جامع، حمامات) تدلّ على رغبته في المكوث ببطليوس وقبوله الموالاة للسّلطة الأمويّة. وهكذا تأسّست بطليوس التي تمتّعت بموقع هامّ، كما أنّ حاكمها وخلفاءه تمكّنوا من جلب المولّدين إليها من ماردة ومناطق أخرى ، فزاد عدد سكّانها ومبانيها ، وتفوّقت بذلك على المدن الكبرى القريبة منها وعلى رأسها ماردة [1]. استمرّ نموّ بطليوس خلال العهد الأمويّ (القرن العاشر الميلاديّ) كعاصمة للمنطقة وكذلك خلال عصر الطّوائف كما أكّدته الأبحاث الأثريّة [2] . عانت بطليوس خلال الفترة المرابطيّة من اعتداءات المسيحيّين المتكرّرة عليها خاصّة من قبل ألفونسو هنريكز وحليفه خيرالدو سيمبافور اللّذان حاولا دخول القصبة من 1168 م إلى غاية 1170 م [3].

لمّا جاء الموحّدون أعادوا بناء قصبتها ورجعت إليها مكانتها السّابقة رغم بعض التقلّبات التّي حدثت خلال القرن الثّاني عشر الميلاديّ ، فكانت أحد أفضل نماذج الحواضر الإسلاميّة في ازدهار منطقة غرب الأندلس[4].

إلى جانب أهمّيتها السّياسيّة، عرفت بطليوس ازدهارا ثقافيّا وعلميّا خلال القرنين الحادي عشر والثّاني عشر الميلاديّ، بحيث أضحت من أهمّ المراكز العلميّة في غرب

[1] - International Dictionary of historic places, southern Europe,op, cit , p .73 .

[2] – أكد Valdés Fernandez من خلال أبحاثه أن المنطقة تم تدميرها نهاية القرن 11 م . انظر :

Vadlés Fernandez : La Alcazaba de Badajoz , i Hallazgos islamicos (1977 – 1982) y testar de la puerta del pelar , Excavaciones Arqueologicas en Espana , Ministerio de cultura , Direccion General de Bellas Artes y Archivos , Madrid , 1985, p .70-74 .

[3]– ابن صاحب الصلاة: المصدر السّابق، ص.312 _ 315

[4]- Cristophe Picard : op , cit , p.194

الأندلس، وذلك راجع بالأساس إلى حكّامها من أسرة بني الأفطس الذين اشتهروا بحبّ العلم والفقه ، كما عملوا على تشجيع الأدب والعلم ونشرهما بين ربوع بطليوس . وكان من بين أعيانها المساهمين في رقيّها المظفّر أبو بكر محمّد بن عبد الله بن مسلمة الذي اشتهر بتآليفه في شتّى العلوم، إلى درجة أن وصفه ابن بسّام بأديب ملوك عصره، مذكّرا أنّه ألّف كتابه المعروف بكتاب المظفّر في خمسين مجلّدًا، دون الاستعانة بأحد من العلماء[1].كما أنجبت بطليوس العديد من النّحويّين والأدباء أمثال: أبو محمد عبد الله بن محمد بن السّيّد البطليوسيّ النّحوي واللّغويّ صاحب التّصانيف والشّعر ، وكذلك أبو الوليد هشام بن يحيى بن حجّاج البطليوسيّ الذي ألقى دروسه في قرطبة ثمّ رحل إلى المشرق وهناك أخذ دروسا في مكّة والشّام ومصر ثمّ رجع إلى الأندلس، ويعدّ ابن الفرضيّ من الذين تعلّموا على يده [2].

ومن أعلامها كذلك الوزير الكاتب أبو بكر بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسيّ البارع في الأدب والشّعر، وفيه قال ابن بسّام : " **من أحد فرسان الكلام ، وحملة السّيوف والأقلام، من أسرة أخذوا العلم أوّلا عن آخر ورووه كابرا عن كابر**" [3]. وكنتيجة لهذا الاهتمام، المنقطع النّظير، من حكّام بني الأفطس للأدب والشّعر تحوّلت المدينة إلى مركز جاذب للشّعراء والأدباء من مختلف مناطق الأندلس، وبالأخصّ من الأقاليم الغربيّة. ومن بين هؤلاء نذكر : الشّاعر الأشبونيّ الكبير أبو زيد عبد الرّحمان بن مقانا الذي اختار بطليوس

[1] _ ابن بسّام : المصدر السّابق ، ص. 640 ، ابن عذاري : المصدر السّابق ، ج.3 ، ص. 236

[2] – ياقوت الحمويّ : المصدر السّابق ، المجلد 1 ، ص. 447 .

[3] – المصدر السّابق ، ص. 753 .

للاستقرار بها، بعد أن جال شتّى ربوع الأندلس [1] ، إضافة إلى شاعر البلاط الأفطسيّ(ابن عبدون) فرغم أنّه ولد وترعرع في يابرة إلّا أنّه فضّل العيش طويلا في خدمة أمراء بطليوس، من أعماله المشهورة قصيدته التي رثى فيها المتوكّل لمّا قتل غدرا أثناء حروبهم مع المرابطين[2] .

- **قصر أبي دانس (Al Cacer de Sal) :**

مدينة قصر أبي دانس لها هي الأخرى نفس الخصوصيّة التي رأيناها في بطليوس، فهي من الحواضر التي عرفت شأنا كبيرا بعد الفتح الإسلاميّ. رغم أنّ المدينة كانت موجودة منذ القديم إلّا أنّها لم تشغل حيّزا هامّا في الأحداث مثلما عاشتها في غرب الأندلس.

لقد كانت هذه المدينة تعرف في العهد الرّومانيّ باسم Salacia، وعند مجيء المسلمين خلال القرن الثّامن الميلاديّ بدأت تظهر أهمّيتها بعدما تعرّضت لهجمات النّورمان على السّاحل الغربيّ لشبه الجزيرة الإيبيريّة. منذ ذلك الحين ظهر الاهتمام الفعليّ بها من طرف الأمويّين، فبنوا بها حصنا لحمايتها من الهجومات الخارجيّة استقرّ فيه بعد ذلك بربر بني دانس خلال القرن التّاسع الميلاديّ فسمّيت المنطقة نسبة إليهم[3] ليستقلّ بها زعيمهم مسعود بن أبي دانس. تمكّن الأمويّون من استرجاع المنطقة خلال القرن العاشر

[1] – ابن بسّام : المصدر السّابق ، ص. 787 .

[2] –انظر القصيدة في : ابن بسّام: المصدر السّابق، ص. 689، 690 وص. 720 وما بعدها.

[3]– ذكر ابن حزم أن " بنو دانس بن عوسجة كانوا أصحاب قلنبيرة وإلى جدهم ينسب قصر أبي دانس في الجوف " إذا فاسم المدينة كانت نسبة إلى أبي دانس بن عوسجة المصمودي، انظر:

– ابن حزم: جمهرة أنساب العرب تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، ط.5 ، دار المعارف ، مصر ، ص.501

الميلاديّ(317 هـ / 929 م) ثمّ بذلوا جهودا مضنية لتأمينها من هجمات النّورمان حينما عاودوا مضايقتها فعمل الخليفة الحكم المستنصر على إعادة بناء الحصن بها سنة 970 م / 309 هـ[1]. وما زاد من أهمّية هذه المدينة تحويلها إلى قاعدة بحريّة وإنشاء حوض لبناء السّفن بها. فكان هذا القرار الذي اتّخذه ابن أبي عامر المنصور بمثابة الانطلاقة القويّة لها في نهضة هذه المدينة ، لتصبح من أهمّ موانئ السّاحل الغربيّ للأندلس ، لانفرادها بخاصيّة بناء السّفن [2]. استمرّ دورها الهام خلال عهد ملوك الطّوائف، ثمّ المرابطين، فشكّلت هذه المدينة مع لشبونة قوّة منقذة لمملكة بني الأفطس على المحيط، ليتعاظم دورها أثناء العهد الموحّدي بسبب استيلاء المسيحيّين على لشبونة سنة 1147 م / 342 هـ، فأصبحت مدينة قصر أبي دانس المقرّ الرّئيسيّ لانطلاق الهجومات الإسلاميّة ضدّ المسيحيّين على ساحل الأطلسيّ وهو ما جعل ملك البرتغال ألفونسو هنريكز يعمل جاهدا لاسترجاعها ، ولمّا استعصت عليه لجأ إلى الاستعانة بالأساطيل الصّليبيّة ، إلّا أنّه فشل في تحقيق مشروعه إلى أن حلّت سنة 1217م أين تمكّن ألفونسو الثّاني من دخولها بعد حصار طويل. منذ ذلك الوقت تغيّر اسم المدينة إلى Al Cacer de Sal وإلى يومنا هذا مازالت معالم العمارة الإسلاميّة بهذه المدينة شاهدة على ذلك العهد الزّاهر.

[1] – ابن عذاري: المصدر السّابق، ص.238، 239.

[2]- Cristophe Picard : op , cit , p.195 .

❖ يابرة Evora:

يابرة من المدن القديمة التي يعود ظهورها إلى العهد الرّومانيّ. استولى عليها القوط الغربيّون عندما غزوا شبه الجزيرة الإيبيريّة وظلّت خاضعة لسلطانهم إلى أن فتح المسلمون الأندلس وبسطوا سيطرتهم على أغلب أراضيها.

لم تكن يابرة ذات أهميّة كبيرة إلى غاية القرن العاشر الميلاديّ حيث عرفت نموّا سكّانيّا هامّا ووفرة في الإنتاج الزّراعيّ[1]. أمّا خلال القرن الحادي عشر الميلاديّ حكمها بنو الأفطس وفي عهدهم زادت أهميّة يابرة حيث اعتبرها الإدريسيّ من المدن الكبرى والمكتظّة بالسّكان الذين مارسوا الزّراعة والتّجارة [2]. في عهد الطّوائف أصبحت عاصمة مستقلّة لطائفة باجة ويابرة نظرا لأهمّيتها في المنطقة. استمرّ تطوّر يابرة إلى غاية الاستيلاء عليها من طرف المغامر خيرالدو سيمبافور سنة 1165 م / 560 هـ.

تعدّ يابرة من النّماذج الهامّة لنجاح العصر الإسلاميّ بالمنطقة ، وهي مازالت إلى يومنا هذا قبلة للزّوار والسّياح لما لها من آثار عربيّة على غاية من الأهميّة في متحف يابرة[3].

❖ شلب (Silves):

تعدّ شلب بلا شكّ من المدن الكبيرة التي نالت شهرة بمنطقة غرب الأندلس بعد إشبيليّة وبطليوس، لما عرفته من ازدهار في العهد الإسلاميّ. فقد وصفها الحميريّ بقوله: " **وهي**

[1]- Critophe picard :op, cit, p198.

[2] – المصدر السّابق، ص.544، 545.

[3]– انظر: محمد عبد الله عنان: المرجع السّابق، ص. 411، 412.

مدينة بقبليّ مدينة باجة، ولها بسائط فسيحة، وبطائح عريضة، ولها جبل عظيم كثيرة المسارح والمياه، وأكثر ما ينبت فيها شجر التّفاح. ولها غلّات وجنّات" [1] .المثير للانتباه أنّ شلب لم تكن قبل الفتح الإسلاميّ إلّا مدينة متواضعة وثانويّة جدّا في مجريات الأحداث، لذلك فإنّ مجدها تعزّز في العهد الإسلاميّ ، بعد أن استقرّ بها عدد غفير من السّكان أغلبهم ، حسب الإدريسيّ، عرب يمنيّون ذَوُوا لسان فصيح[2]. بدأت أهميّتها منذ القرن التّاسع الميلاديّ فقد كانت من الموانئ الهامّة التي صدّت هجمات النّورمان على السّاحل الغربيّ لشبه الجزيرة الإيبيريّة ، وفي أواخر العهد الأمويّ كانت شلب من أقوى مناطق أكشونبة [3].

عندما استولى عليها العبّاديون في القرن الحادي عشر الميلاديّ صارت ثاني مدينة بعد إشبيلّية بشهادة ياقوت الحموي الذي قال فيها : " **بلغني أنّه ليس بالأندلس بعد إشبيليّة مثلها** " [4].

لم تفقد هذه المدينة دورها الهام أثناء عهدي المرابطين والموحّدين خاصّة في المجالين البحريّ والاقتصاديّ، إذ كانت مشهورة بمنتجاتها الزّراعيّة وعلى رأسها التّين والجوز

[1]– الحميريّ: المصدر السّابق، ص.106.

[2]– الادريسي: المصدر السّابق،ص.543.

[3] –كشفت الأبحاث الأثريّة التي قام بها الأوروبيّون العديد من الأسرار حول هذه المدينة، فبالإضافة إلى المعلومات النّصيّة التي بينت أهميّة شلب الإسلاميّة فقد بينت المباني هي الأخرى عظمة المدينة في العهد الإسلاميّ ومن بينها المباني الشّاهقة للقلعة وأبراجها القويّة التي تحفظ المدينة جيّدا والتي يعود تاريخها إلى الخلافة الأمويّة وقد تمّ اكتشافها في الموقع الذي يتواجد به حاليا الكاتدرائيّة التي تعود للفترة الوسيطيّة ،

Rosa Varela Gomes : Silves une capitale du gharb al_andalus, les dossiers d’archeologie , N198 , Novembre 1994 , p.79

[4] – المصدر السّابق، المجلد 3 ، ص.357 .

والعنب[1]، إضافة إلى الدّور البحريّ فقد كانت منذ عهد ملوك الطّوائف من الموانئ الإسلاميّة الهامّة في المحيط الأطلسيّ.

عرفت ازدهارا ثقافيّا حتّى نهاية العهد الإسلاميّ بها، وذلك راجع لقوّتها السّياسيّة وكونها عاصمة كورة. فقد كانت من المدن الكبرى بعد إشبيليّة، ناهيك عن كثرة سكّانها سواء من العرب أو المولّدين، كما اشتهرت بالعائلات الكبرى التّي يرجع لها الفضل في ريادتها العلميّة، من بينهم بنو مزين الذين حكموا شلب، وقد عرفت هذه العائلة بالعديد من الشّخصيّات التّي برزت في شتّى الميادين العلميّة والفكريّة. نذكر منهم على سبيل المثال أبا الأصبغ الذي كان قاضيا للمدينة وابنه محمد بن الأصبغ الذي حكم شلب بعد وفاة والده ، اشتهر بكثرة معارفه [2]. كما كان لعائلات المولّدين نصيب كبير من الحركة الفكريّة والعلميّة التّي تميّزت بها شلب منهم أبو القاسم أحمد بن قاسي مؤسّس الحركة الصّوفيّة بالمنطقة ومحمد بن عمر بن المنذر الذي يعدّ من أبرز الشّخصيّات الفكريّة والإداريّة في شلب وهو أيضا من الزّهّاد المنتسبين للحركة الصّوفيّة [3] ، وقد ساهم هؤلاء في تسيير شلب خاصّة قضائيّا وإداريّا[4].

تواصل استقطاب شلب للعديد من الشّخصيّات بعد القرن الثّاني عشر الميلاديّ من باجة والمناطق المجاورة لها. ومع أنّها لم تتفوّق على إشبيليّة في هذا المجال إلّا أنّها تعدّ من

[1] – الإدريسيّ: المصدر السّابق،ص.543.

[2] – ابن عذاري: المصدر السّابق، ج.3، ص.297، 298.

[3] – ابن الآبار: المصدر السّابق، ج.2، ص.197 – 202.

[4]- Cristophe Picard : op , cit , p. 257 .

المراكز الثّقافيّة الهامّة في غرب الأندلس التي استمر تأثيرها إلى غاية سقوطها في يد المسيحيّين.

❖ لشبونة (Lisboa):

لشبونة (أشبونة) من المدن القديمة في شبه الجزيرة الأيبيريّة ، كانت معروفة على عهد الرّومان باسم Olisipo[1]، ظلّت هذه المدينة على الرّغم من موقعها الجغرافيّ الممتاز على ساحل المحيط الأطلسيّ ، ضعيفة الشّأن ، إلى أن انضوت تحت السّيادة الإسلاميّة ، منذ ذلك الوقت بدأ نجم المدينة يسطع في سماء منطقة غرب الأندلس ، كمدينة مزدهرة، جلبت إليها أنظار العديد من الجغرافيّين والرّحالة ، الذين كتبوا عن جمالها وخيراتها [2]. بما يوحي أنّ المدينة عرفت نموّا كبيرا بعد فتح المسلمين لها، وقد أكّد ذلك وصف المؤرخ الصّليبيّOsbern للمدينة حيث عبّر عن ذهوله بحجمها عند زيارته لها [3].

ترجع بداية تطوّر هذه المدينة إلى القرن التّاسع الميلاديّ فقد أثارت لشبونة انتباه المهاجمين النّورماند الذين حاولوا الاستيلاء عليها وهو ما جعل المسلمين يعملون على

---

[1]– محمد عبد الله عنان : المرجع السّابق ، ص.416 .

[2] – يذكر الإدريسيّ أنّها " **غنيّة بالحنطة ، ومشهورة بحصن المعدن ..**" . أمّا الحميريّ فيذكر أنها " **حسنة ممتدة مع النّهر ، بها سور وقصبة منيعة ..** " ، انظر :

– الإدريسيّ : المصدر السّابق ، ص. 547، 548 .

– الحميريّ : المصدر السّابق ، ص.16 .

[3] - Cristophe Picard : op , cit , p. 208

تحصينها [1]، وتقوية دفاعاتها لذلك عندما رجع النّورماند في القرن العاشر الميلاديّ لمهاجمتها فشلوا في اقتحامها [2].

تواصل الدّور الهامّ لمدينة لشبونة خلال عهد ملوك الطّوائف ثمّ المرابطين بعد أن أصبحت من أقوى القواعد المضادّة للهجمات البحريّة المسيحيّة. وبناء على ذلك ركّز البرتغاليّون كلّ جهودهم للاستيلاء عليها حيث تمّ وصفها من قبل Osbern على أنّها مكان استراتيجيّ وواحدة من أكثر المدن التي رآها ازدهارا [3]. هذا ناهيك عن تحوّل المدينة في القرن الثّاني عشر الميلاديّ إلى مكان تجاريّ نشيط، وانتشار المراكز الحرفيّة لوفرة المعادن بالمنطقة، فكانت من أهمّ الموانئ الأندلسيّة. رغم أنّ المدينة تمّ استرجاعها إلى كنف المسيحيّين سنة 1147 م بزعامة الملك البرتغاليّ ألفونسو هنريكز [4].إلّا أنّها حافظت على مكانتها وازدهارها، حيث عرفت إقبالا للشّعراء والعلماء والفقهاء. من أعلامها العالم إبراهيم بن هارون بن خلف بن عبد الكريم المصموديّ الذي درس في قرطبة ويقال أنّه مكث أربعين سنة في طلب العلم [5] ، كما اشتهر الشّاعر ابن مقانا الأشبونيّ ، وقد ورد في الذّخيرة أنّ شعره يدلّ على أدبه الغزير ، عرف بالعديد من القصائد أبرزها تلك التي ألقاها على الخليفة

[1]– أكّدت الأبحاث الأثريّة وجود تحصينات بالمنطقة منذ إقامتها خلال العهد الأمويّ أثناء هجمات النّورماند ، اطّلع على: S.Masias , Suzana Gomez y c.Torres : op , cit , p .119

[2] – ابن عذاري : المصدر السّابق ، ص.238 ، 239 .

[3]-Cristophe Picard : op , cit , p. 208

[4] - Denis : op , cit , p.91

[5] – ابن الفرضيّ : تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، المجلد 3 ، دار الكتاب المصريّ ، القاهرة ، ط.2 ، 1989 م ، ص.50 ، 51 .

ابن حمّود[1]. ومن أدباءها كذلك أبو الحسن علي بن إسماعيل القرشيّ الأشبونيّ الذي كان يشبّه بأبي العتاهية[2].

ازدادت شهرة لشبونة في الجانب الفكريّ بعد وصول العديد من الأدباء رفيعي المستوى إلى المدينة من المناطق المجاورة منهم: أبو محمد بن هود الجذاميّ من أمراء سرقسطة وأنجب أدباءها[3]، وكذلك الفقيه المحدّث سعدون بن مسعود المراديّ الذي ترجع أصوله إلى نيبلة، عاش فترة طويلة في لشبونة قبل أن يتمّ تعيينه قارئا للقرآن من قبل المعتمد بن عبّاد[4].

ممّا سبق، يمكن القول أنّ لشبونة منذ القرن الحادي عشر الميلاديّ، وبعد بروزها السّياسيّ والعسكريّ شهدت تفوّقا علميّا وفكريّا وأصبحت من المراكز المقصودة بكثرة من العلماء والأدباء.

❖ شنترين (Santarem):

تعدّ شنترين من المدن التي عاشت تقدّما ملحوظا خلال الفترة الإسلاميّة مقارنة بالعهدين الرّومانيّ والقوطيّ. عرفت باسم Scalabis خلال الفترة الرّومانيّة ، تغيّر اسمها إلى SantaIria أثناء حكم القوط ، ثمّ إلى شنترين بعد دخولها تحت حكم المسلمين[5] . يعود تطوّر المدينة منذ القرن الثّامن الميلاديّ إلى عاملين رئيسيّين: العامل الأوّل موقعها

[1] – انظر : ابن بسّام الشنتريني : المصدر السّابق ، المجلّد الثّاني ، القسم الثّاني ، ص. 786 _ 790 ، وكذلك :
– ابن سعيد المغربيّ : المصدر السّابق ، ص. 413 .ذ

[2]– ابن بسام الشنتريني : المصدر السّابق ، ص.797 .

[3] – المصدر نفسه ، ص.803 ، ابن الآبار : المصدر السّابق ، ج.2 ، ص.165 ، 166 .

[4] – الضبيّ : المصدر السّابق ، ص. 315 .

[5] - S.Masias , Suzana Gomez y c.Torres : op , cit , p .120

الحصين الذي ساهم في صدّ الهجمات المسيحيّة التي استهدفت على فترات متواصلة جنوب غرب الأندلس، حيث لعبت المدينة دورا عسكريّا هامّا لردّ العدوان الصّليبيّ ، ويشهد على حصانة موقعها الإدريسيّ بقوله : " **وشنترين على جبل عال كثير العلوّ** "[1] ، وأيضا ياقوت الحمويّ بقوله : " **إنّها متّصلة بأعمال باجة في غربي الأندلس، وهي حصينة** " [2].

أمّا العامل الثّاني الذي ساهم في بروزها كمدينة مزدهرة تعجّ بالحياة هو غناها بالموارد الزّراعيّة وكثرة البساتين، نلمس ذلك من قول الإدريسيّ: " وشرب أهلها من مياه عيون ومن ماء النّهر أيضا ولها بساتين كثيرة وفواكه "[3]. ونظرا للعاملين السّابقين اللّذين تمتّعت بهما شنترين سعى البرتغاليّون جاهدين للاستيلاء عليها فنجحوا في ضمّها. ورغم محاولة الموحّدين استرجاعها وخروج الخليفة أبي يعقوب يوسف بنفسه لحصارها غير أنّهم فشلوا في ذلك .[4]

ولا يفوتنا أن ننوّه، ببروز هذه المدينة في المجال العلميّ والفكريّ حيث من أعلامها الأديب الأندلسيّ الشّهير أبو الحسن بن بسّام التّغلبيّ الشّنتريني صاحب الموسوعة المعروفة بالذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الذي كتبها قبل سقوط مدينته شنترين بأعوام قليلة، ارتحل

[1]– الادريسي : المصدر السّابق ، ص. 550 .

[2] – ياقوت الحموي : المصدر السّابق ، المجلد 3 ، ص.367 .

[3] –الإدريسيّ : المصدر السّابق ، ص.550 ، وانظر كذلك :

– الحميريّ : المصدر السّابق ، ص.113

[4]- cristophe picard : op , cit , p.212

بعدها إلى قرطبة ثمّ إشبيليّة وهناك صاغ ورتّب موسوعته المليئة بالتّراجم والأشعار وهي تتكوّن من سبعة أجزاء.

❖ شنترة Cintra:

شنترة من مدن غرب الأندلس ، ذكرت في المصادر الإخباريّة العربيّة على أنّها تابعة للشبونة [1]. اشتهرت بحصانتها وغناها بالمحاصيل الزّراعية. وصفها الحميريّ بقوله: " **لها حصنان في غاية المنعة..، هي أكثر البلاد تفاحا وكذلك الكمثري** " [2].

لعبت شنترة دورا دفاعيّا هامّا في المنطقة ضدّ هجمات النّورماند منذ القرن التّاسع الميلاديّ ، وهذا ما أثبتته الحفريّات الأثريّة حيث أظهرت وجود قلعة إسلاميّة كبيرة لمراقبة السّاحل البحريّ إلى الشّمال [3]. كما أنّها كانت تستعمل كقلعة صامدة في وجه هجمات المسيحيّين على عهد بني الأفطس طيلة القرن الحادي عشر الميلاديّ. ومن خلال ما ذكرته بعض المصادر المسيحيّة التي تعود إلى القرن الثّاني عشر الميلاديّ، فإنّ ملك (النّورماند) عندما كان في طريقه إلى إيطاليا هاجم شنترة ما يثبت أنّها كانت من المعاقل التي لعبت دورا في التّصدّي للمسيحيّين[4] .

[1] – ياقوت الحمويّ : المصدر السّابق ، المجلد 3 ، ص. 367 .

[2] – الحميريّ: المصدر السّابق ، ص. 112 ، 113 .

[3] - Cristophe Picard : op , cit , p. 215 .

[4]- ibid .

❖ولبة (Huelva) وجزيرة شلطيش (Ile Saltes):

تقع ولبة (Huelva) وجزيرة شلطيش (Ile Saltes) في الجزء الجنوبيّ من غرب الأندلس عند مصبّ نهري أوديل OdielوتينتوTintoالحاليّين. وهما مدينتان قريبتان من بعضهما البعض، وقد وضّح الإدريسيّ ذلك بقوله : " **ولبة مطلة على جزيرة شلطيش**"[1].

عرفت ولبة خلال العهد الرّومانيّ والقوطيّ باسم Onuba أو Onoba ثمّ تغيّر اسمها بمجيء المسلمين إلى ولبة. أمّا شلطيش فقد سمّيت بهذا الاسم منذ القديم[2]. كما اشتهرت المنطقتان بالنّشاط التّجاريّ البحريّ لوقوعهما قرب المحيط إضافة إلى إنتاج الحديد، يقول الإدريسيّ: "**ولبة مدينة صغيرة متحضرة.. بها أسواق وصناعات. ومدينة شلطيش لها سوق وبها صناعة الحديد الذي يعجز عن صنعه أهل البلاد. وهي صنعة المراسي التي ترسى بها السّفن** "[3]. هذا إلى جانب غناهما بالثّروات الزّراعيّة وصيد الأسماك، وهو ما جعل موانئ المدينتين تزدهر تجاريّا وتخصّص كأمكنة للتّوقف وإصلاح الأعطاب التي تلحق بالسّفن. أرجع الباحثون نموّ هذا النّشاط ابتداء من القرن العاشر الميلاديّ[4]، ومازاد من بروزهما هو استقلالهما خلال عهد الطّوائف عن السّلطة الأمويّة . في منتصف القرن الحادي عشر ألحقت المدينتان إلى أملاك الأسرة العبّاديّة ممّا ساهم في ازدهارهما أكثر عمّا كانا عليه سابقا، وفي ذلك شهادة للحميريّ: " **اتّخذت في الفتنة مدينة**(يقصد جزيرة شلطيش)

[1] – الإدريسيّ: المصدر السّابق ، ص، 541، 542 .

[2] –Cristophe Picard : op , cit , p.204 .

[3] – الادريسي: المصدر السّابق ، ص، 541، 542 .

[4]–Cristophe Picard : op , cit , p.204, 205 .

لها أرباض واسعة وآبار واسعة ، وبساتين حسنة " [1]. كما أظهرت الدّراسات الأثريّة أنّ المنطقة كانت ميناء به أدوات ممّا يشير إلى وجود نشاط بها وهو ما بيّنته المصادر المسيحيّة والإسلاميّة. فالحميريّ ذكر أنّ شلطيش كانت مرفأ وبها دار لصناعة السّفن [2] ، في حين ورد في تاريخ Copostellana أنّ شلطيش كانت ميناء بحريّا تجاريّا ونقطة انطلاق الهجمات البحريّة لبني ميمون أوائل القرن الثّاني عشر الميلاديّ[3]. استمرّ دور المنطقتين كمركز بحريّ إلى غاية سقوطهما في يد المسيحيّين.

ما يجعلنا نقول أنّ ولبة وشلطيش تعتبران من النّماذج الحضريّة الهامة التي عرفت ازدهارا اقتصاديّا بإقليم غرب الأندلس فاق كلّ المدن الأخرى.

❖ ميرتلة (Mertola):

تعدّ ميرتلة كذلك من الحواضر التي شهدت تطوّرا هامّا خلال العهد الإسلاميّ، والسّبب في ذلك راجع لعاملين رئيسيّين، الأول: موقعها الحصين والاستراتيجيّ بالقرب من وادي يانة والوادي الكبير ساعدها في الحفاظ على قوّتها، وهذا ما نلمسه من قول الحميريّ: **هي مدينة بالأندلس شرقي باجة، على وادي آنة. وهي حصن أوّلي فيه آثار قديمة** " [4]، وكذلك في قول الإدريسيّ: **حصن ميرتلة مشهور بالمنعة والحصانة** "[5]، هذا وأثبتت الأبحاث الأثريّة أنّ المدينة في العهد الإسلاميّ زادت تحصيناتها[6]. أمّا العامل الثّاني الذي زاد من شهرتها

[1] – الحميري : المصدر السّابق،ص.111.

[2] – نفسه.

[3]- Cristophe Picard : op , cit , p.206 .

[4] – الحميري : المصدر السّابق ، ص. 191 .

[5] - الادريسي : المصدر السّابق ، ص. 542 .

[6]-c torres : Museo de Mertola : o castelo , catalogo, Campo Arqueologico de Mértola , 1991 , p.14

بالمنطقة هو النّشاط الاقتصاديّ، فوقوعها بالقرب من مصادر المياه (وادي يانة وكذلك الوادي الكبير) جعلها تساهم بشكل كبير في عمليّة التّبادل التّجاريّ البحريّ بين مناطق شمال الأندلس وجنوبها وحتى مع مناطق شمال إفريقيا. من البضائع التي كانت تقوم بتصديرها المحاصيل الزّراعية والخزف (لاحظ الصورتين)[1] إضافة إلى المعادن [2] .

[1] - تمّ الكشف عن بقايا العديد من القطع الخزفيّة والأواني التي دّلت على تطوّر الصّناعة اليدويّة والفنّ في العهد الإسلاميّ ، راجع :

- Museu de Mértola , (catalogo geral), cordenaçao : Susana Gomez Martinez, campo Arqueologico, Mértola ,2014 , p.76

[2]- s. Macias :Mértola Islamica –Estudo Historico – Arqueologico do bairro da Alcaçova (séculos 12 – 13) Campo Arquéologico de Mértola , 1996 , p. 38 / picard ; op , cit , p . 207

الصّورتان تمّ التقاطهما من طرف الباحث الأثريّ البرتغاليّ S.Masias من متحف ميرتلة (الجناح المخصّص للفنّ الإسلاميّ) ، نشرهما في : - Museu de Mértola , (catalogo geral), cordenaçao : Susana Gomez Martinez, campo Arqueologico, Mértola ,2014 , p. 76 ,106

ممّا سبق، نلاحظ أنّ المراكز الحضريّة في غرب الأندلس اختلفت عمّا كانت عليه سابقا قبل الفتح الإسلاميّ. فمنها ما عرف تراجعا بعد مجيء المسلمين وهذا ما لاحظناه في ماردة. في حين نجد أنّ مدنا أخرى عرفت تطوّرا ودورا هامّا أثناء العهد الإسلاميّ رغم أنّها لم تكن معروفة سابقا مثل: بطليوس. لذلك فإنّ غرب الأندلس خلال العهد الإسلاميّ عرف نموّا كبيرا في الشّبكة الحضريّة ميّزته عن باقي العصور، وذلك لا يرجع فقط للمتغيّرات السّياسيّة والعسكرية وإنّما تعدّاه للتّطوّرات الاجتماعيّة والاقتصاديّة التي شهدتها المنطقة في عهد المسلمين.

4. حياة المسلمين الصّعبة في مملكة البرتغال بعد الرّوكنكيستا.

بعد أن حكم المسلمون غرب الأندلس لأزيد من خمسة قرون، نجح المسيحيّون في استرجاع المنطقة تدريجيّا، وبحلول القرن الثّاني عشر الميلاديّ كثّفت مملكة البرتغال هجماتها العسكريّة حتّى حقّقت هدفها المنشود منتصف القرن الثّالث عشر الميلاديّ واسترجعت كلّ الأراضي التي كانت بيد المسلمين، لم يستطع بعض المسلمين الخروج من غرب الأندلس، وفضّلوا البقاء هناك. في هذا العنصر سوف نحاول استقراء الأحداث لفهم مصير هؤلاء المسلمين الذين قدّر الله لهم البقاء في اسبانيا وكيف كانت معاناتهم بعدها، مع الإشارة إلى أنّ بحثنا هذا سينصبّ بالخصوص على حياة المسلمين في مملكة البرتغال.

- **اندماج المسلمين في مملكة البرتغال**

لم يكن انتهاء الوجود السّياسيّ للإسلام في غرب الأندلس نهاية لخروج كل العناصر المسلمة، بل بقيت فئة منهم تعيش في مملكة البرتغال في وضع جديد، وتحت ظروف مغايرة سواء دينيّا أو قانونيّا. أطلق بعض المؤرّخين على المسلمين الذين عاشوا في كنف القانون المسيحيّ بعد سقوط الحكم الإسلاميّ لمناطقهم اسم المدجّنين Les Mudéjares[1] ، انتشروا في كامل شبه الجزيرة الإيبيريّة، وبالأخصّ في قشتالة وأراغون ونافار وبلنسيّة.

ما يجب الإشارة إليه، أنّ الدّراسات حول هذه الفئة في مملكة البرتغال جدّ قليلة مقارنة ببلنسيّة والمناطق الأخرى، رغم أنّ البرتغال انطلقت، هي الأخرى، في حركة الاسترداد في نفس الفترة التي بدأت فيها الممالك الاسبانيّة تلاحق المسلمين وتسلب منهم أراضيهم، ومع ذلك لا توجد إلّا إشارات مقتضبة لهؤلاء في تلك الدّراسات.

على كلّ حال ، بعد أن انتهى الحكم الإسلاميّ في البرتغال تحوّل المسلمون الذين كانوا يعيشون هناك إلى تابعين للحكم المسيحيّ بعد أن كانوا أسيادا في المنطقة ، وأصبح لزاما عليهم دفع الضّرائب والخضوع للقوانين المسيحيّة ، لذلك فمنهم من لم يرضخ لتلك

[1]–**المدجّنون:** يدلّ هذا المصطلح على عيش المسلم في كنف حكم غير المسلم. ظهر التّدجين لأوّل مرّة خلال القرن الحادي عشر الميلاديّ نتيجة سقوط طليطلة إلّا أنّ ظاهرة التّدجين عرفت أوجها خلال منتصف القرن الثّالث عشر الميلاديّ نتيجة ما حقّقته الحرب الاسترداديّة من نجاح فأصبح التّدجين راسخا في النّسيج الاجتماعيّ الإسبانيّ، وقد حدّد الإطار الزّمنيّ لهم من منتصف القرن الثّالث عشر إلى غاية نهاية القرن السّادس عشر. انظر:
– ليونارد باتريك هارفي : المدجّنون ، من كتاب الحضارة العربيّة الإسلاميّة في الأندلس ، ج.1 ، تحرير : سلمى الخضراء الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربيّة ، ط.1 ، 1998 م ، بيروت ، ص.285، 286 .

القرارات وقرّر الرّحيل إلى مدن أخرى لم تسقط بعد في يد المسيحيّين إلّا أنّ أغلبهم فضّل البقاء تحت الحكم المسيحيّ، وذلك راجع للمعاملة التي لقيها هؤلاء من الملوك المسيحيّين حيث لم يقوموا بفرض الدّين المسيحيّ عليهم، بادئ الأمر، وإنّما تركوا لهم حريّتهم الدّينيّة وممارسة أنشطتهم بشكل عاديّ، في وضع يشبه حال الذّميّين الذين عاشوا تحت سلطة المسلمين [1].

تمركز معظم المدجّنين في الجزء الجنوبيّ لمملكة البرتغال أو ما يعرف بمنطقة الجرف Algarve، ومارسوا أنشطتهم الاقتصاديّة بكلّ حرية. ففي باجة مثلا استمر أهاليها في ممارسة التّجارة ، وفي شلب برز العديد من المدجنين الذين اختلطوا مع اليهود والمسيحيّين في وئام ، ماساهم في بروز فئة تميّزت بمكانة اجتماعيّة هامّة ، كما مارسوا الزّراعة وبرعوا في إنتاج الحبوب [2]. غير أنّ هؤلاء المدجّنين الذين نعموا بهذه الحياة التي يسودها الهدوء والتّسامح وحريّة العمل[3]، لم تكن دون مقابل وإنّما نتيجة العديد من التّنازلات التي قدّمها

[1]-Natividad Ferri Carreres : Les Minorités, L'espace et le droit : Indiens et Morisques dans la configuration territoriale de l'empire Iberique, these pour obtenir le diplôme de doctorat, dirigée par : Emilio Fernando ORIHUELA EGOAVIL, Laboratoire ERLIS et codirigée par : Madame Alexandra MERLE, Spécialité Langues et littératures étrangéres, Université de Caen Normandie ,2017, p. 32

[2] - Humberto carlos Baquero Moreno: OS MUDEJARES NO Portugal MEDIEVO, Texto da conferència proferida em 23 de Março 1994, EDIçAO DO CONSELHO DIRECTIVO, PORTO, 1994, p. 16

[3] – بدأت البرتغال هذه السّياسة مع المدجّنين منذ سنة 1170 م،انظر:

Stéphane Boissellier : L'appréhension des Mudéjares par la société chrétienne - dans le midi portugais 1249 – 1496 : quelques données et proppsitions de réflexion, Revista da faculdade de Letras , HISTORIA , Porto , 3 série , vol .1 , 2000 , p.183 .

هؤلاء ، فقد عانى المدجّنون من الإقصاء الاجتماعيّ فضلا عن إثقال كاهلهم بالضّرائب [1] ، كما أقاموا في أحياء وضعت خصّيصا لهم وألزموا على ارتداء ملابس معيّنة تميّزهم عن غيرهم مثلما فعلوا مع اليهود [2]. هذا ناهيك عن القوانين الصّارمة التي وضعت من أجلهم، حيث تمّ منع المسلمين في البرتغال من استعباد المسيحيّين بأيّ صفة كانت، ونصّ القانون المسيحيّ على عدم حرمان أبناء المسلمين من الميراث في حالة تخلّيهم عن الدّين الإسلاميّ[3] . هذا ومنع المدجّنون من حمل السّلاح ومن قبول دعوة المسيحيّين إلى منازلهم ودخولها إلّا إذا كان ذلك المدجّن المدعو إلى المنزل طبيبا ، وحرموا من لبس الحرير والفضّة والذّهب رجالا أو نساء ، واعتبروا كلّ من هرب إلى ديار المسلمين أسير حرب تصادر جميع ممتلكاته [4] .

إذا فالتّعايش السّلميّ الذي عرفه المدجّنون كان مشروطا ؛ من أجل فرض المسيحيّين لسلطتهم من جهة ، والاستفادة من إمكانيات هؤلاء المسلمين وتفادي هجرتهم ،من جهة ثانية، لأنّهم كانوا أكثر شرائح المجتمع دراية بالزّراعة والتّجارة ، والأكبر عددا في تأدية الضّرائب ، هذا إلى جانب براعتهم في البناء والطّبّ ومختلف الصّناعات[5] .

[1] - Natividad Ferri Carreres : op , cit , p.39

[2] – حسين يوسف دويدار : المسلمون المدجّنون في الأندلس ، مطبعة الحسن الإسلامية ، ط.1 ، 1993 م ، ص.16.

[3] Humberto carlos Baquero Moreno: op, cit, p.19

[4] - حسين يوسف دويدار: المرجع السّابق، ص.16، 17.

[5] – محمد شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، المجلد 2، مؤسسة علوم القرآن،بيروت، ط.2 ، 2003 م ، ص. 116 .

لذا فإنّ المدجّنين بالبرتغال عاشوا مع المسيحيّين واليهود بصفة عاديّة، واندمجوا في المجتمع المسيحيّ خاصّة في الجزء الجنوبيّ من المملكة ، ومن أهمّ الجهات التي استقرّوا بها شلب ، طبيرة ، فارو[1] . مع مرور الوقت بدأت بعض الأصوات ترتفع في أوساط المسلمين وتتساءل عن شرعيّة إقامة المسلمين في الدّيار المسيحيّة[2].إلّا أنّ انتماء هؤلاء المدجّنين إلى المنطقة لسنوات، إضافة إلى التّعايش السّلميّ الذي وجدوه، خاصّة عدم التّعرض لديانتهم، كان أكبر سبب لهم لتفضيل البقاء على الرّحيل.

- **بداية اضطهاد المدجّنين في مملكة البرتغال:**

بدأت حياة المدجّنين في البرتغال تتغيّر منذ القرن الخامس عشر الميلاديّ، فسياسة التّسامح التي انتهجها الملوك البرتغاليّون تحوّلت إلى العداء ضدّ المسلمين، بل والأسوأ من ذلك هو جنوح المملكة إلى إصدار مرسوم ينصّ على التّنصّر أو خروج المدجّنين من البرتغال. تعود قصّة هذا الإجراء الجديد إلى رغبة ملك البرتغال إيمانويل (1495 – 1521 م) في مصاهرة ملكي إسبانيا فرديناند وإيزابيلا ، المعروفين بحقدهما الشّديد ضدّ المسلمين حيث نادى كلّ منهما إلى فرض الدّين المسيحيّ على المسلمين وطرد كلّ رافض له خارج إسبانيا ، ولكي يكسب الملك البرتغاليّ موافقة الملكين على تلك المصاهرة قام بإصدار أوّل قانون سنة 1496 م ينصّ على مغادرة المسلمين للبرتغال ، وسمح لهم

[1] -Humberto carlos Baquero Moreno: op , cit , p.17

[2] – الكثير من تلك الآراء اتجهت إلى وصفهم بالمروق. انظر:

– ليونارد باتريك هارفي :المرجع السّابق ، ص. 289 .

بالخروج إلى بلاد المغرب أو أيّ جهة أخرى بشرط دفعهم لرسوم العبور ، كما طلب من الملكين فرديناند وإيزابيلّا السّماح للمسلمين بعبور أراضي قشتالة نظرا لما واجهوه من صعاب في اختراق الأراضي الإسبانيّة فوافقا على ذلك سنة 1497 م شريطة ألّا يحملوا معهم الممتلكات الثّمينة كالذّهب والفضّة [1].

كان القرار مثيرا للدّهشة في ذلك الوقت، خاصّة وأنّ البرتغال عرفت بسماحها للمسلمين واليهود العيش بحريّة وممارسة أنشطتهم التي استفادت منها اقتصاديّا. كما أنّ البرتغال كانت أوّل من استقبل اليهود بعد أن بدأت إسبانيا حملات طرد الطّوائف الأخرى سنة 1492 م. لذلك فقد كانت تلك الخطوة التي أقدمت عليها هي بداية نهاية المدجّنين في البرتغال وإسبانيا ككلّ حيث بعد موافقة قشتالة على خروجهم بدأ المدجّنون يخرجون من البرتغال تباعا، ثمّ سارت بقيّة الممالك المسيحيّة على نفس خطى مملكة البرتغال وبدأت في إصدار قوانين تنصّ على طرد المدجّنين [2].

من هذا نستطيع القول أنّ الجالية المسلمة التي اختارت الاستقرار على أراضي مملكة البرتغال(المدجّنين) قد مرّت بمرحلتين:

[1]– حسين يوسف دويدار: المرجع السّابق ، ص.21 ، .

–ليونارد باتريك هارفي : االمرجع السّابق، ص.296 ، 297 .

[2] – قشتالة أصدرت نفس القرار سنة 1501 م، نافار 1515 م، أراغون 1526 م.ليونارد باتريك هارفي : االمرجع السّابق ، ص . 297.

المرحلة الأولى: امتدت من بداية الحركة الاسترداد البرتغاليّة بالجهة الغربيّة من الأندلس في القرن الثّاني عشر الميلاديّ، اتّسمت بالتّسامح مقابل بعض التّنازلات التي قدّموها خاصّة من النّاحية القانونيّة ودفعهم للضّرائب.

المرحلة الثّانية: بدأت خلال القرن الخامس عشر الميلاديّ، وكانت صعبة حيث تمّ وضع المدجّنين بين خيارين إمّا اعتناق المسيحيّة أو الخروج النّهائي من مملكة البرتغال. وتعدّ المرحلة الأخيرة بداية نهاية المدجّنين بالبرتغال حيث أنّ النسبة الكبيرة منهم غادرت البرتغال خاصّة إلى بلاد المغرب.

5 أثر الثّقافة الإسلاميّة في المجتمع البرتغاليّ:

بقيت علامات الوجود الإسلاميّ دالّة على تاريخ المسلمين في جميع أنحاء شبه الجزيرة الإيبيريّة، من هندسة معماريّة إلى عمران المدن، مرورا بأسماء المواقع الجغرافيّة إلى اللّغة والعادات والتّقاليد والثّقافة. والبرتغال مثل إسبانيا لم تخل من هذا التّأثير الحضاريّ، رغم أنّ آثار المسلمين بها أقل مقارنة بإسبانيا، إلّا أنّ ما بقي منها شاهد على الدّور الثّقافيّ والحضاريّ للمسلمين في بناء التّاريخ الحضاريّ للبرتغال.

من أبرز الأمثلة التي تبيّن لنا التّأثير الثّقافيّ للمسلمين في البرتغال الحاليّة هو تمجيدهم للأدباء والشّعراء الذين عاشوا في تلك الفترة ؛ فنجد في قريةCacella (قسطلة

دراج)،الواقعة غرب الأندلس بالقرب من مصب وادي يانة ، لوحة تذكاريّة [1]موضوعة حاليّا في مدخل القرية للكاتب وشاعر الحاجب المنصور ابن دراج القسطليّ(أحمد بن محمد بن دراج أبو عمر)الذي تعود أصوله إلى تلك المنطقة ، وهو يعدّ من العلماء، والمتقدّمين من الشّعراء، والمذكورين من البلغاء[2].

هذا إلى جانب التّأثير القويّ للّغة العربيّة على لغة البرتغاليّين؛ فلاشكّ أنّ الفترة الطّويلة التي قضاها المسلمون بالمنطقة لعبت دورا كبيرا في تأثّر المسيحيّين البرتغاليّين بلغة المسلمين. حيث كشفت الأبحاث عن وجود العديد من الألفاظ العربيّة في اللّغة البرتغاليّة[3]؛رغم أنّ العديد من تلك المصطلحات قد تغيّرت مع الوقت سواء من ناحية اللّفظ أو المعنى[4] ، فإنّ هناك عبارات لازالت تستخدم بنطقها ومعناها العربيّ مثل : إن شاء الله ، التي تنطق أوشالا Oxala، السّلام عليكم (salamaleque). [5].

[1] - انظر جزء الملاحق. الصورة رقم 1.

[2] – الضبيّ : المصدر السّابق ، ص. 158 وما بعدها ، أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسيّ الشهير بابن دحية الكلبيّ : المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق: الأستاذ إبراهيم الأبياريّ، الدكتور حامد عبد المجيد، الدكتور أحمد أحمد بدوي ، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، ص.156 .

[3]– وقد أرجعها الشّاعر البرتغاليّAdalberto Alves إلى أكثر من 16 ألف من خلال الأبحاث التي جمعها في قاموسه عن الألفاظ العربيّة في اللّغة البرتغاليّة . انظر :
Marta Vidal : Traces islamiques dans le passé du Portugal , article publiée : 13 juin 2019, https://www.newarab.com/analysis/islamic-traces-portugals-pas

[4] – ولمعرفة الأصل اللّغويّ العربيّ للكلمات البرتغاليّة تمّ وضع جهاز سمعيّ في متحف ميرتولا الإسلاميّ يوضّح التّغييرات التي طرأت على الكلمات وأصلها العربيّ عن طريق الاستماع لنطق تلك المصطلحات. المرجع نفسه.

[5]-A Presença Islâmica em Portugal, article publiée en : 28 de fevereiro de 2019 , https://cdial.org.br/a-presenca-islamica-em-portugal/

كما أنّ معظم الكلمات البرتغاليّة أخذت (ال) التّعريف من العربيّة ، والتي تكتب حسب إذا كانت(ال) التّعريف قمريّة أو شمسيّة ؛ نجد مثلا : Azulejo (الزليج)،Azeite (الزيت) هي كلمات أصلها عربيّ حذفت منها ل(L) لأنّها شمسيّة، بينما كلمة Albufeira (بالعربية البحيرة) كتبت (ال AL) التّعريف كما هي لأنّها قمريّة [1].هذا وتوجد ألفاظ عربيّة تمّ تغيير بعض من حروفها في النّطق بالبرتغاليّة فمثلا حرف(ح h) ينطق عندهم (ف f) ، ومن أمثلة ذلك اللّفظ العربيّ الحمّام Hammamينطق Alfama ، و البحيرة تنطق Albufeira،الحزيمة Alfazema[2] .

وتزخر اللّغة البرتغاليّة بالعديد من الأسماء والأماكن التي ترجع في أصلها إلى اللّغة العربيّة؛ نذكر على سبيل المثال اسم (أمير) يعرف عندهم ب Emir دون أيّ تغيير في النّطق، وكذلك (عثمان) بالبرتغالية Osman، و(فاطمة)Fátima، و(عمر)Omar.

ومن أسماء الأماكن نجد Algarves وهي كلمة عربيّة أصلها الغرب ، Mesquita أي (المسجد) ، Safara(صحراء) ، Almada (حصن المعدن) ، ALqaria (القرية) ، açude(السّد)[3]، Alcacer(القصر) ، Al caçovaأي (القصبة) .

هذا إلى جانب العديد من أسماء النّباتات والفواكه وحتّى المهن ، فنذكر على سبيل المثال : الأرز Riz ، الخسّAlface ، السّكر açucar ، التّمر Tamara ، الرّمان

[1] -. A Presença Islâmica em Portugal, op , cit .

[2] – للمزيد حول الموضوع؛ انظر:

– التّأثيرات العربيّة على اللّغة البرتغاليّة : هل تعلم ما هو أصل ذلك ؟ ، مقال نشر من طرف قناة Wilgen في : ديسمبر 2018 ، على الموقع الالكترونيّ : https://alugha.com/article

[3]- https://cdial.org.br/a-presenca-islamica-em-portugal

Roma ، Alfaiate الخيّاط [1].ناهيك عن المصطلحات الموسيقيّة مثل:Aduf الدّف، Rubeca الرّباب، Alaöd العود وغيرها. و العديد من الكلمات في المجال الطّبيّ والعلميّ وحتّى الزّراعيّ والاقتصاديّ ذات أصل عربي كذلك ، مثل: Xarope أي شراب ، Enxaqueca وتعني الصّداع النّصفي أو الشّقيقة ، Álgebra علم الجبر ، Cifra أي التّشفير ،الأرقام algarismo، إضافة إلى.Azeit، Álcool، Alcatrão ، alfarrobeira، limãoوتعني على التّوالي (الزّيت ، الكحول ، القطران ، الخرّوب ، اللّيمون) [2] .

كما تأثّرت الثّقافة البرتغاليّة ببعض الأمثال الشّعبيّة التي كانت متداولة بين المسلمين منها:

- "Os cães ladram e a caravana passa''أي القافلة تسير والكلاب تنبح.
- "Seca e Meca" أي الجفاف ومكة ، والمثال كان متداولا بين المسلمين وهو يعني القيام بالكثير وعدم الحصول على شيء جرّاء ذلك [3].

من جانب آخر نجد أنّ التّأثير العربيّ والإسلاميّ امتدّ حتّى إلى المطبخ البرتغاليّ وخاصّة في المنطقة الجنوبيّة من البرتغال (l'Algarve et de l'Alentejo) حيث نجد بعض الأطباق العربيّة أصبحت جزءا من نظامهم الغذائيّ. ومن أشهر الأطباق البرتغاليّة ذات الأصل العربيّ والإسلاميّAçordaوهو طبق مصنوع من شرائح رقيقة من الخبز مع

[1] -Frederico Mendes Paula : Influence de l'arabe dans la langue portugaise, article , publieé : novembre 25, 2019 ,https://lisbonnememoires.com/

[2] -https://cdial.org.br/a-presenca-islamica-em-portugal

[3] -ibid

الثّوم وزيت الزّيتون والكزبرة المفرومة ناعما والخلّ والماء والملح والفلفل مع البيض المسلوق في الأعلى، ويعود أصل مصطلح Açorda إلى اللّغة العربيّة والجذر الاشتقاقيّTharada أي فتات الخبز أو ما يعرف في الأدب العربيّ باسم الثّريد Tharid أو Tharida ، ومع ذلك، يأتي المصطلح البرتغاليّ "Açorda" من لهجات اللّغة العربيّة الأندلسيّة، التي يتمّ التّحدّث بها في شبه الجزيرة الأيبيريّة،thurda, نطقتçurda, بعدها thordaالتي تحوّلت لçordaوهذا الأخير هو أقرب رابط اشتقاقيّ للمصطلح البرتغاليّ الحاليّ[1].

حتّى أسماء بعض الأواني أخذ من اللّغة العربيّة نذكر على سبيل المثال : Jarra Jarroالتي تعني إبريق الماء ، مأخوذة من كلمة جرّة العربيّة ، وكذلك Almofariz التي تعني المهراس ، Cuscuzeiroوهي آنية لطهي الكسكس[2] .

[1] - António Rei : A Açorda. Uma sopa de pão, da Alta Idade Média à atualidadeAçorda.Abreadsoup,since UpperMiddle Ageuntilnow, Revista Diálogos Mediterrânicos Número10 –Junho/2016, p.149 , 150 :www.dialogosmediterran icos.com.br

[2] – رفقة أومزدي: بصمات الإشعاع العربيّ الأندلسيّ على الهويّة البرتغاليّة ، مقال الكتروني نشر بتاريخ : 12 أوت 2018 ، www.alaraby.co.uk

5: المعالم الأثريّة الإسلاميّة في البرتغال

في المجال العمرانيّ نجد العديد من الآثار التي يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع: عسكريّة بالدّرجة الأولى ثمّ مدنيّة ودينيّة، كشف الأثريّون من خلالها عن براعة المسلمين وتمكّنهم في مجال البناء والزّخرفة وبواسطتها تعرّفوا على عاداتهم الاجتماعيّة والدّينيّة.

ففي مدينة بطليوس مثلا لازالت الآثار دالّة على تاريخ هذه المدينة أثناء العهد الإسلاميّ خاصّة في مجال العمران العسكريّ، من خلال القصبة المشهورة بها والتي تسمّى اليوم بقصبة باداجوز بنفس اللّفظ العربيّ القصبة (Alcasabah de Badajoz).

(لاحظ الصور).

Alcasabah de Badajozقصبة بطليوس

https://www.tripadvisor.fr/Attraction_Review-g262058-d7139926-Reviews-La_Alcazaba-Badajoz_Province_of_Badajoz_Extremadura.html

إضافة إلى قلعة شلب التّي يمكن أن نرى بها التّأثير القويّ للعمارة العربيّة–الإسلاميّة. يعود تاريخها إلى القرن الثّامن الميلاديّ، وهي أكبر قلعة في منطقة الغارف، تعتبر أجمل مثال على العمارة العسكريّة الإسلاميّة في البلاد.وضّحت هي الأخرى عظمة هذه المدينة خلال العهد الإسلاميّ، ما جعل علماء الحفريّات يظهرون إعجابهم لما وصل إليه المسلمون من تفوّق في البناء والزّخرفة، فاعتبروه الأوّل من نوعه بالمنطقة [1]. هذا إلى جانب حفرهم للآبار واستخدامها في إيصال المياه سواء للمنازل أو ريّ محاصيلهم الزّراعيّة. (انظر الصّورة).

تراجع دور شلب الحضاريّ بعد أن استرجعها المسيحيّون[2] ، لذلك فقد اعتبر العهد الإسلاميّ بها رمزا للنّجاح في هذه المنطقة .(لاحظ الصّورة المرافقة).

[1]-Rosa Varela Gomes : op , cit , p.79 , 80 .

[2] – حدّدت الأبحاث الأثريّة اضمحلال شلب إلى القرن 15 م ، انظر :

-Rosa Varela Gomes : op , cit , p .83

Puits et citerne de la période islamique, Musée archéologique municipal de Silves, Algarve
https://www.portugalvisitor.com/history/islamic-period-portugal

Le Château de Silves, en Algarve, Portugal. C'est le plus grand château de la région de l'Algarve et il est considéré comme le plus bel exemple d'architecture militaire islamique du pays.

ومن أشهر أمثلة العمارة المدنيّة التي خلّفها المسلمون الحيّ الشّرقيّAL Famaفي لشبونة. اسم الحي أصله عربيّ مأخوذ من الحمّة أي الماء السّاخنة، وهو حيّ عربيّ حافظ

على تواجد المسلمين به إلى غاية القرن الخامس عشر الميلاديّ، مازالت موجودة به بعض المنازل التي تعود إلى العهد الإسلاميّ ، يتميّز بأزقّته الضّيّقة الملتويّة وواجهات بيوته المزخرفة بالزليج [1]ذات الطّابع الإسلاميّ التي بيّنت اهتمام المسلمين بالزّخرفة وتزيين منازلهم وعن براعة هؤلاء وإتقانهم للبناء . (انظر الصّور الحالية للحيّ).

حي الفاما حاليا

https://www.portugalvisitor.com/history/islamic-period-portugal

[1] –انظر: شيماء عبد الحميد البنا: أثر الهوية الثقافية غرب الأندلس، مقال نشر في مجلة وقائع تاريخية، عدد يوليو 2020، الجزء الثاني، ص.167

بعض المنازل الموجودة في حي الفاما حاليا مزخرفة بالزليج الإسلاميّ.

https://www.portugalvisitor.com/history/islamic-period-portugal

كما عثر الأثريّون على العديد من الشّواهد الأثريّة في منطقة شنترين ، التي تنوّعت بين آثار عسكريّة ودينيّة تعود إلى الفترة الإسلاميّة ، من خلالها اكتشفوا أنّ شنترين عرفت نموّا سكّانيا كبيرا ، خاصّة على مستوى ضواحيها المطلّة على المحيط الأطلسيّ، وكذلك بناء شبكات دفاعيّة بها أثناء عهد المرابطين[1]. إضافة إلى عثورهم على أسوار قديمة تعود للمدينة خلف الكاتدرائيّة، وعلى مقربة منها قطعة أخرى من السّور يتوسّطها متنزّه كبير على بحر تاجة. إلى جانب استنتاجهم من تلك الأبحاث أنّ برج أجراس كنيسة القدّيس يوحنّا Sao Joa كان منارة مسجد قديم ، أي أنّ الكنيسة بنيت فوق موقع ذلك المسجد[2]. (لاحظ الصّور).

[1] - cristophe picard : op , cit, p.214

[2]– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص.426 _ 428. اطلع أيضا على:

-S.Masias , Suzana Gomez y c.Torres : op , cit , p .120

قلعة شنترين

كنيسة شنترين التي كانت مسجدا.

أما شنترة فقد بيّنوا أنّ الحصن المسمّى ب Castelo dos Moros الواقع في أعلى الجبل والمدينة عند سفحه، يضمّ غرفا مبنيّة على الطّراز الأندلسيّ، وبه قاعة طعام وسطها نافورة ، سقفها مزيّن ، وفي وسط القصر مصلّى كبير يرجّح أنّه كان مسجدا [1]. كما يعدّ قصر شنترة الوطنيّ، من أهمّ معالم المسلمين بالمنطقة. فمن يزوره يلاحظ التّأثير العربيّ به من خلال بطانة الجدران والأرضيّات المزيّنة بالبلاط والفسيفساء، وكذا أبوابه التي تعلوها الأقواس مع تقنيات محدّدة ولوحة ألوان جميلة (لاحظ الصّور).

[1]– محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص. 427 .

– شيماء عبد الحميد البنا : المرجع السابق ، ص. 167 .

Château des Maures à Sintra au Portugal - Construit par les musulmans au IXe siècle.

Le Palais National de Sintra se caractérise par la forte influence du style arabe.

(.قصر سنترا الوطنيّ له تأثير قوي على النّمط العربي)

(قصر الريشة الوطني – جبل القمر فيسنترا، مزخرف بأسلوب معماري إسلامي جديد.)

Palais national de Pena - Monte da Lua à Sintra, richement décoré dans le style architectural néo-islamique

ولاتزال العديد من الشّواهد الأثريّة تدلّ على عظمة المدن البرتغاليّة خلال الحكم الإسلاميّ. فقد كشف أثريّون برتغاليّون في مدينة ميرتلة ، خلال الثّمانينات ،عن العديد من المساكن التي بناها المسلمون خلال عهد الموحّدين بطريقة متقنة في حيّ ألكاسوفا دي كاستيلو Alcaçova do Castelo[1] دلّت على مدى التّطور الذي عرفته ميرتلة في تلك الفترة، كما أبدوا إعجابهم بالقطع الأثريّة التي عثروا عليها في نفس الحيّ سواء الخزفيّة أو الأواني مثل : الجرار التي كانت تخصّص لتخزين المياه حيث وجدوها في كلّ منازل الحيّ تحتوي على صنبور صغير لسكب الماء في قطعة أخرى.

هذا إلى جانب براعة المسلمين في صناعة الأدوات الحديديّة مثل: حدوات الأحصنة والمسامير ورؤوس السّهام والرّماح وغيرها. أمّا المعدّات المنزليّة والشّخصيّة فاستعملوا العظام في صناعتها[2].بالإضافة إلى بقايا قلاع وحصون تعرّضت للهدم ، منها ما تمّ تغيير

[1]– لاحظوا أنّ هذا الحيّ لم يكن آهلا بالسّكان قبل القرن 12 م لصعوبات الاستقرار به إلى أن أتى العهد الموحدي فأصبح آهلا بالسكان وذلك راجع حسبهم إلى المنشآت العمرانية الهامّة التي أقاموها هناك وبالأخص المنازل حيث ذكر هؤلاء الباحثين أنّه تمّ بناؤها على شكل كتل صغيرة تضم من 2 إلى 3 منازل وضعت لها خدمات بشكل خاص حيث تتم خدمة عدة مساكن في نفس الوقت ، وقد كان لبعض المنازل نظام صرف صحي خاص تمّ تصميمه بشكل مشترك بواسطة حفر عميقة تقع إلى جانب الشارع ومحاذية لمرحاض المنزل ، كما أنّ هذه المنازل كانت تدور حول فناء مركزي مفتوح تفتح عليه الغرف الأخرى في المنزل إلّا المرحاض ، ولاحظوا أنّ لكلّ منزل غرفة معيشة وغرفة نوم ومطبخ مقسم إلى قسمين الأول للطبخ والثاني للتخزين . للمزيد حول الموضوع ، انظر:

Susana Gomez Martinez : Mertola Islamica Los Espacios De Vivienda , I JORNADAS DE CULTURA ISLAMICA , AL MONASTER LA REAL , HUELVA (12 – 15 Octubre de 2000) , Editors : Juan Aurelio Macias , Yolanda Benabat Hierro , p.75 ..

–انظر الملاحق ، جزء الآثار . وكذلك أبحاث S.Masias في نفس الموضوع والصور لتلك المنازل في مقاله :

Houses and Daily life in islamic Portugal (12 th – 13 th century): Mértola in- the context of Gharb , Arts , 7 , november , 2018 , p.4 – 9

[2] -Susana Gomez Martinez: ibid , p .79 _ 82

ملامحها ، وخاصّة المساجد التي أعيد تشكيل بنائها في صورة كنائس [1].(انظر الصّور) .وقد كشفت الأبحاث الأثريّة أنّ ميرتلة بعد استردادها شهدت تراجعا سكانيّا عمّا كانت عليه سابقا ، في العهد الإسلاميّ [2] ، وهذا يبيّن الدّور الهامّ الذي عرفته خلال الفترة الإسلاميّة[3].

[1]- Ibid , p . 69 , 70 .

[2]- Museu de Mértola , op , cit , p.66

[3] – ظهرت العديد من الجهود من طرف الأثريّين البرتغاليّين لإبراز الدّور الرّياديّ لميرتلة في العهد الإسلاميّ وقد تمّ تخصيص جناح خاصّ للمخلّفات الإسلامية في متحف ميرتلة لتوضيح ذلك .

– Ibid , p . 101 ,102

. انظر الملاحق المرفقة. جزء الرسوم التوضيحية.

L'ancienne mosquée de Mértola, le monument le plus emblématique de la ville, a étéconstruite dans la seconde moitié du XIIe siècle, puis transformée en église chrétienne : Igreja de Nossa Senhora da Assunção de Mértola (Igreja Matriz).

(تمّ بناء مسجد ميرتولا القديم، وهو النّصب التّذكاريّ الأكثر رمزيّة في المدينة، في النّصف الثّاني من القرن الثّاني عشر، وتحوّل لاحقًا إلى كنيسة مسيحيّة: كنيسة السّيّدة العذراء ميرتولا (كنيسة ماتريكس).

كما ساهمت الأبحاث في مدينة سيسيمبرا sesimbra في إظهار الإرث الإسلاميّ حيث تمّ اكتشاف لوحة منقوش عليها أحرف عربيّة من الخشب مدوّن عليها بعض الآيات القرآنيّة، يرجّح الأثريّون تاريخها إلى القرن 12م، كانت تستخدم لتعلّم القرآن الكريم وكذلك اللّغة العربيّة. (انظر الصّور).

Tablette trouvée à Sesimbra, avec des extraits du Coran en arabe.

ومن المعالم الإسلاميّة الهامّة بها كذلك، قلعة سيسيمبرا، التي عاش بها سكّان المنطقة متأثّرين بالثّقافة الإسلاميّة. ويتّضح الطّابع الإسلاميّ بها من الصّهاريج والصّوامع وآثار الخزف الإسلاميّ (الأطباق والبلاط وحتّى قطع الألعاب). (انظر الصّورة).

Château de Sesimbra également connu sous le nom de château mauresque

تُعرف قلعة سيسيمبرا أيضًا باسم قلعة مورز.

خلاصة القول أنّ غرب الأندلس رغم ما شهده من تقلّبات عسكريّة وسياسيّة طيلة الحكم الإسلاميّ للمنطقة إلّا أنّه عرف تطوّرا في المجالين الثّقافيّ والاقتصاديّ، وقد كانت العديد من الشّواهد والأبحاث الأثريّة دالّة عليه. هذا ناهيك عن التّغيير الكبير الذي عرفته على مستوى الشّبكة الحضريّة والمساهمة في بروز مراكز لم تكن ذات شأن في العهود السّابقة للوجود الإسلاميّ بالمنطقة. ولعلّ خير دليل على ما وصل إليه المسلمون في غرب الأندلس هو سماح ملوك البرتغال لهم بالعيش في أراضيهم بحريّة بعد سقوط الحكم الإسلاميّ، وذلك لما تمتّع به هؤلاء من خبرة اقتصاديّة بالدّرجة الأولى تفوّقوا بها على باقي الشّرائح الاجتماعيّة في البرتغال. وهو أمر يتطلّب تغيير النّظرة حول غرب الأندلس أو ما أطلق عليه المؤرّخون المعاصرون، البرتغال الإسلاميّة، من خلال تكثيف الأبحاث والدّراسات حول هذه المنطقة، المهمّشة في الدّراسات الأكاديميّة، لأنّها لا تقلّ أهميّة عن باقي مناطق شبه الجزيرة الأيبيريّة.

خـاتـمة

خاتمة:

إنّ إمارة البرتغال كانت خلال القرن التّاسع ميلادي مجرد رقعة جغرافية صغيرة محصورة بين نهري مينهو Minho ودويرو (دويرة) Douro، بقيت على حالها إلى غاية القرن الحادي عشر ميلادي وبالضّبط خلال عهد الملك فرديناند الأول الذي نجح في توسيع حدودها الجنوبية إلى غاية نهر المنديغو فصارت تعرف **بكونتيّة البرتغال** مع التبعية لقشتالة وليون. معنى هذا الكلام أنّ برتغال القرن الحادي عشر ميلادي كانت تشمل شمال البرتغال الحالية فقط، أمّا جنوبها (بالتحديد جنوب غرب شبه الجزيرة الإيبيرية) فقد سيطر عليه المسلمون منذ دخولهم إلى المنطقة في القرن الثّامن ميلادي، فأطلقوا على تلك الجهة اسم غرب الأندلس. أي أنّ كونتية البرتغال أصبحت متاخمة لغرب الأندلس من النّاحية الجنوبية وهي تقع شماله، وهو ما يفسّر الصّدام العنيف والمتواصل بين الطّرفين طيلة القرنين الثاني عشر والثالث عشر ميلادي.

بدأت تطفو ملامح ذلك الصّراع جلية بين المسلمين والبرتغال بعد محاولات هذه الإمارة الانفصال والتّخلص من التبعية الإقطاعية لقشتالة وليون حيث تغيّرت القناعات والأهداف، وبدأت تظهر الرّغبة في فرض الوجود في شبه الجزيرة الإيبيرية وإيجاد كيان منفصل. ومن أجل تحقيق ذلك لجأت إمارة البرتغال للعديد من الأساليب والخطط كما بذلت مجهودا عسكريّا كبيرا في سبيل تحويل هدفها إلى واقع ملموس. حيث يعدّ مطلع القرن الثاني عشر ميلادي بداية لدخول إمارة البرتغال في صراع طويل وشاق على جبهتين رئيسيتين:

الأولى: المسلمون من أجل توسيع البرتغال لرقعتها جنوبا على أراضيهم في غرب الأندلس.

والثانية: قشتالة وليون، حيث أرادت الاستقلال الكلّي عنهما. ولتحقيق الهدف الثاني – ألا وهو الانفصال – كان لابدّ أن تركّز على جبهة الصّراع مع المسلمين لسببين: الأوّل نيل رضا البابوية في إطار قتالها للمسلمين والثّاني تحدّي مملكة قشتالة، وبالتالي كسب القوّة والنّفوذ والهيبة أمام الممالك الأخرى أثناء عملية التّوسع.

هنا بدأت العلاقة بين البرتغال والإمارات الإسلاميّة، القائمة على الحروب الاستردادية خاصّة وأنّ الظروف كانت جدّ مهيّأة لبدء عملية الاسترداد. فالضعف والتّفرق والصّراع على السّلطة الذي طال ملوك الطوائف ثم بعدهم المرابطين والموحدين كان أكبر مشجّع للبرتغال في تحقيق أهدافها التّوسعية ، فتجرّأت على الدّخول بقوّة في أراضي الثّغر الأدنى ، وشكّلت تهديدا خطيرا لهم منذ نهاية القرن 12 م، فنجحت في التّقدم بشكل لافت في غرب الأندلس ، وهو ما ساعدها على تحقيق نصر طال أمده ألا وهو الاستقلال عن قشتالة وليون بمباركة من البابوية في حدّ ذاتها التي رأت في البرتغال أداة قيّمة في انتصار مشروعها الصليبي بالمنطقة لذلك سارعت لجعلها مملكة مستقلة مع منحها مطلق الحماية . على إثر ذلك وصلت توسّعاتهم إلى أقصى الجنوب الغربيّ من أراضي المسلمين، ومع حلول منتصف القرن الثالث عشر ميلادي أنهت الوجود الإسلاميّ وحكمهم السّياسي نهائيّا ورسميّا في المنطقة ومدت حدودها إلى أقصى الجنوب الغربي لشبه جزيرة إيبيريا.

إنّ نهاية الحكم الإسلامي في غرب الأندلس لم يكن يعني أبدا نهاية للمسلمين بالبرتغال حيث بقيت جاليات مسلمة تعيش بشكل عاديّ منذ بداية الحركة الاسترادادية البرتغالية بالمنطقة، اتّبع ملوك البرتغال معهم سياسة اللّين، بادئ الأمر، للاستفادة من خبرتهم الكبيرة في المجال الاقتصادي من زراعة وتجارة وكذلك البناء وغيرها. حيث اعتبرت البرتغال هؤلاء، مصدرا هامّا لمداخيلها وجبت المحافظة عليه وهو ما يفسّر عدم قمعهم وفرض الدّين المسيحي عليهم. تواصل تواجدهم بها كمدجنين إلى غاية القرن الخامس عشر ميلادي، وهو ما نتج عنه تفاعل حضاري هام جعل المنطقة غنيّة بالموروث الحضاري الإسلامي، وقد أثبتت الأبحاث الأثرية الحديثة أنّ هناك معاملات وحياة اجتماعية جمعت بين المسلمين والبرتغاليين بدليل ما خلّفه المسلمون من آثار حضارية بيّنت التّأثير والتّأثّر بين الجانبين. كما وضّحت تلك الدّراسات التطور الاقتصادي والعمراني الهام الذي أفادوا به المنطقة الغربيّة، ومن أبرزها الأبحاث التي أقيمت على مدينة ميرتلة، والدّور التّجاري الكبير لبطليوس وشلب وقصر أبي دانس ولشبونة وغيرها. هذا دون أن ننسى الجانب العلميّ والثّقافي الذي تمتّعت به الجهة الغربيّة فقد زخرت بالعديد من أسماء الأعلام الذين لازالت معالمهم بارزة إلى يومنا أمثال: أبو الوليد الباجي وابن بسام الشنتريني وغيرهم. كما أنّ التّأثير الإسلامي في مسيحيّي البرتغال مازال ظاهرا إلى يومنا هذا في معاملات البرتغاليين الحاليّة سواء في مجال الطّبخ والعادات والتقاليد أو حتّى في لغتهم، فالعديد من الألفاظ

العربيّة نقلت إلى اللّغة البرتغاليّة في جميع المجالات. وهذا يبيّن أنّ العلاقات بينهما لم تقتصر على الحروب فقط.

على الرغم من أنّ علاقة البرتغال بالمسلمين غلب عليها الطابع العسكري خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر إلّا أنّ ذلك الاحتكاك ولّد تفاعلا حضاريا هاما بالبرتغال استمر بعد سقوط الحكم الإسلامي، لازالت معالمه دالة عليه إلى يومنا هذا.

إنّ موضوع العلاقات بين البرتغال والمسلمين من المواضيع الخصبة والهامة في تاريخ الأندلس التي تحتاج للمزيد من البحث والاهتمام من الباحثين لأن المنطقة كغيرها من مناطق شبه الجزيرة الإيبيرية لم تخل من التفاعل الحضاري الإسلامي الذي أدهش كل من بحث في ثناياه.

الملاحق

الخرائط

الخريطة رقم :1

من إعداد الطالبة

الخريطة رقم : 2

من إعداد الطالبة

الخريطة رقم : 3

من إعداد الطالبة

الخريطة رقم : 4

من إعداد الطالبة

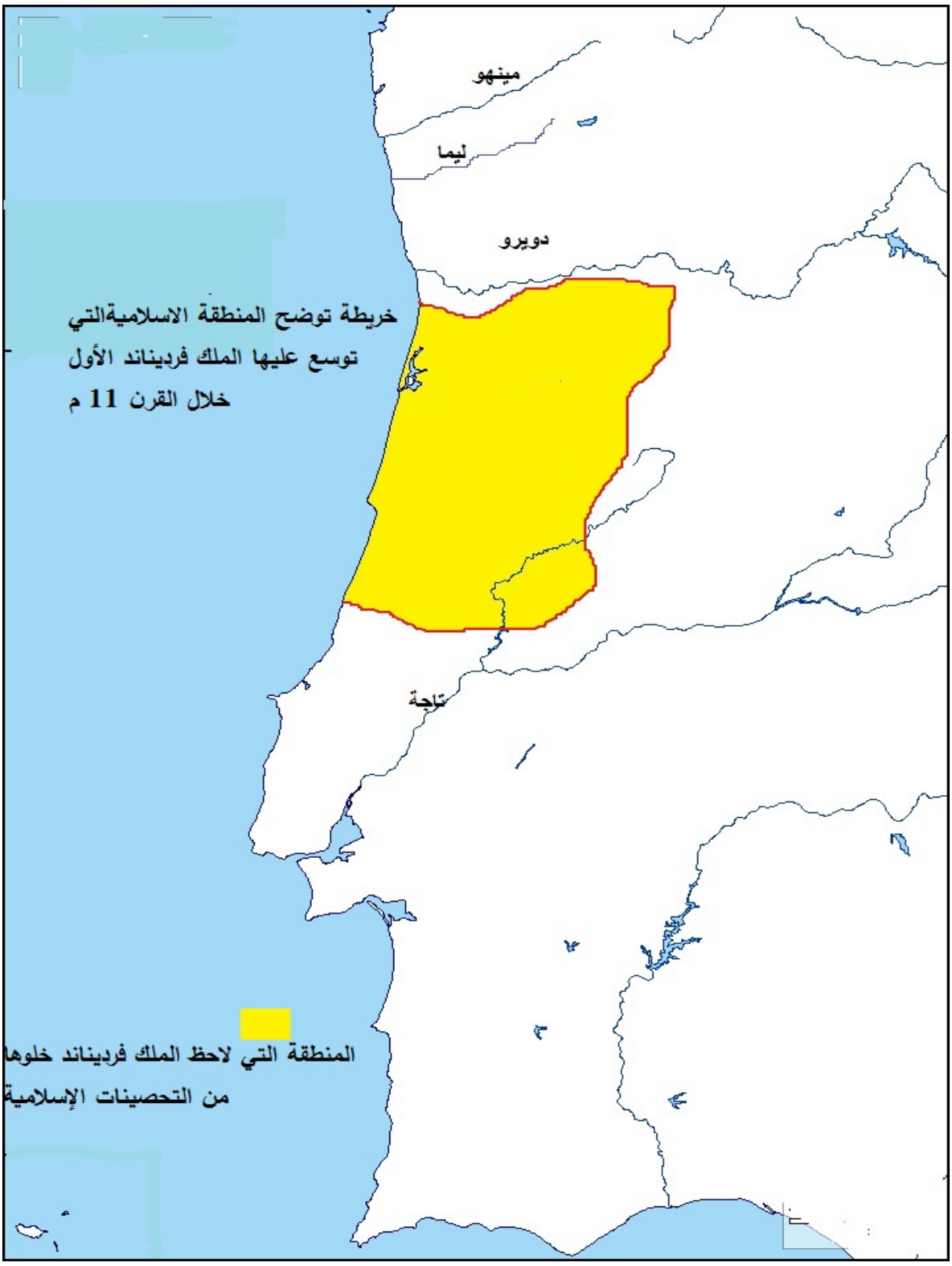

الخريطة رقم : 5 . من تصميم وإعداد " الطالبة

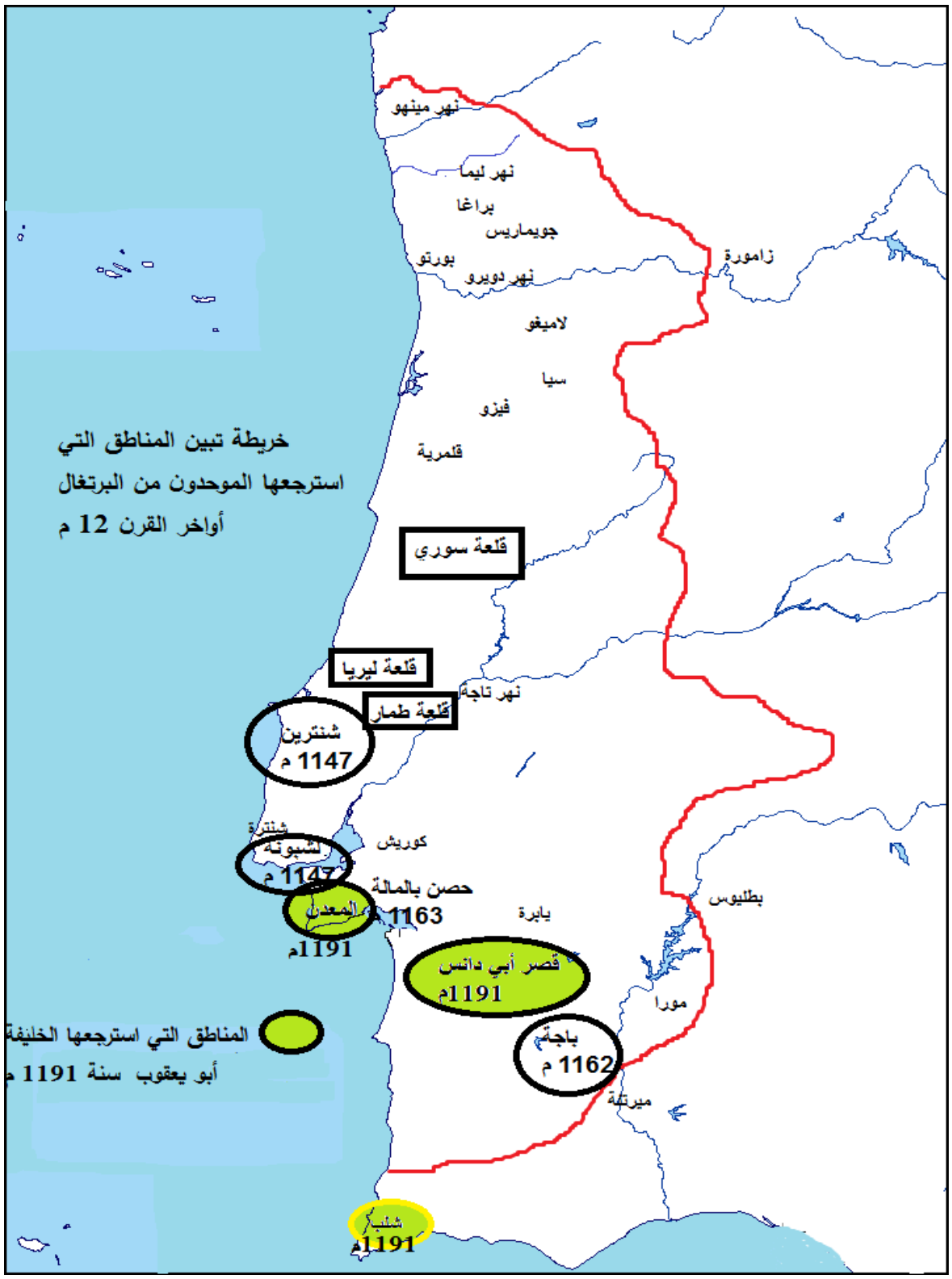

الخريطة رقم : 6 . من تصميم وإعداد " الطالبة

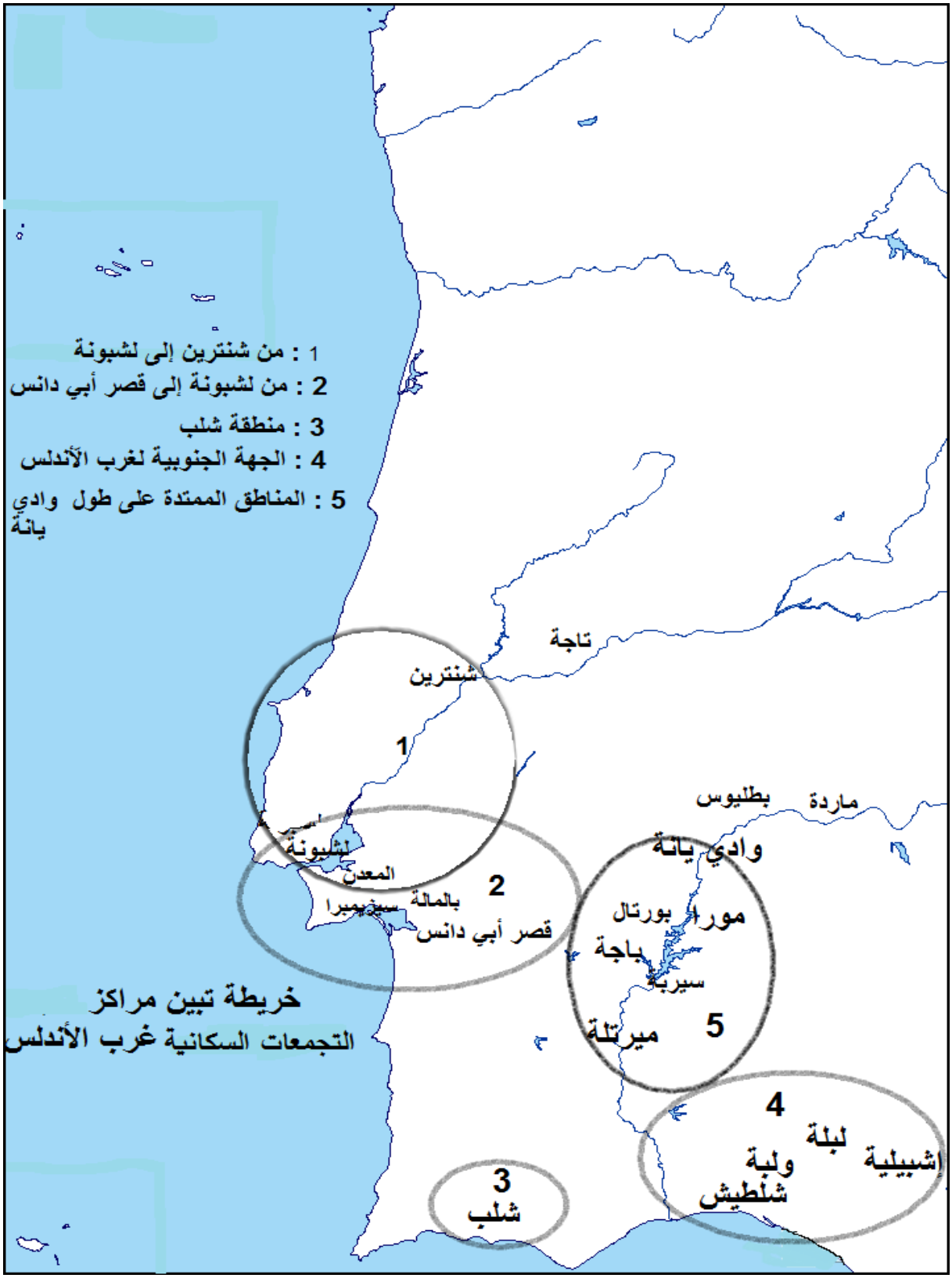

الخريطة رقم : 7 . من تصميم وإعداد " الطالبة

الوثـائق

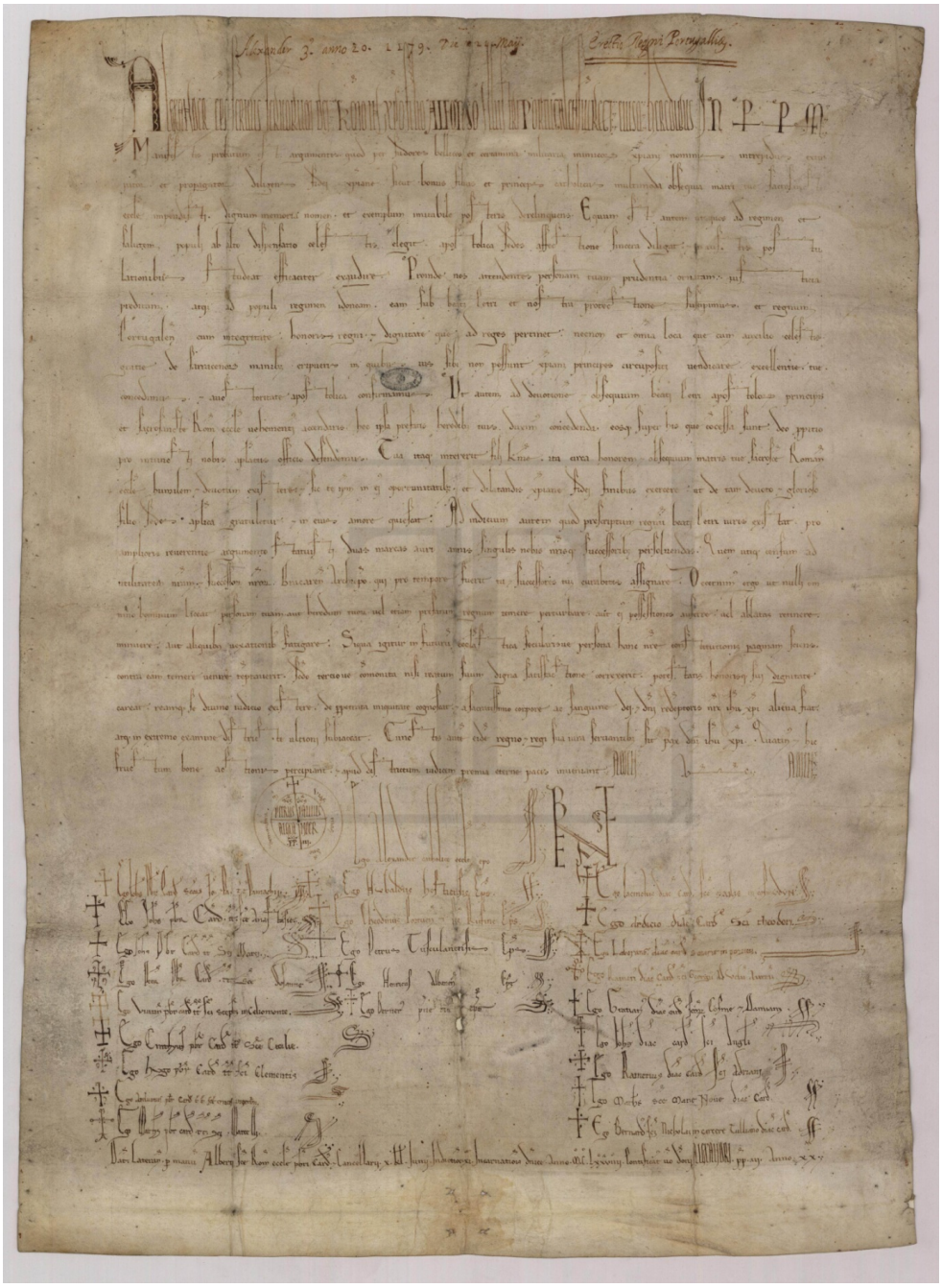

La bulle papale *Manifestis Probatum*

الوثيقة البابوية التي منح بموجبها البابا ألكسندر الثالث الاستقلال للبرتغال سنة 1179

مأخوذة من الموقع : https://digitarq.arquivos.pt

ترجمة الوثيقة باللغة الفرنسية :

Alexandre, évêque, serviteur des serviteurs de Dieu , au fils bien-aimé du Christ, Afonso, illustre roi des Portugais, et à ses héritiers, à perpétuité :

Il est clairement démontré que, en bon fils et prince catholique, vous avez rendu d'innombrables services à votre mère, la Sainte Église, exterminant intrépidement par les épreuves et les prouesses militaires les ennemis du nom chrétien et propageant avec diligence la foi chrétienne, laissant ainsi à générations encore à naître un nom digne de mémoire et un exemple digne d'être imité. Le Siège Apostolique doit aimer avec une affection sincère et s'efforcer d'assister efficacement, dans ses justes requêtes, ceux choisis par la divine Providence pour le gouvernement et le salut du peuple.

Nous donc, en raison de vos qualités de prudence, de justice et d'idonité pour le gouvernement, vous prenons sous la protection de saint Pierre et la nôtre, et accordons et confirmons par autorité apostolique à votre excellent domaine, le Royaume de Portugal, tous les honneurs du royaume. et la dignité qui convient aux rois, ainsi que tous les lieux que, avec le secours de la grâce céleste, vous avez arrachés aux mains des Sarrasins , et sur lesquels vos princes chrétiens voisins ne peuvent prétendre à aucun droit.

Et pour que votre dévotion et votre service à Saint Pierre, Prince des Apôtres, et à la Sainte Église Romaine soient davantage éveillés, Nous décidons d'étendre cette même concession à vos héritiers et, avec l'aide de Dieu, Nous promettons de la défendre pour eux, en ce qui concerne notre magistrature apostolique. Continuez donc à vous montrer un fils bien-aimé, humble et dévoué à l'honneur et au service de votre mère, la Sainte Église romaine, et à défendre ses intérêts en répandant la foi chrétienne de manière à ce que ce Siège Apostolique se réjouisse d'avoir un fils si dévoué et glorieux dont l'affection ne peut être mise en doute.

Comme représentation tangible que ledit royaume appartient à saint Pierre, vous avez décidé, comme témoignage de grande révérence, de remettre chaque année deux marks .d'or pour Nous et Nos

successeurs. Vous et vos successeurs vous efforcerez donc de confier *pro tempore à l'* archevêque de Braga ce recensement qui nous appartient et à nos successeurs. Nous déterminons en conséquence qu'il est illégal pour quiconque de causer effrontément des ennuis à vous, à vos héritiers ou à votre royaume, ou de saisir tout ce qui lui appartient ou, dans le cas où cela a été saisi, de le conserver, de l'avilir ou de le dégrader. lui causer aucun tourment.
Si quelqu'un, à l'avenir, qu'il soit ecclésiastique ou laïc, conteste volontairement ce qui a été déterminé par la présente Constitution sans présenter une satisfaction appropriée après un deuxième ou un troisième avertissement, qu'il soit déchu de la dignité de son honneur et de son pouvoir, sachez d'avance qu'il seront tenus responsables de leur iniquité devant le jugement divin et seront exclus de la communion au Corps et au Sang très saints de Jésus-Christ , notre divin Seigneur et Rédempteur. Que la paix de Notre Seigneur Jésus-Christ soit avec tous ceux qui respectent les droits de ce royaume et de leur roi, afin qu'ils récoltent le fruit des bonnes œuvres en ce monde et la récompense de la paix éternelle devant le Juge Sévère. Amen. Amen.

Pierre, Paul, Alexandre PP. III

ترجمة الوثيقة باللغة الغربية

الإسكندر ، الأسقف ، خادم خدام الله ، لابن المسيح الحبيب ، أفونسو ، ملك البرتغاليين اللامع ، وورثته إلى الأبد :

من الواضح أنك ، بصفتك ابنا وأميرا كاثوليكيا صالحا ، قد قدمت خدمات لا حصر لها لأمك ، الكنيسة المقدسة ، وإبادة أعداء الاسم المسيحي بلا خوف من خلال التجارب والبراعة العسكرية ونشر الإيمان المسيحي بجد ، وبالتالي تركت للأجيال التي لم تولد بعد اسما جديرا بالذاكرة ومثالا يستحق التقليد. يجب على الكرسي الرسولي أن يحب بمودة صادقة وأن يسعى جاهدا للمساعدة الفعالة ، في طلباته العادلة ، أولئك الذين اختارتهم العناية الإلهية لحكومة وخلاص الشعب.

لذلك ، بسبب صفاتك من الحكمة والعدالة والملاءمة للحكومة ، نأخذك تحت حماية القديس بطرس وحمايتنا ، ونمنح ونؤكد من قبل السلطة الرسولية إلى مجالك الممتاز ، **مملكة البرتغال ، كل الأوسمة للمملكة.** والكرامة التي تناسب الملوك ، وكذلك جميع الأماكن التي ، بمساعدة النعمة السماوية ، انتزعت من أيدي المسلمين ، والتي لا يستطيع الأمراء المسيحيون المجاورون المطالبة بها.

وحتى يكون إخلاصك وخدمتك للقديس بطرس ، أمير الرسل ، والكنيسة الرومانية المقدسة أكثر إيقاظا ، **قررنا تمديد هذا التنازل نفسه لورثتك** ، وبمساعدة الله ، نعد بالدفاع عنه من أجلهم ، فيما يتعلق بقضاء الرسولية لدينا. لذلك ، استمر في إظهار نفسك ابنا محبوبا ومتواضعا ومخلصا لشرف وخدمة والدتك ، الكنيسة الرومانية المقدسة ، والدفاع عن مصالحها من خلال نشر الإيمان المسيحي بطريقة تفرح الكرسي الرسولي بوجود مثل هذا الابن المخلص والمجيد الذي لا يمكن الشك في محبته.

كتمثيل ملموس أن المملكة المذكورة تنتمي إلى القديس بطرس ، فقد قررت ، كدليل على تقديس كبير ، تسليم علامتين من الذهب كل عام. بالنسبة لنا وخلفائنا. لذلك ستسعى أنت وخلفاؤك إلى تكليف رئيس أساقفة براغا مؤقتا بهذا التعداد الذي ينتمي إلينا وإلى خلفائنا. لذلك نقرر أنه من غير القانوني لأي شخص أن يتسبب بوقاحة في المتاعب لك أو لورثتك أو مملكتك، أو الاستيلاء على أي شيء يخصه أو في حالة الاستيلاء عليه ، الاحتفاظ به أو تحطيمه.

إذا كان أي شخص ، في المستقبل ، سواء كان كنسيا أو علمانيا ، يتحدى طواعية ما حدده هذا الدستور دون تقديم رضا مناسب بعد تحذير ثان أو ثالث ، بأنه محروم من كرامة شرفه وقوته ، فاعلم مسبقا أنهم سيحملون المسؤولية عن إثمهم قبل الدينونة الإلهية وسيتم استبعادهم من الشركة مع الجسد الأقدس ودم يسوع المسيح ، ربنا الإلهي والفادي.

أتمنى أن يكون سلام ربنا يسوع المسيح مع كل من يحترم حقوق هذا الملكوت وحقوق ملكهم، حتى يحصدوا ثمار الأعمال الصالحة في هذا العالم وثواب السلام الأبدي أمام القاضي الصارم. آمين. آمين.

بيير بول ، ألكسندر الثالث

رسوم توضيحية

مخطط يوضح أهم أمراء و ملوك البرتغال خلال القرنين

6 – 7 هجري/ 12 – 13 م

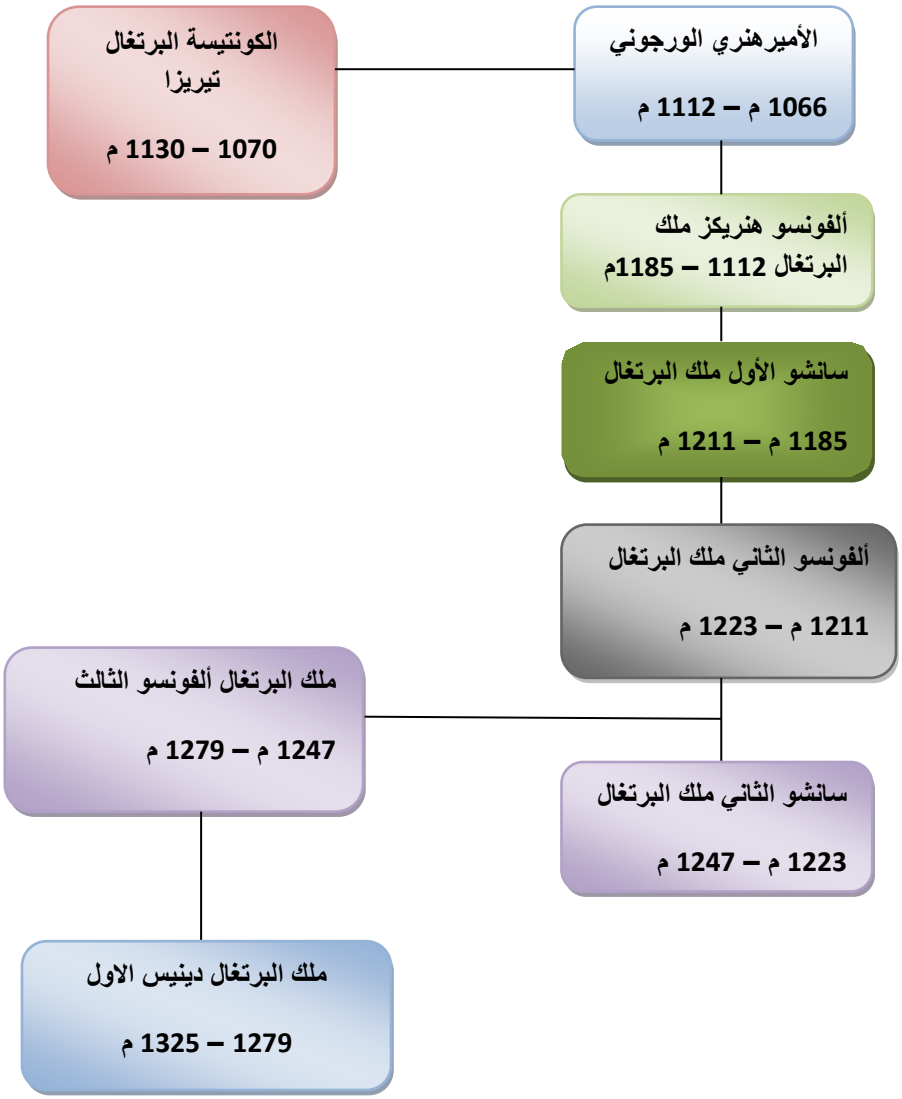

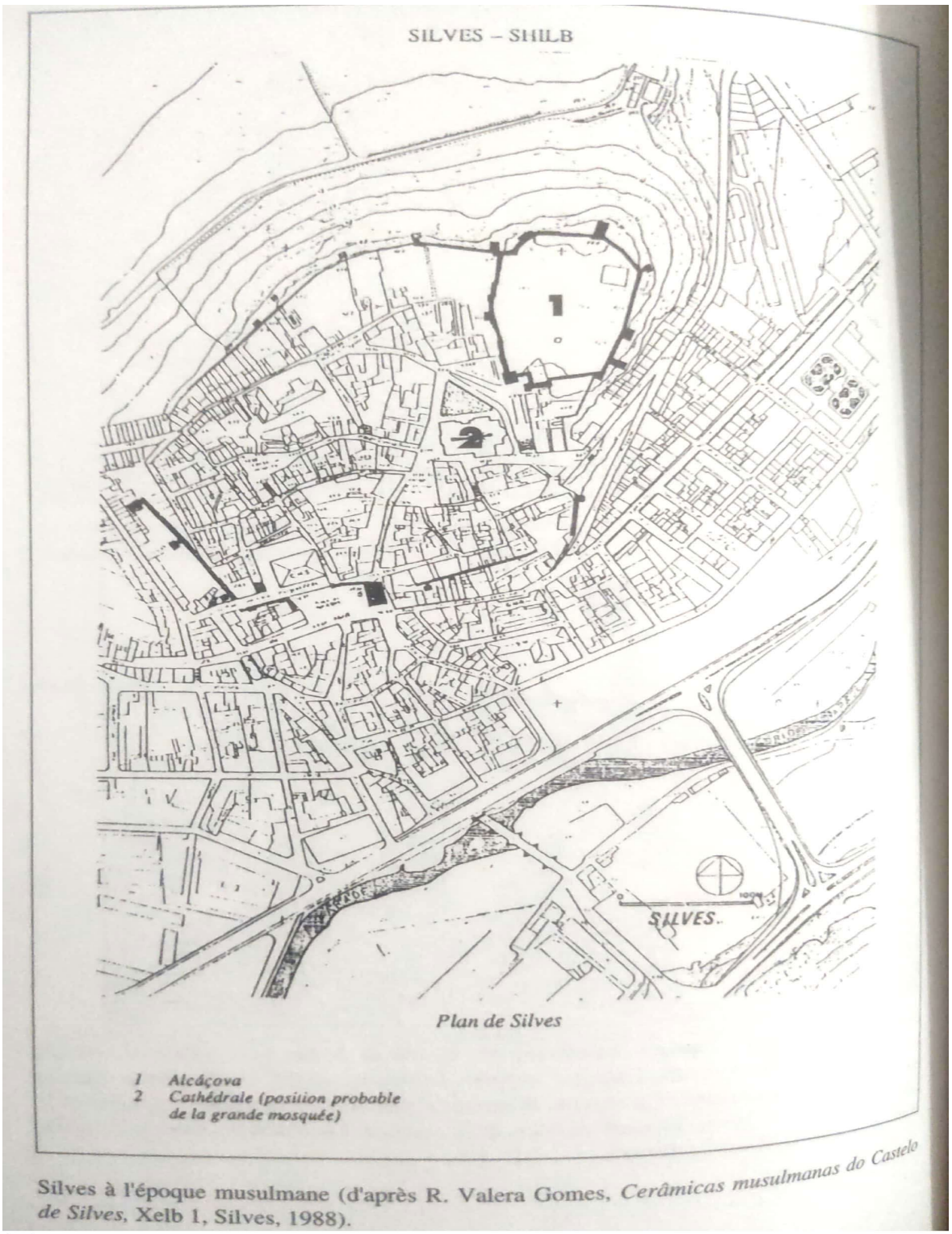

Silves à l'époque musulmane (d'après R. Valera Gomes, *Cerâmicas musulmanas do Castelo de Silves*, Xelb 1, Silves, 1988).

Scanné avec CamScanner

مخطط لمدينة شلب خلال العهد الإسلامي نقلا عن :

Cristophe Picard : op , cit , p.338

مخطط يوضح مدينة شلطيش خلال العهد الاسلامي

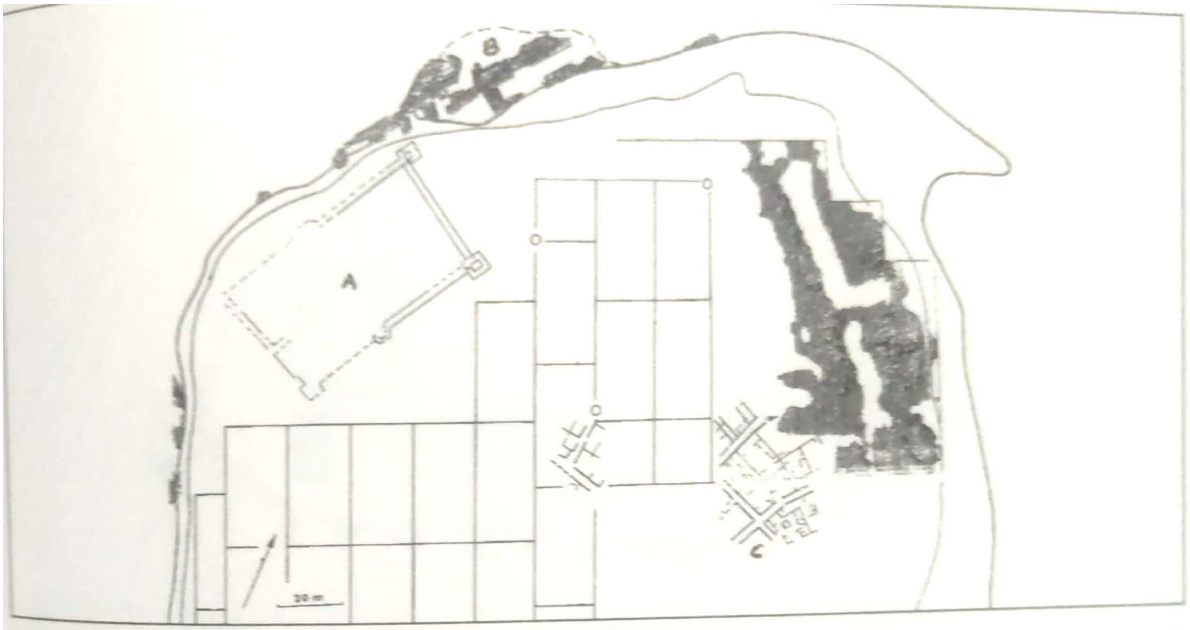

Saltès musulmane : la zone portuaire au nord de l'île (d'après les travaux de A. Bazzana et J. Bedia Garcia, *Saltès : una ciudad islâmica*, catalogue de l'exposition du Museo provincial de Huelva, Madrid-Huelva, 1993). On trouve les principaux édifices et ensembles constituant le port, avec la *qaṣaba* almohade (A), les structures faisant penser à un arsenal, actuellement sous la vase (B), et les quartiers proches du port (C), où l'artisanat spécialisé dans la fabrication des pièces de métal s'est développé. La disposition des rues laisse percevoir un tracé orthogonal.

CS Scanné avec CamScanner

cristophe picard : op , cit , p.339

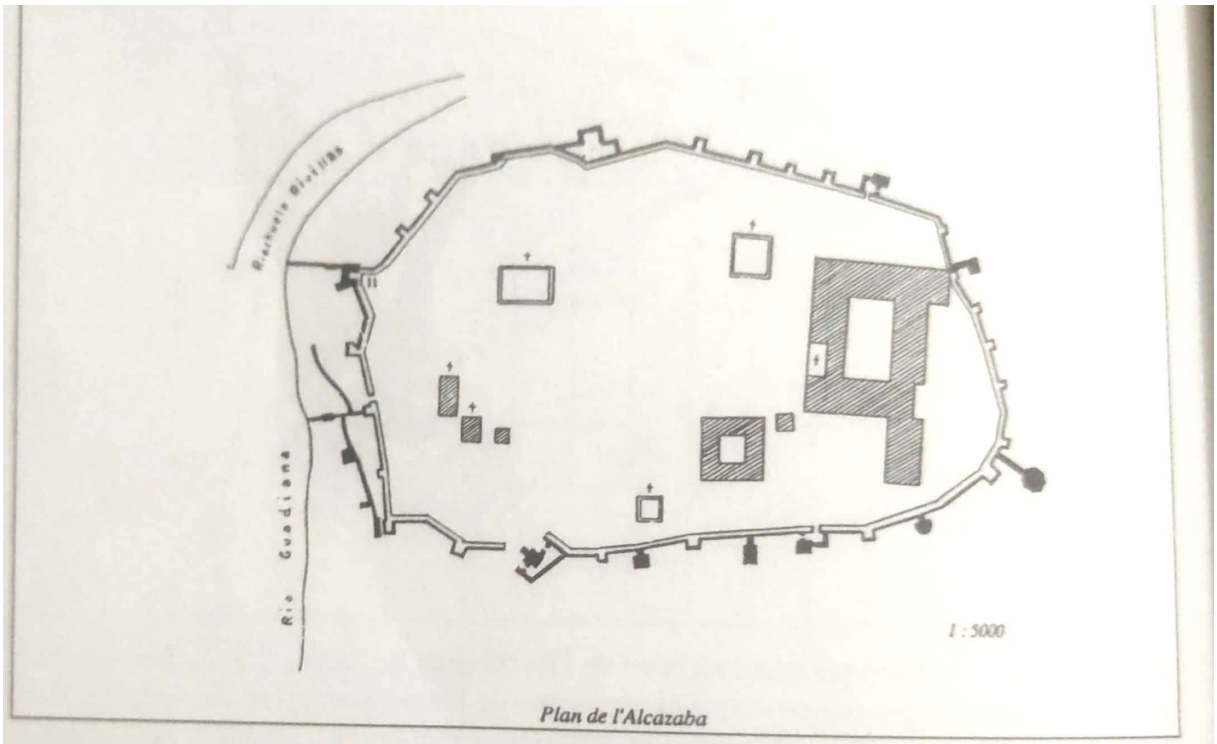

Alcazabas de Mérida (d'après H. Terrasse, *L'Art hispano-mauresque des origines au XIII^e siècle*, Paris,1932) et Badajoz (d'après M. Lozano, *Badajoz y sus murallas*, Ayuntamiento de Badajoz, Badajoz, 1983).

CS Scanné avec CamScanner

مخطط لقصبة ماردة ، cristophe picard : op , cit , p.340

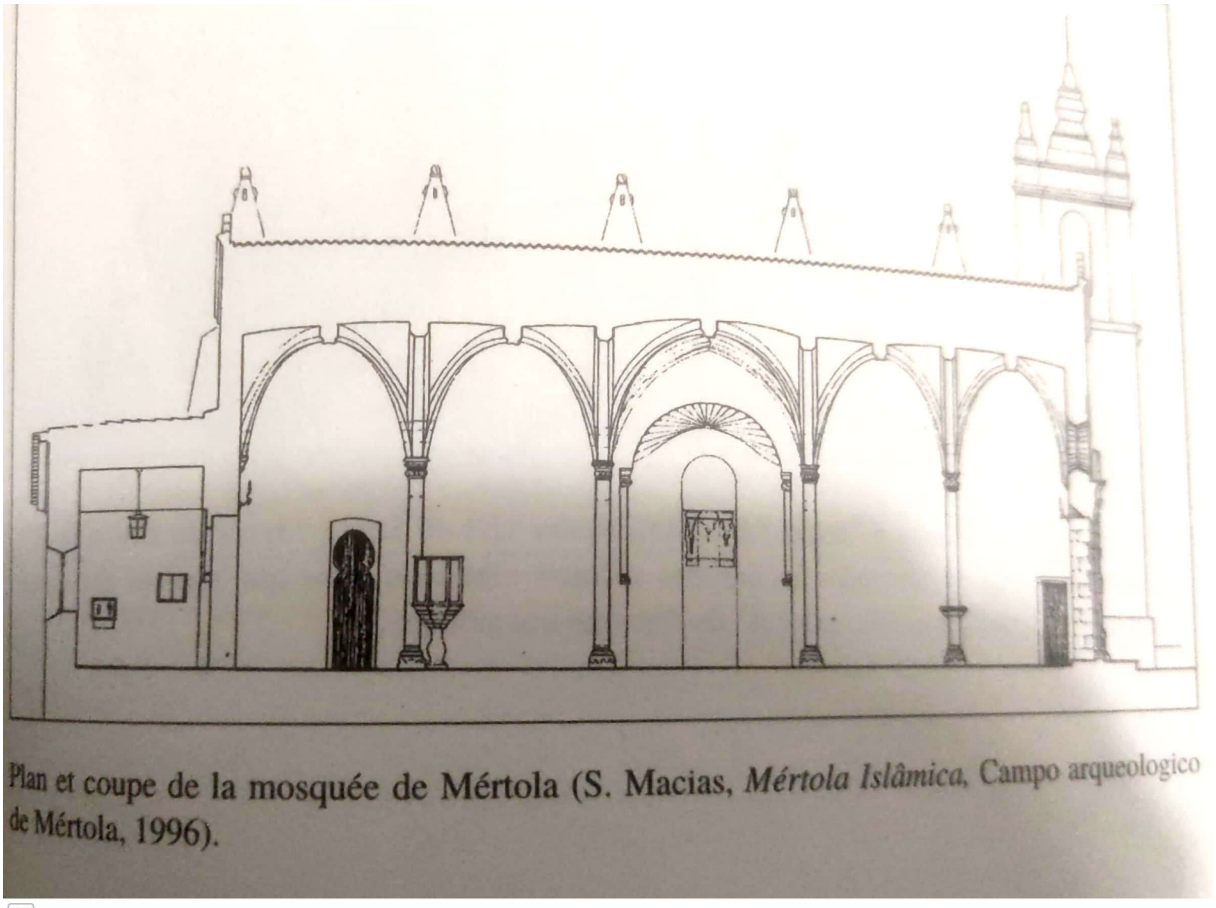

Plan et coupe de la mosquée de Mértola (S. Macias, *Mértola Islâmica*, Campo arqueologico de Mértola, 1996).

CS Scanné avec CamScanner

مخطط افتراضي لمسجد ميرتلة من طرف الأثري S.Masias ، مأخوذة من كتاب :

Cristophe Picard : op , cit , p.343

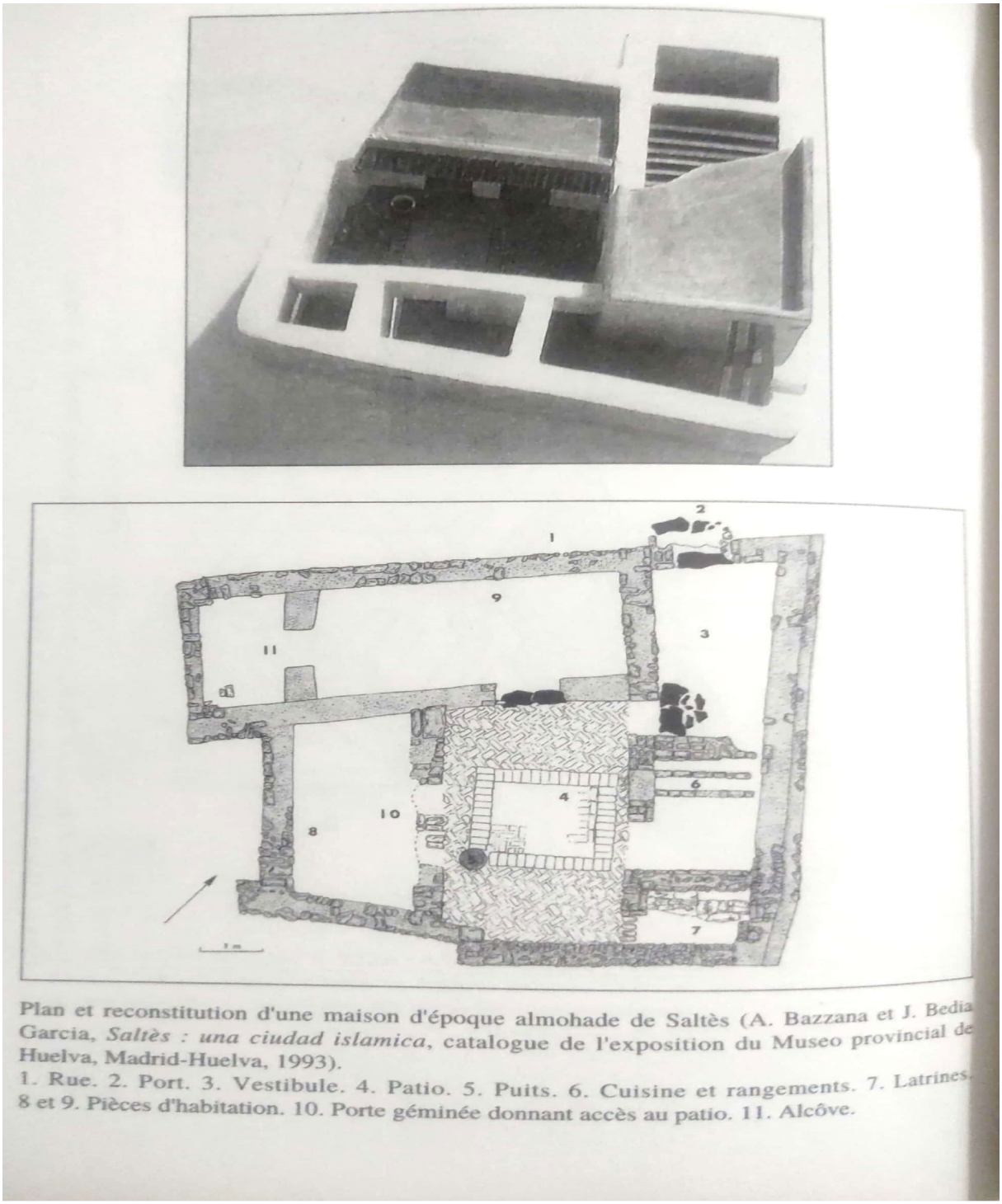

Plan et reconstitution d'une maison d'époque almohade de Saltès (A. Bazzana et J. Bedia Garcia, *Saltès : una ciudad islamica*, catalogue de l'exposition du Museo provincial de Huelva, Madrid-Huelva, 1993).
1. Rue. 2. Port. 3. Vestibule. 4. Patio. 5. Puits. 6. Cuisine et rangements. 7. Latrines. 8 et 9. Pièces d'habitation. 10. Porte géminée donnant accès au patio. 11. Alcôve.

CS Scanné avec CamScanner

مخطط لمنزل بمدينة شلطيش خلال فترة الموحدية وإعادة تصميمه من طرف العالم الأثري Bazzana ، مأخوذة من كتاب :

Cristophe Picard : op , cit , p.346

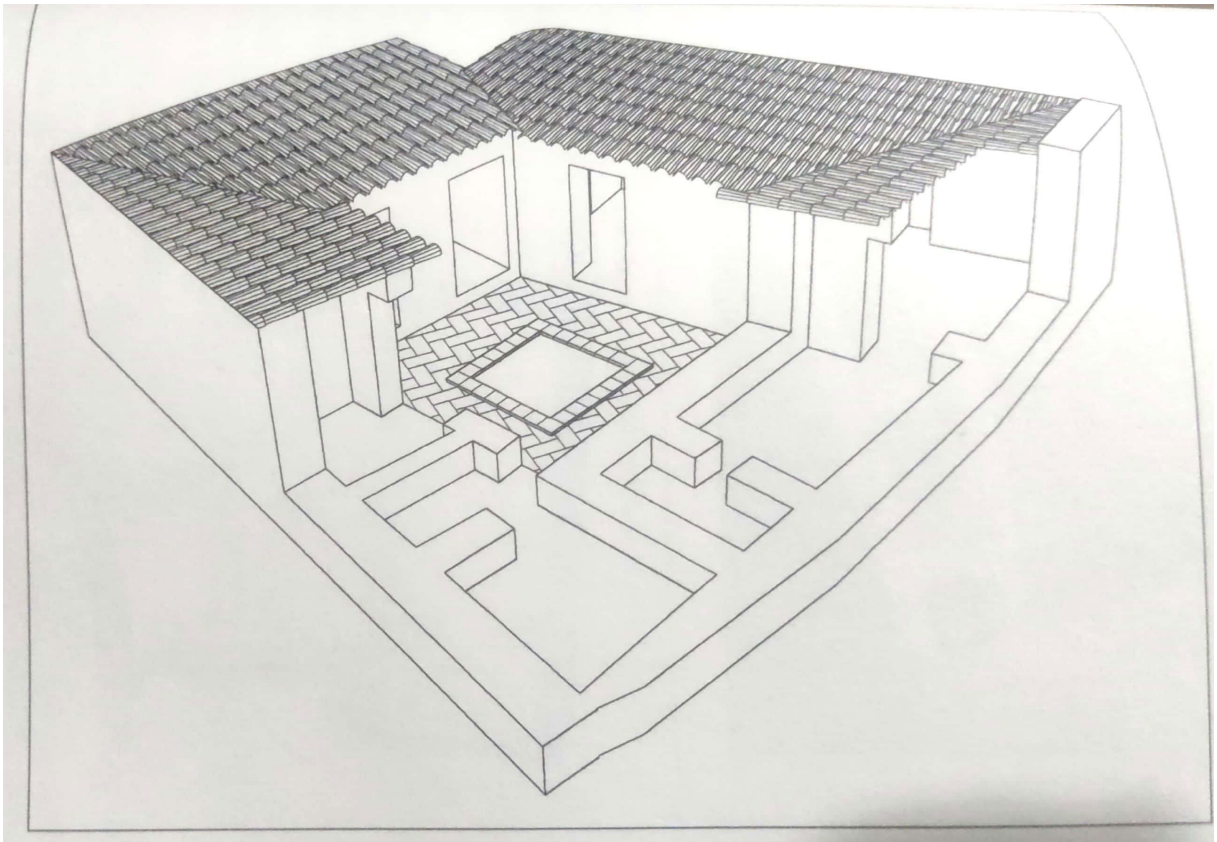

Reconstitution d'une maison d'époque almohade de l'Alcaçova de Mértola (S. Macias, *Mértola Islâmica,* Campo arqueologico de Mértola, 1996).

Scanné avec CamScanner

إعادة تصميم لمنزل من حي ألكاسوفا بميرتلة خلال الفترة الموحدية من طرف الأثري S.Masias ، مأخوذة من كتاب :

Cristophe Picard : op , cit , p.345

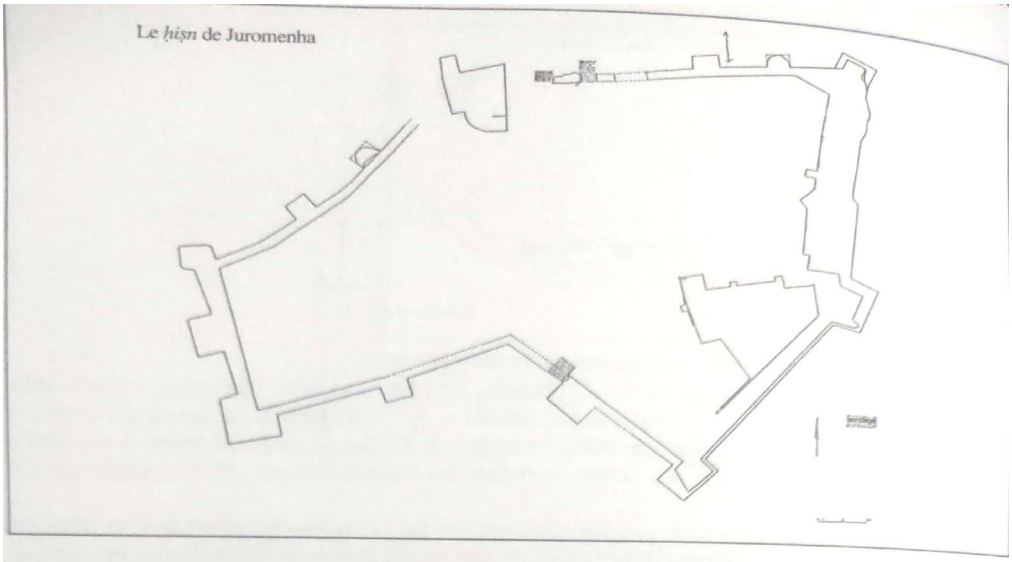

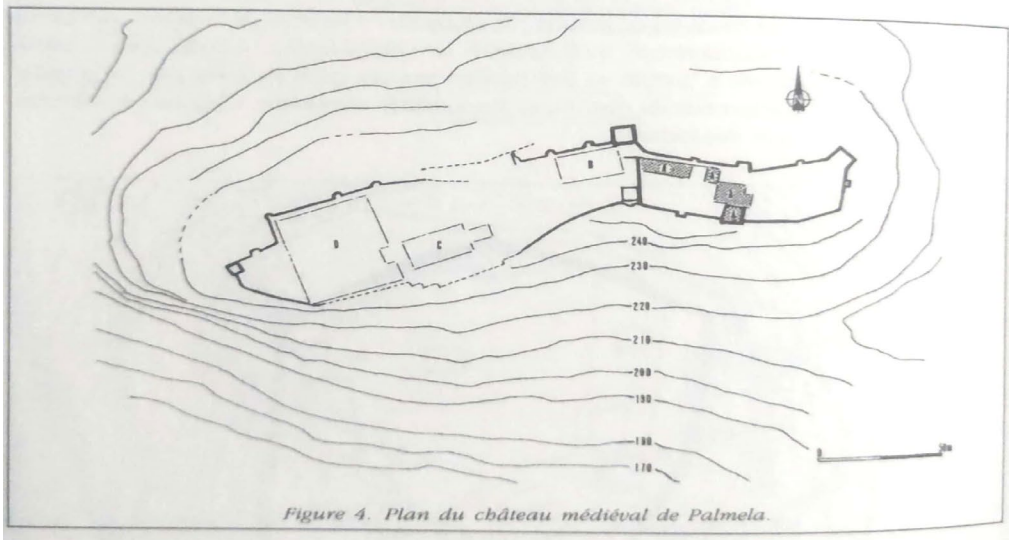

Figure 4. Plan du château médiéval de Palmela.

Les *ḥuṣūn* de Juromenha et Palmela (I.C. Fernandes, in *Portugal Islâmico. Os ultimos sinais do Mediterrâneo*, Museu nacional de Arquologia, Lisbonne, 1998).
Palmela, dans la presqu'île de Setùbal, habité par intermittences, et Juromenha, au sud d'Elvas et de Badajoz, édifié pour recevoir une garnison et les populations en cas de danger, constituaient des maillons de la défense régionale. Palmela faisait partie du dispositif assurant la surveillance et la protection des deux estuaires du Tage et du Sado ; Juromenha était l'un des *ḥuṣūn* formant une ceinture défensive autour de Badajoz. Les deux forteresses se trouvaient également au milieu de riches terroirs agricoles : les fonctions militaire et économique sont complémentaires.

CS Scanné avec CamScanner

مخطط لحصن جلمانية في الأعلى وبالمالة في الأسفل خلال العهد الإسلامي . مأخوذة من كتاب :

Cristophe Picard : op , cit , p. 342 .

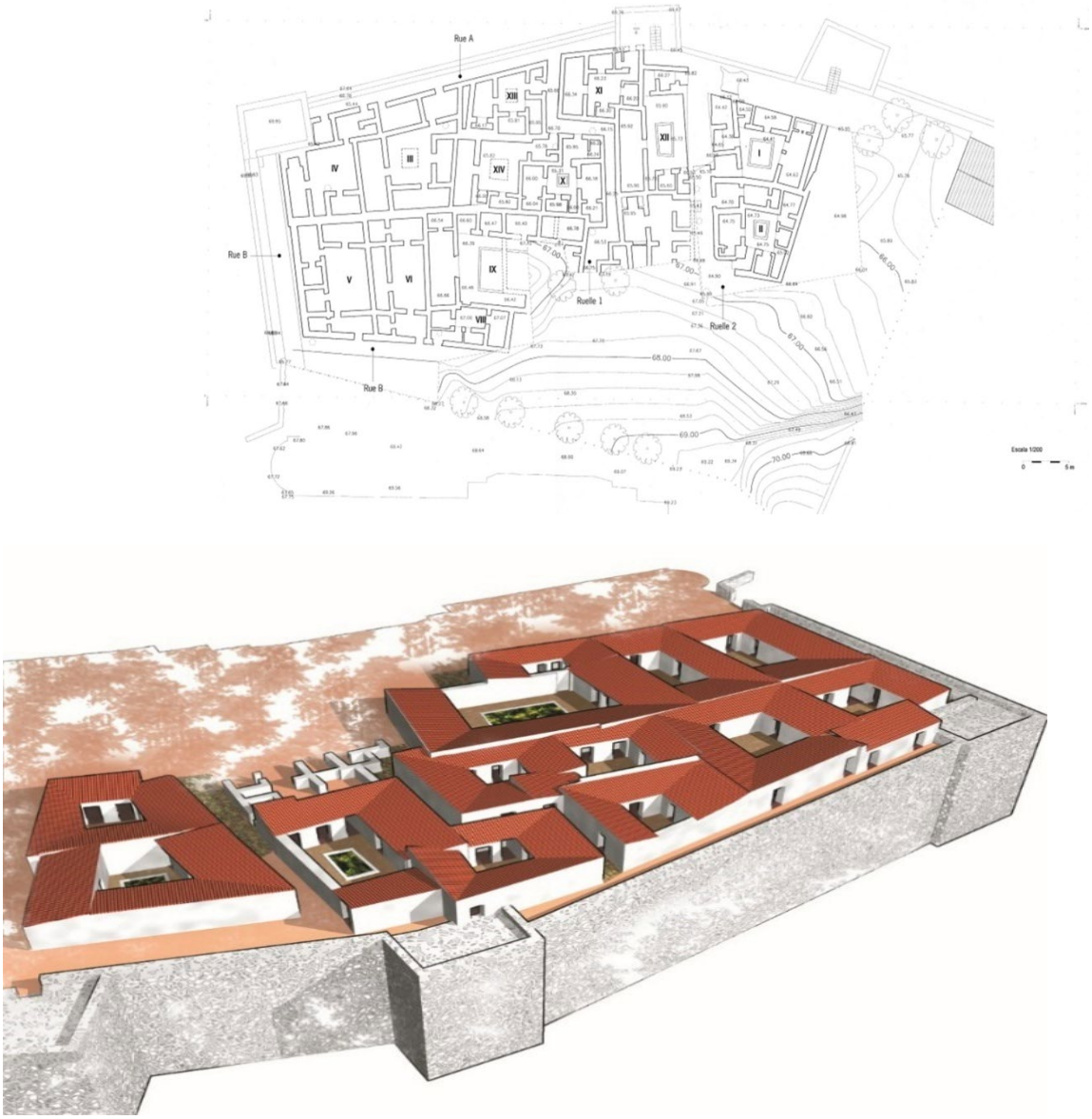

مخطط لحي ألكاصوفا بميرتلة خلال العهد الموحدي وإعادة تصميمه من طرف الأثري S.Masias ، مأخوذة من المقال :

Houses and Daily Life in Islamic Portugal (12th–13thCentury): Mértola in the Context of Gharb

Câmara Municipal de Lisboa, Rua do Machadinho 20, 1249-150 Lisboa, Portugal; Received: 31 July 2018; Accepted: 1 November 2018; Published:

الآثـــار

صورة رقم : 3

لوحة تذكارية للشاعر ابن دراج القسطلي موضوعة بمدخل قرية Cacella Velha البرتغالية موطن الشاعر ، مأخوذة من الموقع :

www.alamy.es

آثار بناية إسلامية في ميرتلة (الغرفة الرئيسية بالمنزل)

بقايا لمطبخ يعود للفترة الإسلامية بمدينة ميرتلة

Santiago Macias :

Houses and Daily Life in Islamic Portugal (12th–13th century) : Mértola in the Context of Gharb Câmara Municipal de Lisboa, Rua do Machadinho 20, 1249-150 Lisboa, Portugal Received: 31 July 2018; Accepted: 1 November 2018; Published: 6 November 2018

الفنون الإسلامية بالبرتغال

(الزخرفة الفخارية)

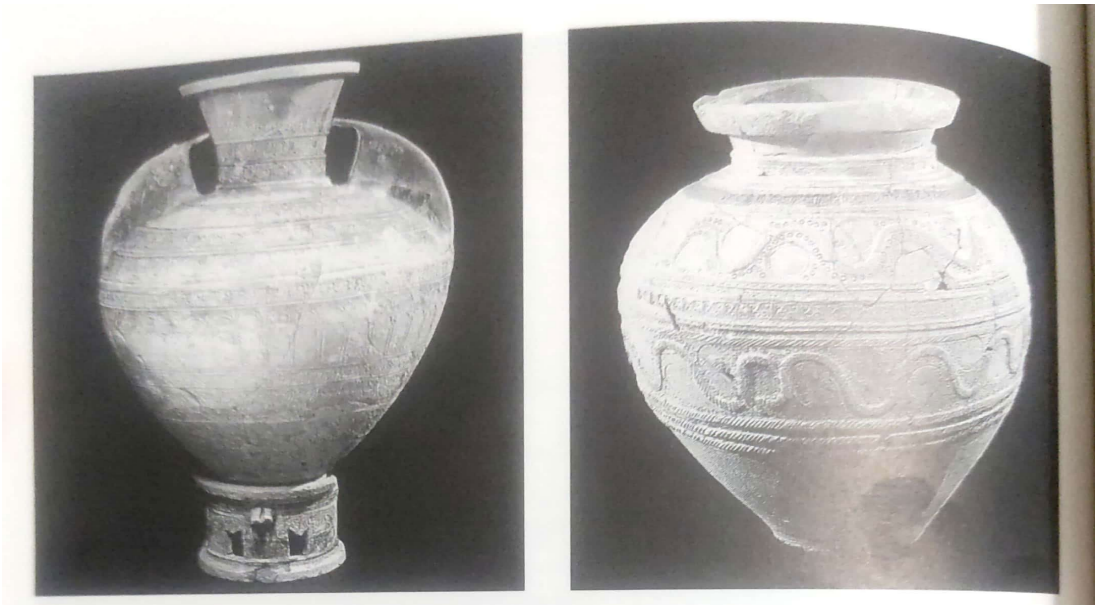

Deux jarres fin XII[e] siècle-début XIII[e] siècle, Mértola (*Portugal Islâmico. Os últimos sinais do Mediterrâneo*, coord. C. Torres et S. Macias, Museu nacional de Arqueologia, Lisbonne, 1998).

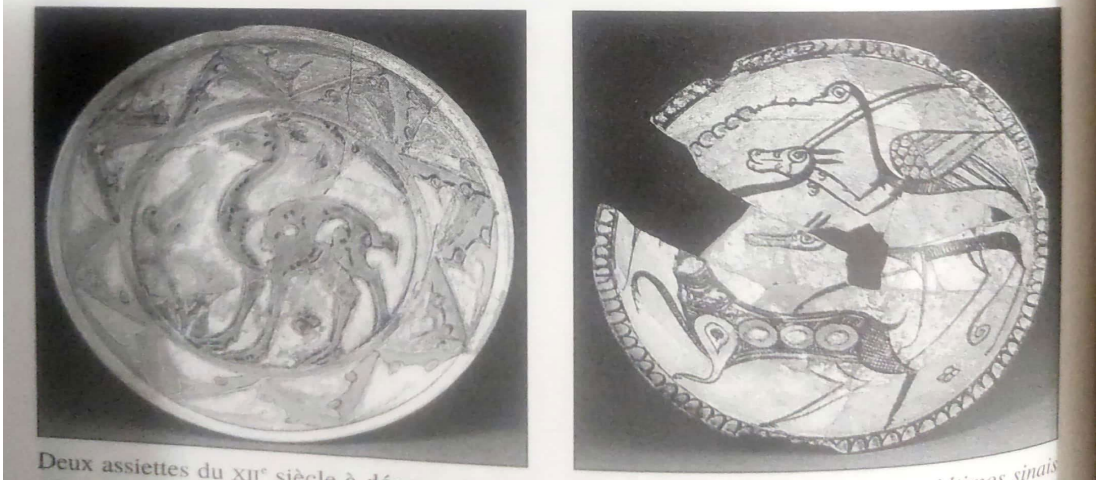

Deux assiettes du XII[e] siècle à décor animalier, Mértola (*Portugal Islâmico. Os últimos sinais do Mediterrâneo*, coord. C. Torres et S. Macias, Museu nacional de Arqueologia, Lisbonne, 1998).

CS Scanné avec CamScanner

جرّتين وصحنين من العهد الإسلامي بالضبط القرن 12 م بمدينة ميرتلة الإسلامية .

Cristophe Picard : op , cit , p.221

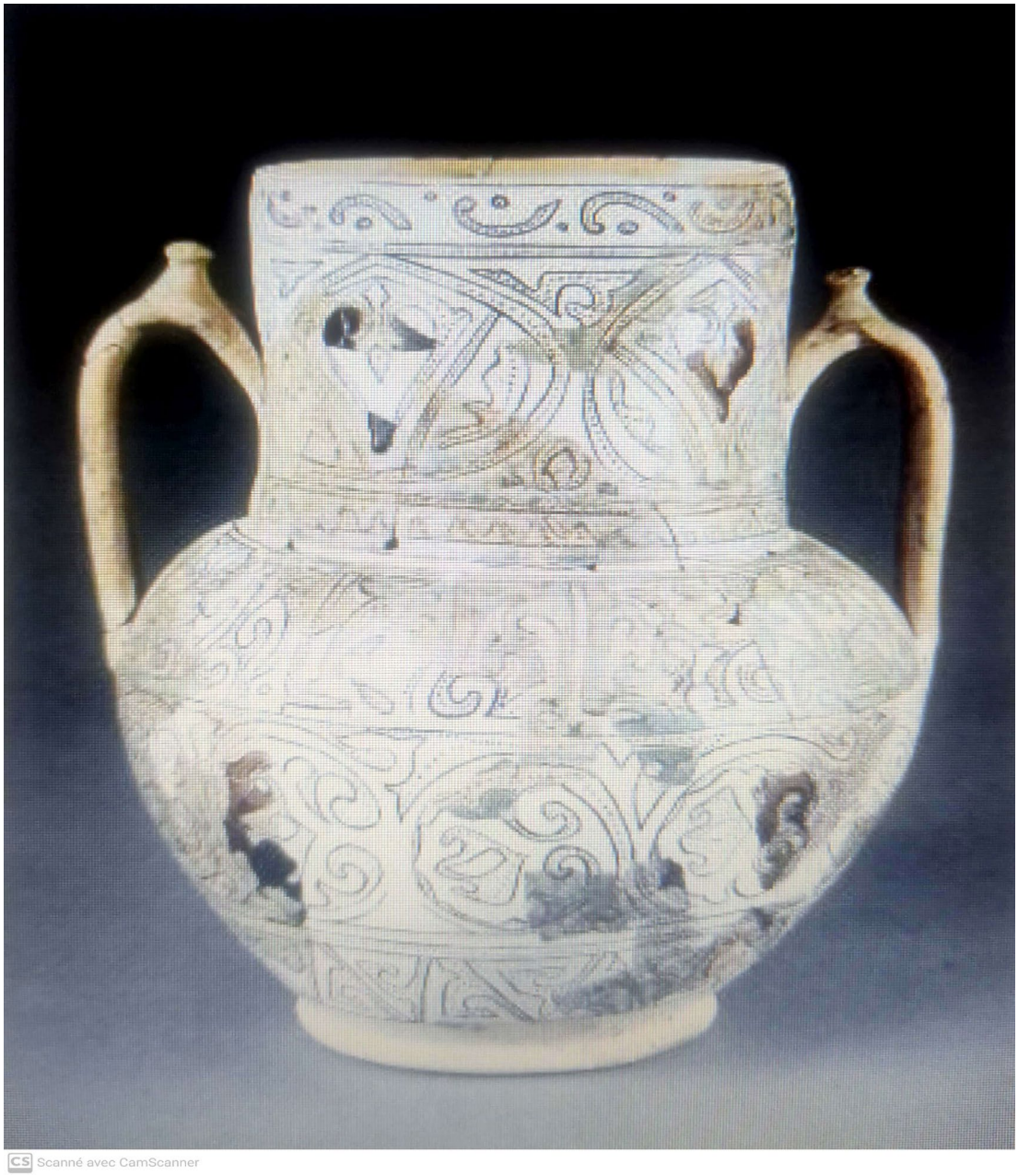
Scanné avec CamScanner

جرّة كبيرة تعود للعهد الإسلامي عثر عليها في حي ألكاصوفا بميرتلة متواجدة حاليا بمتحف باجة بالبرتغال . مأخوذة من المجلة التاريخية:

Portugal islamico , os ultimos sinais do Mediterraneo , p.89

قائمة

البيبليوغرافيا

المصادر والمراجع باللغة العربية:

أولا : المصادر:

1. ابن الأثير الجزري (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) : الكامل في التّاريخ، مراجعة وتصحيح: يوسف الدقّاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المجلد 8، ط1، 1987م
2. ابن الفرضي (عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرطبي) ت. 403 هـ / 1013 م: تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، المجلد 3، دار الكتاب المصري، القاهرة ، ط.2، 1989 م
3. ابن القطّان المراكشي(أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي) : نظم الجُمان لترتيب ما سلف من أخبار الزّمان، دراسة وتحقيق: محمود علي مكّي، دار الغرب الإسلامي، 1980
4. ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر
5. ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط، تح: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسبانية، 1971
6. ابن بسام الشنتريني (أبو الحسن علي) ت. 542 هـ / 1147 م: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، المجلد 1و 2، القسم 1 و 2 ، دار الثقافة، بيروت، 1997 .
7. ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد): جمهرة أنساب العرب تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط.5، دار المعارف، مصر

8. ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : إحسان عباس ، المجلد 5 و 7 ، دار صادر ، بيروت
9. ابن دحية الكلبي (أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي) ت. 633 هـ / 1235 م : المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق: الأستاذ إبراهيم الأبياري، الدكتور حامد عبد المجيد، الدكتور أحمد أحمد بدوي ، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان
10. ابن حوقل النصيبي: ت.367 هـ/ 977 م: كتاب صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
11. ابن بشكوال(أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ت. 578 هـ / 1182 م : الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج3، المجلّد 13، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ط1، 1989م
12. ابن عذاري المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد) عاش خلال القرن 7هـ/ 13 م : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح. ليفي بروفنسال و ج. كولان، ج2، دار الثّقافة، بيروت، لبنان
13. ابن أبي أصيبعة أبو العباس (أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين) ت. 668 هـ / 1269 م : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : الدكتور نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت
14. أبو الفدا(عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر) : تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1860
15. (البيذق) أبو بكر بن علي الصنهاجي: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحّدين، دار المنصور للطّباعة والنّشر، الرّباط، 1971

16. الاصطخري(أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي) : المسالك والممالك، مطبعة بريل ، لندن ، 1937 م

17. البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد) : المسالك والممالك ، تحقيق: جمال طلبة ، ج. 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط.1 ، 2003 م

18. الحميري(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) ت. 866 هـ/1461 م : صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، دار الجيل، لبنان، ط2، 1988

19. الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر) : كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، مصر

20. الشريف الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني) ت. 560 هـ / 1165 م: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد 1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2001 م

21. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، ج2 وج3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977م

22. الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، 1967، بيروت

23. عبد الرحمان ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، ج4 وج6، دار الفكر والنشر والتوزيع، 2000م

24. عبد الملك(ابن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي المعروف با بن صاحب الصلاة) :المن بالإمامة (تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين) ،تح. عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

25. الفاسي (علي ابن أبي زرع): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطّباعة والوراقة، 1972م
26. القزويني(زكريا بن محمد بن محمود) : آثار البلاد وأخبار العباد، طبع بليدن، 1848
27. لسان الدين بن الخطيب: كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، لبنان، ج2، ط2، 1956
28. مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، تح. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، ط2، 1989م
29. مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرّشاد الحديثة، الدّار البيضاء، ط1، 1979م
30. مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تح. لويس مولينا، ج1، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، إسبانيا، 1983.
31. محمد بن تومرت: أعز ما يُطلب، تحقيق: عمّار طالبي، الجزائر العاصمة الثقافة العربية،2007
32. محمد بن تومرت: أعز ما يُطلب، مشتمل على جميع تعاليق الإمام محمد بن تومرت ممّا أملاه أمير المؤمنين عبد المؤمن رحمه الله، 1903
33. مذكّرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التّبيان، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر.
34. المغربي ابن سعيد: بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: خوان قرنيط خينيس ، معهد مولاي الحسن ، تيطوان ، المغرب ، 1958 م
35. المغربي ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، تح. شوقي ضيف ، ج.1 ، دار المعارف ،القاهرة ، ط.4.

36. المقرّي(شهاب الدين أحمد بن محمد)ت. 1041 هـ/ 1631 م : نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، ج1، تح. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1998م.

ثانيا : المراجع

1. إبراهيم علي طرخان : دولة القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية، 1958م
2. أشباخ يوسف : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1
3. أمبروسيوهويثي ميراندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحّدية، تر: عبد الواحد أكمير، النجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 2004
4. أحمد محمود النشار: تأسيس مملكة البرتغال السياسة الخارجية لألفونسو هنريكز ملك البرتغال (1128 _ 1185 م / 522 _ 581 هـ) ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط.1 ، 1995.
5. " " " " " : دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، ط1، عين للدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2007
6. " " " " " : دراسات في تاريخ الحروب الصّليبية في الأندلس، عين للدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2003م
7. " " " " : علاقة مملكتي قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك (1260-1341م/658-741هـ)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1997
8. أميركو كاسترو: إسبانيا في تاريخها (المسيحيون والمسلمون واليهود)، ترجمة: علي إبراهيم منوفي، المجلس الأعلى للثّقافة، مصر، ط1، 2003

9. الباز العريني: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النّهضة العربية، بيروت، لبنان، 1976م
10. جوناثان رايلي سميث: الاسبتارية (فرسان القدّيس يوحنّا في بيت المقدس وقبرص، 1050م–1310م)، ترجمة: العميد الرّكن صبحي الجابي، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، ط1، 1989م
11. حتاملة محمد عبدو: الاعتداءات الإفرنجية (الصّليبية) على ديار العرب في الأندلس والمشرق (حرب متواصلة على الإسلام)، عمان، الأردن، 2001
12. الحجي عبد الرّحمان علي: التّاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتّى سقوط غرناطة، (92هـ–897هـ/711م–1492م)، دار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1981م
13. حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر
14. حسين مؤنس: رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس، مكتبة الثّقافة الدّينية، ط1، 2000
15. حسين مؤنس : فجر الأندلس (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدّولة الأموية (711هـ – 756هـ)، الدّار السّعودية للنّشر والتّوزيع، جدّة، ط2، 1985م
16. حسين يوسف دويدار: المسلمون المدجنون في الأندلس ، مطبعة الحسن الإسلامية ، ط.1 ، 1993 م.
17. رينهرت دوزي : المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، 1995، مصر، ج3 .
18. السّامُرّائيّ خليل إبراهيم وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2000م

19. السّرجاني راغب: قصّة الأندلس من الفتح إلى السّقوط، مؤسّسة اقرأ للنّشر والتّوزيع، ط1، 2011م،

20. سحر السيد عبد العزيز سالم : مدينة قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري للأندلس في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1990

21. " " " " " : تاريخ بطليوس وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، ج2، 1991

22. " " " " " : تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، 1984؛

23. عباس نصر الله سعدون: دولة المرابطين في المغرب والأندلس (عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين)، دار النّهضة العبرية، بيروت، لبنان، ط1، 1985م

24. الشعراوي أحمد إبراهيم: الإقطاع وأوروبا في العصور الوسطى، المطبعة العالمية، القاهرة، مصر، 1970

25. العبادي أحمد مختار : في تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت

26. عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية (قاعدة أسطول الأندلس)، مؤسّسة شباب الجامعة للطّباعة والنّشر، 1984

27. عجيبة أحمد علي : البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، مكتبة المهتدين الإسلامية، ط1، 1991

28. محمد شيت خطاب: قادة فتح الأندلس ، المجلد 2 ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ط.2 ، 2003 م

29. محمّد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، العصر1، القسم 2 ، من الفتح إلى بداية عهد النّاصر، مكتبة الخانجي، القاهرة،، مصر، ط4، 1997م

30. " " " " : دولة الإسلام في الأندلس، العصر1، القسم1، من الفتح إلى بداية عهد النّاصر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط4، 1997م

31. " " " " : دولة الإسلام في الأندلس، العصر3 ، عهد المرابطين والموحدين في الأندلس ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط.2 ، 1990 م .

32. " " " " " : الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط.2 ، 1997 م

33. فرانسوا دوكريه : قرطاجة أو إمبراطورية البحر ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط.1 ، 1996 م ، دمشق

34. فرانشيسكو قوديرا : من التاريخ السياسي لغرب الأندلس ، تر. محمد عبد الحميد عيسى ، مطبوعات قسم العلوم الإجتماعية ، عين شمس ، مصر ، 1990

35. عصام الدّين عبد الرّؤوف الفقّي: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشّرق، القاهرة، مصر

36. عبادة كحيلة: القطوف الدّواني في التّاريخ الإسباني، مكتبة فلسطين للكتب المصوّرة، ط1، 1998م

37. كولان ج. س.: الأندلس، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللّبناني، بيروت

38. كونتنو : الحضارة الفينيقية ، تر. محمد عبد الهادي شعيرة ، مراجعة : طه حسين ، مركز كتب الشرق الأوسط ، مصر

39. ليونارد باتريك هارفي : المدجنون ، من كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ج.1 ، تحرير : سلمى الخضراء الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط.1 ، 1998 م ، بيروت

40. محمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي (دراسة في التاريخ السياسي والحضاري)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1996
41. المطوي محمّد العروسي: الحروب الصّليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982م
42. مونتغمري وات: في تاريخ إسبانيا الإسلامية، تر. محمّد رضا المصري، شركة المطبوعات للتّوزيع والنّشر، ط2، 1998م،
43. النجار عبد المجيد: المهدي بن تومرت (حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983
44. نعنعي عبد المجيد : تاريخ الدولة الأموية في الأندلس (التاريخ السياسي) ، دار النهضة العربية ، بيروت .
45. هشام أبو رميلة: علاقات الموحّدين بالممالك النّصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، نابلس
46. يولي بركوفيتشتسيركين : الحضارة الفينيقية في إسبانية ، تر.يوسف أبي فاضل، مراجعة : ميشال أبي فاضل ، جروس برس ، بيروت ، 1987 م

ثالثا : الرسائل الجامعية

1. بوالصوف فضيل: العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف (ق5ه/11م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية: 2010-2011
2. بوشريطأمحمد : ظاهرة البيوتات الأندلسية ودورها الثقافي 300ه – 460 ه / 912 م – 1067 م ، أطروحة لنيل شهادة الدكتورا في تاريخ المغرب الإسلامي ، إشراف :

محمد بن معمر ، قسم التاريخ ، جامعة وهران ، السنة الجامعية : 2011 – 2012 م

3. الجرو علي دياب : الخدع العسكرية للمسلمين في الأندلس من الفتح إلى السقوط (92هـ-897هـ/711م-1492م)، رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف: خالد يونس الخالدي، قسم التاريخ، غزة، فلسطين، السنة الجامعية 2014م/1435هـ
4. حسين عبد الرحيم سليمان مصطفى: دور عبد المؤمن بن علي الكومي بنشر دعوة ابن تومرت وإقامة دولة الموحّدين في المغرب الإسلامي (المغرب والأندلس) 510هـ-558هـ، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في التّاريخ، إشراف: محمد عبدو حتاملة، كلية الدّراسات العليا، الأردن، 1993
5. زناتي جلال : مملكة قشتالة وليون في عهد ألفونسو السادس (1065-1109هـ/457-502م)، رسالة لنيل درجة الماجستير في الآداب من قسم التاريخ، إشراف: عمران وكمال السيد أبو مصطفى، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، الإسكندرية، مصر، 2010
6. السُّلمي إبراهيم بن عطية الله بن هلال: العدوة الأندلسية منذ عصور ملوك الطّوائف إلى سقوطها في أيدي الإسبان (422-867هـ/1030-1462م) دراسة سياسية حضارية، بحث مقدّم للحصول على درجة الدّكتوراه في التّاريخ الإسلامي، إشراف: سعد بن عبد الله البشري، قسم الدّراسات العليا التّاريخية والحضارية، جامعة أمّ القرى، المملكة العربية السّعودية، 1430هـ
7. سمور قتيبة علي إبراهيم: العلاقات الحربية بين الموحّدين والممالك الإسبانية في شمال الأندلس (540-620هـ/1145-1225م)، إشراف محمد عبده حتاملة، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الدّراسات العليا، الأردن،

8. عيفة عبد الوهاب : الغزو النورماندي لفرنسا وإسبانيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: باقة رشيد، قسم التاريخ، جامعة باتنة، السنة الجامعية: 2014/2013
9. الكردي نيفين ظافر حسيب: الأوضاع الدّينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوروبي من القرن التاسع حتّى القرن الحادي عشر، قدّمت الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف : رياض مصطفى أحمد شاهين ، قسم التاريخ و الآثار ، غزة ، فلسطين
10. النوايسة رابعة محمود: بداية تكوين الممالك الإسبانية وتوسعها وسقوط مدينة برشلونة بيد الإسبان، رسالة مقدّمة لعمادة الدّراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ، إشراف أ. د: محمد العمايرة، قسم التاريخ، جامعة مؤتة، السنة الجامعية 2014م،

رابعا : الموسوعات

1. بروي إدوارد : موسوعة تاريخ الحضارات العام ، القرون الوسطى ، تر.يوسف أسعد داغر و فريد داغر ، ج.3 ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط.1 ، 1986م
2. وايريل ول ديورانت: قصّة الحضارة، ج1، م4، تر: محمد بدران

خامسا : المقالات:

1. أومزدي رفقة : بصمات الإشعاع العربي الأندلسي على الهوية البرتغالية ، مقال الكتروني نشر بتاريخ : 12 أوت 2018 ، www.alaraby.co.uk
2. البشري سعد عبد الله : جماعة الفرسان الدّينية الإسبانية وحروبها مع المسلمين في الأندلس، مقال نُشر بمجلّة جامعة أمّ القرى، العدد السّابع، 1992م/1993م

3. البنا شيماء عبد الحميد : أثر الهوية الثقافية غرب الأندلس ، مقال نشر في مجلة وقائع تاريخية ، عدد يوليو 2020 ، الجزء الثاني
4. " " " " : قراءة في تاريخ مدن الغرب الأندلسي (سقوط قلمرية 456هـ/1064م)، مقال بدورية كان التاريخية (مجلة محكمة)، العدد 32، جوان 2016
5. بوكنة عبد العزيز : المواجهة بين الصّليبيين (البرتغاليين) والمرابطين في الأندلس وسواحل المغرب، مقال نُشر بالمجلّة الجزائرية للبحوث والدّراسات التّاريخية المتوسّطية، العدد الثّالث، جوان (رمضان) 2016م/1437هـ
6. الحمداني ماجد أحمد علي : الفينيقيون في شرق وغرب البحر المتوسط ، مقال نشر في مجلة دراسات في التاريخ والآثار ، مجلد 2017 ، العدد 57 ، كلية الآداب ، جامعة بغداد
7. الرحيلي وفاء بن عبيد : الدور العسكري للحصون الأندلسية في القرنين (3 – 4 هجري / 9 – 10 ميلادي) ، مقال نشر بمجلة جامعة الملك عبد العزيز للآداب والعلوم الإنسانية ، مجلد 26 ، العدد 1 ، 2018
8. سالم بن عبد الله الخلف : نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس ، مقال نشر يوم : 4 / 9 / 2016 ، في الموقع : www.islamstory.com
9. عادل عبد الحافظ حمزة: الحرمان الكنسي في العصور الوسطى حتّى نهاية النّصف الأول من القرن 13م، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر، العدد 5، يناير 1999
10. عجلان عامر حسن أحمد : العمائر الحربية الأندلسية (القصاب نموذجا) ، مقال نشر بمجلة كان التاريخية ، العدد 32 ، السنة التاسعة ، 2016

11. العلوي هاشم : غرب الأندلس من خلال الجغرافيين العرب، مقال بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة فاس (المغرب)، العدد 11، 1990
12. القاضي محمد : المراكز الحضارية في البرتغال الإسلامية ، مقال نشر يوم : 24 ماي 2016 بالموقع الالكتروني : www.Islamstory.com
13. " " " " : البرتغال الإسلامية، مقال نُشر يوم 16 ماي 2016، إشراف: راغب السرجاني، الموقع: www.Islamstory.com
14. النشار أحمد محمود: خاتمة الوجود الإسلامي في غرب الأندلس، مقال بمجلّة المؤرّخ العربي، العدد9، مارس 2001

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

أولا : المصادر الأجنبية :

1. Appien : Roman Historywithanenglish translation by Horace White ,WILLIAM HEINEMANN LTD ,LONDON ,1912
2. CronicasAnonimas de Sahagun, Nueva Edition, precedidade unEstudiocriticopor D. Julio Puyol y Alonso, Madrid, 1920
3. Don Pelayo : Chronicadelobispo, Edicionpreparadapor : B. Sanchez Alanson, Madrid, 1924
4. Isidore of Seville : History of the Goths, Vandals and Suevi, translated from theLatin by: Guido Domini and Gorden B. Ford, Leiden, Ejbrill, 1970, 2nd edition

المراجع الأجنبية:

1. A.Celliez : les reines d'Espagne suivies des reines de Portugal ,Lehuby Libraire – Editeur , Paris
2. Anderson James Maxwell :The History of Portugal , Green Wood Press , London , 2000

3. Bernard S.Bachrach : AHISTORY OF ALAINS in the West (from the first appearance in the sources of classicalAntiquitythrough the Early Middle Ages),University of Minnesota Press , Minneapolis, 1973
4. Bouchot Auguste : Histoire du Portugal et de ses colonies , Librairie de L.Hachette , Paris , 1854
5. Bradley Henry : The Story of the Goths from the earliest Times to the end of the Gothic Dominion in Spain , Putnam Sons , New York ,1888
6. cardinal Hergenrether : Histoire de L'Eglise ,t4 , Librairie Victor Palmé , Paris
7. Charles Pierre Rémy : Lisbonne, édition Marcus, Paris, 2007.
8. Chaumeil De Stella : Essai sur l'histoire du Portugal depuis la fondation de la monarchie jusqu'à la mort de D. Pedre IV (1080-1834) , T1, Bruxelles, 1841
9. Christian : Le Portugal , Edition Karthala ,Paris Rudel.
10. Clayton N Donoghue : History of celts ,FriesenPress , Canada , 2013.-
11. -Collin Roger :Visigothic Spain 409 – 711 , Black Wellpublishing , 2004.
12. Diaz Juan Carlos Lopez, Javier Jimenez Avila, Félix Palma Garcia : Historia de Mérida, Tomo1, de los antecedentes de SugustaEmerita al fin de medievo, consorcio de la Gudad Monumental Historico – Artistica y Arqueologica de Mérida, Mérida, 2018
13. Daithi O Hogain : Ahistory of the celts, the BoydellPress , UK, 2002.
14. Daniel Minard : Les templiers gardiens de la terre sainte et des reliques de la tombe du Christ, édition Publibook, 2001
15. Denis Ferdinand : Le Portugal, Firmin DidotFréres Editeurs ,Paris

16. Denis Jean : MedievalArmies and western Europe, Anillustration history, Mc Forland and Company, inc, publishers Jefferson, North Carolina and London, 2005.
17. Disney A. R : A History of Portugal and Portuguese Empire, V1, University of Cambridge, 2009.
18. Doran John and Damian J.Smith : Pope Innocent 2 (1130 – 1143) ,Routledge , 2016.
19. Douglas L Wheeler , Walter C.Opello : HistoricalDictionary of Portugal , The ScareowPress , Lanham , Toronto , Plymouth , UK, 2010.
20. Dunham Samuel Astley :History of Spain and Portugal, V1, Carey and Lea, Chestnut Street, 1832.
21. E. O'Callaghan Joseph : Reconquest and crusade in Medieval Spain , university of Pennsylvaniapress , 2003.
22. """""""""""": A history of Medieval Spain, Cornell University Press, 1st published, 1975.
23. ForriaD'Orban : Histoire Générale du Portugal depuis l'origine des Lusitaniens jusqu'à la régence de Dom Miguel, T3, chez Gauthier Frères Librairie.
24. " " " " " " : histoire Général de portugal, depuis des lusitaniens jusqu'à la regence de don Miguel , t.1 , chez gauthierFréres et libraires, Paris
25. G. Desdevises du Dezett : Les Wisigoths, Henri Delesque Imprimeur Libraire, 1891.
26. Helen J. Nicholson : The knights hospitaller, the Boydelpress, 2001.
27. Herculano : Historia of Portugal ,desde o comeco da monarchiaaté o fim do Reinado de affonso 3 , Tomo1 , LivrariaEditora Tavares, Lisboa, ,cardoso
28. Hugh Kennedy : Muslim spain and Portugal (apoliticalHistory of Al-Andalus), Routledge, 1st published, 1996.

29. Jorge C Arias : IDENTITY AND INTERACTION : The Suevi and the Hispano – Romans ,University of Verginia , 2007.
30. Julian de Francisco Martin:Conquista y Romanizacion de Lusitania, EdicionesUniversidad da Salamanca, 2em Edicion, 1996
31. John Doran and Damian J.Smith : Pope Innocent 2 (1130 – 1143), ,Routledge , 2016
32. Keppen Adulphus Louis : World in the middle ages an historicalgeography, Appleton and Company, London
33. Livermore H.V : A hisyory of Portugal , Cambridge at the UniversityPress , 1947.
34. " " " " " " ": A new history of Portugal, Cambridge UniversityPress, 2nd edition, 1976.
35. M. de Marlès : Histoire de Portugal d'après la grande histoire de Schaffer, Parent Desbarres éditeur et directeur de l'Encyclopédie de la révue et Musée Catholiques, Paris, 1840
36. Malcom Todd : The EarlyGermans ,BlackWellPublishing , second eddition ,2004
37. Pearce William : History of Spain and Portugal, William Collins, sons, Company, 1878
38. M. Val Parisot : Petite histoire de Portugal, Hachette, Paris, 1841
39. M. Paquis : Histoire d'Espagne et Portugal, T. 1er, Paris.-
40. Mackay Angus: Spain in the middle agesfromfrontier to empire, (1000-1500), Macmillan, 1st published, 1977.
41. Marc L odewijcks ARCHAEOLOGICAL ASPECTS OF WEST – EUROPEAN SOCIETIES , Leuven UniversityPress , 1996.
42. Martin Julian de Francisco : Conquista y Romanizacion de Lusitania , EdicionesUniversidad da Salamanca , 2em Edicion , 1996.
43. Michael Gerli : Medieval Iberia an encyclopedia, Routledge, New York, 2003.
44. Morse Stephens : The Story of the Nations , Portugal , 1 stEddition , outlookverlag , Germany , 2020.

45. .Masias , Suzana Gomez y c.Torres : Las CiudadesdelGarb al-Andalus , Diputacion de Toledo , 2007
46. . Macias :Mértola Islamica –Estudo Historico – Arqueologico do bairro da Alcaçova (séculos 12 – 13) Campo Arquéologico de Mértola , 1996
47. Nouvelle Biographie Universelle depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours , Firmin Didot Fréres , t.2 , Paris
48. Nicholas Marton : The MedievalMilitaryOrders(1120 – 1314) , - Routledge , London , 2013
49. Olievera Marques : Histoire de Portugal et de son empire colonial, traduitdu portugais par : Marie Hélène Boudrillart, édition Karthala, 2ème ed, 1998.
50. pays D'islam et Monde Latin (textes et documents) , Collection D'histoire et D'archéologie médievales , Presses Universitaires de Lyon
51. Paul Goubert: Byzance et l'Espagne Wisigothique (554 - 711), article dans la Revue des études byzantines, T.2, Année 1994
52. Pearce William:History of Spain and Portugal , London and Glasgow ,1878.
53. Perzon Paul : Linguistique celtique , 1700 – 1850 , les antiquités des nations , v.1, Routledge, London and New york , 2000[1]
54. Raymond Emmanuel : L'Espagne et le Portugal , imprimerie de dubuisson , Paris.
55. Picard Christophe : Le Portugal musulmane (l'occident d'al-Andalus sous dominations islamique) , Maisonneuve et Larose ,Paris ,2000
56. Raymond Emmanuel : L'Espagne et le Portugal , imprimerie de dubuisson , Paris.
57. Riley Smith Jonathan: The Oxford history of the crusaders, Oxford Universitypress.
58. schaffer Henri :Histoire de Portugal depuis sa séparationde la castille jusqu' a nos jours , traduit de l'allemand par

M.HenriSoulange –Bodin , imprimerie de plonfréres , Paris , 1845.

59. Tapla Rodrigo Hernandez :Tesis que para obtenir et titulo de licenciado en historia ; Asesor : Dr Rubeir Andrés Martin, ciudaduniversitaria, CDMX, 2019.
60. Thomas Frederick : The empire and papacy(918 – 1273) , IndlanaUniversity Library ,London , 1906.
61. Torres : ceramicaislamica de Mertola – propostas de cronologia

efunicionalidade , A ceràmicamedieval no Mediterraneo Occidental, Mértola, Campo arqueologico de Mértola, 1991

62. Vadlés Fernandez : La Alcazaba de Badajoz , i Hallazgos islamicos(1977 – 1982) y testar de la puertadelpelar , Excavaciones Arqueologicas en Espana , Ministerio de cultura , Direccion General de BellasArtes y Archivos , Madrid , 1985
63. VeroniqueKrings : La Civilisation Phénicienne et Punique ,EJ, Brill, Leiden.

ثالثا : المقالات الأجنبية :

1. Alston George Cyprien : Condrégation de Cluny, l'Encyclopediacatholique ,New York, Robert AppeltonCompany, article , www.newadvent.org
2. Angel G Gordo Molina : Urraca Ide Leon Y Teresa de Portugal Las relaciones de fronteras y el Ejercicio de la potestadfeminina en la primera mitaddelsiglo12 ,Intus – Legere Historia , ano 2008 , vol2 , n1
3. António Rei : A Açorda. Umasopa de pão, da Alta Idade Média à atualidadeAçorda.Abreadsoup,sinceUpperMiddle Ageuntilnow, RevistaDiálogosMediterrânicoswww.dialogosmediterranicos.com.brNúmero10 –Junho/2016

4. Ashtor Eliyzhu : Prix et salaire dans l'Espagne musulmane , article annales Economies Sociétés civilisations , Année , 1965 , 20 N 4
5. Carlos de Ayala : on the origins of crusading in the pininsula , the reing of Alfonso 6 (1065 – 1109) , Imago Temporis ,Medium Aevum ,7 (2013)
6. Cristophe Picard : A islamizasao do Gharb al-Andalus , Portugal Islamico os ultimosSinais do Mediterraneo , MuseuNacional de Arqueologia
7. C ramos : O Castelo de Aljustrel .Campanhas de 1989 a 1992 , Vispaca , Arqueologia e Historia ,2 ,1993
8. Frederico Mendes Paula : Influence de l'arabe dans la langue portugaise, article , publieé : novembre 25, 2019 ,https://lisbonnememoires.com/
9. Gilbert charlesPicard: Didon ou Elissa, EncyclopediaUniversalis (en ligne),www.universalis.fr
10. Marta Vidal : Traces islamiques dans le passé du Portugal , article publiée : 13 juin 2019, https://www.newarab.com/analysis/islamic-traces-portugals-pas
11. .Masias : Houses and Daily life in islamic Portugal (12 th – 13 th century) : Mértola in- Masias: the context of Gharb , Arts , 7 , november , 2018
12. Museu de Mértola , (catalogogeral), cordenaçao : Susana Gomez Martinez, campo Arqueologico, Mértola ,2014
13. Paul Goubert : Byzance et l'Espagne Wisigothique (554 _ 711) , article dans la Revue des études byzantines , T.2 , Année 1994
14. Pierre David : Le Pacte successoral entre Raymond de Galice et Henri de Portugal , Bulletin Hispanique , tome 50 , n3-4 , 1948 ,p.275 , article www.persee.fr
15. A Presença IslâmicaemPortugal, article publiéeen : 28 de fevereiro de 2019 , https://cdial.org.br/a-presenca-islamica-em-portugal/

16. Rosa Varela Gomes : Silves une capitale du gharbal_andalus, les dossiers d'archeologie , N198 , Novembre 1994
17. Torres : Museo de Mertola : o castelo ,catalogo, Campo Arqueologico de Mértola , 1991
18. Vera PorisovnaKovalevskaja : Le Caucase et les Alains : in dialogue d' histoire ancienne , vol 15 , n2 ,1989 , p. 364 , www.persee.fr

ثالثا : الرسائل العلمية الأجنبية والموسوعات :

1. Carayon Nicolas : Les ports Phéniciens et Puniques Geomorphologie et infrastructures , Thèse Doctorat en science de l' antiquité – Archeologie, Dirigee par M.professeurThierriy Petit , UniversityStrasburg 2 , Marc Bloch, U.F.R, des sciences historiques, Thèse soutenue publiquement le 17 mai 2008.
2. Jeffrey M.Shaw and Timothy J.Demy :War and Religion (an Encyclopedia of faith and conflict) , volume2 ,ABC-CLIO,Santa Barbara, California
3. Jennifer Lawler : Encyclopedia of women in the middle Ages , British Library cataloguing , 2001
4. Michael Gerli : Medieval Iberia an encyclopedia, Routledge, New York, 2003, p. 676.
5. Natividad Ferri Carreres : Les Minorités, L'espace et le droit : Indiens et Morisques dans la configuration territorial de l'empire Iberique ,these pour obtenir le diplôme de doctorat , dirigée par : Emilio Fernando ORIHUELA EGOAVIL , Laboratoire ERLIS et codirigée par : Madame Alexandra MERLE , Spécialité Langues et littératures étrangéres, Université de Caen Normandie ,2017 .

المواقع والموسوعات الالكترونية :

1. www.etymonline.com

2. www.Islamstory.com
3. https://www.portugalvisitor.com/history/islamic-period-portugal
4. Alfonson grand EnciclopediaAragonesa ,www.enciclopedia-aragonesa .com
5. Alston George Cyprien : Condrégation de Cluny, l'Encyclopediacatholique ,New York, Robert AppeltonCompany, article , www.newadvent.org
6. EnciclopediaAragonesa ,www.enciclopedia-aragonesa .comAlfonson grand.
7. Ensemble archéologique de Merida ,Whc , Unesco .org.
8. Gilbert charles Picard : Didon ou Elissa,EncyclopediaUniversalis (en ligne) ,www.universalis.fr

9 . Gildas : Cisterciens , article dans L'Encyclopedie Catholique, www.newadvent.org

10 . Urraca 1 de Castella – Lieo ,www.enciclopedia.cat

رابعا : الندوات والملتقيات الأجنبية :

1. Humberto carlosBaquero Moreno : OS MUDEJARES NO Portugal MEDIEVO , Texto da conferènciaproferidaem 23 de Março 1994 , EDIçAO DO CONSELHO DIRECTIVO , PORTO , 1994
2. Susana Gomez Martinez : MertolaIslamica Los Espacios De Vivienda, I JORNADAS DE CULTURA ISLAMICA , AL MONASTER LA REAL , HUELVA (12 – 15 Octubre de 2000) , Editors : Juan Aurelio Macias , Yolanda Benabat Hierro

فهرس الموضوعات

الإهداء

الشكر

مقدمة.....01

الفصل الأول: " تاريخ البرتغال منذ العصر القديم إلى الفتح الإسلامي"

1. أصل التسمية والشعوب الأولى التي استوطنت المنطقة قديما.....12

2. الّتوسع الفينيقي والقرطاجي في البرتغال.....18

3. السّيطرة الرومانية وتأسيس بروفنسيا لوزيتانيا.....23

4. هجرات القبائل الجرمانيّة وأثرها في تشكل الهوية البرتغالية..... 27

5. الفتح الإسلامي.....32

الفصل الثاني: الوجود الإسلامي في بلاد البرتغال (غرب الأندلس)

1. مسار الفتح الإسلامي في منطقة غرب الأندلس واستقرار المسلمين بها..39
2. دور الخلافة الأموية بقرطبة في تدعيم الوجود الإسلامي بغرب الأندلس 47
3. الأوضاع في غرب الأندلس على عهد ملوك الطوائف.....53
4. غرب الأندلس تحت حكم المرابطين والموحدين.....66

الفصل الثالث: ميلاد مملكة البرتغال وأثرها على الوجود الإسلامي بغرب الأندلس

1. الأوضاع التي مهّدت لميلاد مملكة البرتغال.....104
2. استفحال حركة الاسترداد وأثرها في تأسيس مملكة البرتغال.....113
3. حروب مملكة البرتغال ضدّ المسلمين في غرب الأندلس.....124
4. مساهمة مملكة البرتغال في العدوان الصّليبي على الأندلس.....139

الفصل الرابع: " الحضور الإسلامي في غرب الأندلس قبل وبعد الرّوكنكيستا "

1. المجال الجغرافي لاستيطان المسلمين غرب الأندلس.....152
2. شبكة الطّرق والمسالك الرّابطة بين مواقع استقرار المسلمين.....165
3. المراكز الحضارية في غرب الأندلس.....173
4. حياة المسلمين الصعبة في مملكة البرتغال بعد الروكنكيستا.....196
5. أثر الثّقافة الإسلامية في المجتمع البرتغالي.....202

خاتمة.....225

ملاحق.....229

قائمة البيبليوغرافيا.....260

فهرس الموضوعات.....282

الملخص

الملخص:

يعدّ تاريخ البرتغال الإسلامي من المواضيع الخصبة والهامّة لمعرفة نوعية العلاقات التي جمعت بين مسيحيّي المنطقة الغربية من شبه الجزيرة الأيبيرية والمسلمين. ولفهم حيثيّات سير الأحداث خاصّة وأنّ البرتغال كانت من الممالك المسيحية القوية التي لعبت دورا فعّالا في أحداث شبه الجزيرة الأيبيرية. تعدّ نهاية القرن الحادي عشر ميلادي البداية الأولى للاحتكاك بين الطرفين إلّا أنّ طبيعة العلاقة بين البرتغال والإمارات الإسلاميّة لم تظهر بوضوح إلاّ في القرن الثاني عشر ميلادي حيث غلب عليها طابع الحروب والصّراعات خاصّة وأنّ الظروف كانت جدّ مهيّأة لبدئ عملية الاسترداد، فالضعف والتّفرق والصّراع على السّلطة الذي طال ملوك الطوائف ثم بعدهم المرابطين والموحدين كان أكبر مشجّع للبرتغال في تحقيق أهدافها التّوسعية ، فتجرّأت على الدّخول بقوّة في أراضي المسلمين المتاخمة لحدودها جنوبا ، ورغم تعثر تلك التوسعات أحيانا أمام هجمات المسلمين إلّا أنّ البرتغال تمكنت في الأخير من القضاء نهائيا على الحكم الإسلامي في الجهة الغربية وأصبحت حدودها تشمل كل تلك المنطقة خلال منتصف القرن الثالث عشر ميلادي . وبالرغم من أنّ الطّابع العسكري هو الغالب في علاقة البرتغال بالمسلمين إلّا أنّ الوجود الإسلامي الذي استمر بالبرتغال طيلة خمس قرون واستمر بعد سقوط الحكم الإسلامي إلى غاية القرن الخامس عشر بيّن أنّه جمعت بين الطّرفين علاقات اقتصادية واجتماعية لازالت معالمها دالّة عليها إلى يومنا هذا في اللغة والعادات والتقاليد والعمران وغيرها.

Abstract

The historical dynamics between Christian inhabitants of western Iberian Peninsula and Muslims in Islamic Portugal offer valuable insights into the relationships and events of the region. The interaction began in the late 11th century but became more apparent in the 12th century when Portugal, a strong Christian kingdom, actively engaged in the events of the Iberian Peninsula. The 12th century was marked by conflicts and wars, paving the way for the reconquest process. Portugal's expansionist aims were fueled by the weaknesses, divisions, and power struggles among the Taifas, as well as the influence of the Almoravids and Almohads. Despite facing occasional setbacks from Muslim attacks, Portugal successfully ended Islamic rule in the western region by the mid-13th century, consolidating its borders. While military interactions dominated Portugal's engagements with Muslims, Islamic influence endured in Portugal for five centuries beyond the fall of Islamic rule, persisting until the 15th century. This enduring presence manifested in economic and social relationships, leaving lasting imprints in language, customs, traditions, and architecture that are still observable today.